وزارة المعارف العمومية

ديوان حافظ إبراهيم

ضبطه وصححه وشرحه ورتبه

أحمد أمين
أستاذ اللغة العربية
بالجامعة المصرية

أحمد الزين
بالقسم الأدبي
بدار الكتب المصرية

ابراهيم الإبياري
مدرس
بالمدارس الأميرية

الجزء الثاني

ويشمل :

السياسيات ، الشكوى ، المراثي

القاهرة
مطبعة دار الكتب المصرية
١٩٣٧

وزارة المعارف العمومية

ديوان حافظ ابراهيم

ضبطه وصححه وشرحه ورتبه

أحمد أمين
أستاذ اللغة العربية
بالجامعة المصرية

أحمد الزين
بالقسم الأدبى
بدار الكتب المصرية

ابراهيم الإبيارى
مدرس
بالمدارس الأميرية

الجزء الثانى

ويشمل :

السياسيات ، الشكوى ، المراثى

القاهرة
مطبعة دار الكتب المصرية
١٩٣٧

السياسيات

العلمان المصرى والانجليزى فى مدينة الخرطوم

رُوَيْدَكَ حتّى يَخْفُقَ العَلَمانِ (1) * وتَنْظُرَ ما يَجْرِى به الفَتَيانِ

فما مِصْرُ كالسُّودانِ لُقْمَةُ جائعٍ (2) * ولكنَّها مَرْهُونَةٌ لأَوَانِ

دَعانى وما أَرْجَفْتُما باحتمالِهِ (3) * فإنِّى بمَكْرِ القَوْمِ "شِقٌّ" زمانِى

أَرَى مِصْرَ والسُّودَانَ والهِنْدَ واحدًا * بها اللُّرْدُ والفِيكُنْتُ يَسْتَبِقانِ

وأَكْبَرُ ظَنِّى أنّ يومَ جَلائِهِمْ (4) * ويومَ نُشُورِ الخَلْقِ مُقْتَرِنانِ

إذا غاضَتِ الأَمْواهُ مِنْ كلِّ مُزْبِدٍ (5) * وخَرَّتْ بُرُوجُ الرَّجْمِ للحَدَثانِ

---

(1) الفتيان : الليل والنهار . يخاطب صاحبه يقول : تمهل حتى يخفق على السودان العلمان ، و يكمل للإنجليز تملكه ، فإنهم بعد سيملكون مصر كما ملكوا السودان .

(2) يشير بهذا البيت الى توقع أخذ مصر كما أخذ السودان ، وأن الاستيلاء عليها ليس فى سهولة الاستيلاء عليه ، ولكن ذلك مرهون بالوقت الملائم .

(3) ما أرجفتما ، أى ما خضتما فيه من القول الذى لم يصح . و باحتماله ، أى باحتمال وقوعه وتحققه ؛ وهو جلاء الإنجليز عن مصر . ويريد «بالقوم» : الانجليز . وشق (بكسر الشين) : كاهن عربى قديم اشتهر بمعرفة الغيب ، وكان فى زمن كسرى أنوشروان .

(4) يوم النشور : يوم القيامة .

(5) غاض الماء : قل فنضب . والأمواه : جمع ماء . والمزبد : البحر يقذف بالزبد . والحدثان (محركة) : اسم بمعنى حوادث الدهر ونوائبه .

(١)
وعادَ زمانُ السَّمْهرىِّ وربِّه * وحُكِّمَ فى الهَيْجاءِ كلُّ يمانى

(٢)
هُناكَ اذكُرَا يومَ الجلاءِ ونَبِّها * نيامًا عليهم يَنْدُبُ الهرمانِ

إلى مولاى عبد العزيز سلطان مراكش

قالها وقد اقترح المؤيد على الشعراء أن ينظموا فى عتاب مولاى عبد العزيز سلطان مراكش

[نشرت فى ٤ إبريل سنة ١٩٠٤ م]

(٣)
(عبدَ العزيز) لقد ذكَّرْتنا أُمَمًا * كانتْ جِوارَكَ فى لَهْوٍ وفى طَرَبِ

ذَكَّرْتَنا يومَ ضاعَتْ أرضُ أَنْدَلُسٍ * الحَرْبُ فى الباب والسُّلْطانُ فى اللَّعِبِ

(٤)
فاحذَرْ على التَّخْتِ أنْ يَسْرِى الخرابُ له * فتَخْتُ (سُلْطانةٍ) أَعْدَى مِن الجَرَبِ

---

(١) السمهرى : الرمح الصلب . أو هو المنسوب الى رجل من العرب اسمه سمهر، كان مشهورا بصنع الرماح . والهيجاء : الحرب . واليمانى : السيف، نسبة الى اليمن، لأن أجود السيوف كان يصنع بها .

(٢) هناك اذكرا : جواب «لإذا» فى البيت السابق . يقول : اذا ظهرت أمارات الساعة من غيض مياه البحار ... الخ، أو وقع المستحيل، فعاد الزمن الى سيرته الأولى أيام كان القتال بالسيوف والرماح فانتظرا إذ ذاك خروج الإنجليز من مصر .

(٣) عبد العزيز سلطان مراكش، هو ابن السلطان مولاى الحسن، وكان مولده سنة ١٢٩٦ ه . تولى الملك بعد وفاة أبيه فى ٤ ذى الحجة سنة ١٣١١ ه، ثم خلع فى سنة ١٣٢٦ ه وسنة ١٩٠٨ م . وكان معروفا بالإخلاد الى المجون واللهو، حتى إنه بعث الى مصر فى طلب جماعة من المطربين والمطربات، فسافر اليه جماعة منهم، فأنكر عليه المسلمون فعله، لاسيما مصر، وكتبت الصحف مستهجنة هذا الصنيع من سلطان مسلم، وأكثر الشعراء فى ذلك من المقطعات الطريفة .

(٤) يريد «بالتخت» الأول فى هذا البيت : سرير السلطان، وهو معرّب . وبالثانى : تخت الغناء، تسمية عامية . وسلطانة : مغنية كانت من المغنيات المشهورات فى مصر فى ذلك العصر، وكانت بين بعثة الغناء التى سافرت الى سلطان مراكش .

غادة اليابان

ضمنها غرامه بغادة يابانية ، وأشاد بالشجاعة التي ظهرت بها أمة اليابان في الحرب بينها و بين روسيا

[نشرت في ٦ إبريل سنة ١٩٠٤ م]

لا تَلُمْ كَفِّى إذا السَّيْفُ نَبَا (١) * صَحَّ مِنِّى العَزْمُ والدَّهْرُ أَبَى

رُبَّ ساعٍ مُبْصِرٍ في سَعْيِهِ * أَخْطَأَ التَّوفيقَ فيما طَلَبَا

مَرْحَبًا بالخَطْبِ يَبْلُونى (٢) إذا * كانت العَلْياءُ فيه السَّبَبا

عَقَّنِى (٣) الدَّهْرُ ولولا أنّنى * أُوثِرُ الحُسْنَى عَقَقْتُ الأَدَبا

إيهِ يا دُنْيا اعْبِسى أو فابْسِمى * لا أَرَى بَرْقَكِ إلّا خُلَّبا (٤)

أَنا لولا أنتِ لى مِنْ أُمّتى * خاذِلاً ما بِتُّ أَشْكُو النُّوَبا

أُمّةٌ قد فَتَّ في ساعِدِها (٥) * بُغْضُها الأَهْلَ وحُبُّ الغُرَبا

تَعْشَقُ الأَلْقابَ في غَيْرِ العُلا * وتُفَدِّى بالنُّفُوسِ الرُّتَبا

وهى والأَحْداثُ تَسْتَهْدِفُها (٦) * تَعْشَقُ اللَّهْوَ وتَهْوَى الطَّرَبا

لا تُبالِى لَعِبَ القَوْمُ (٧) بها * أَمْ بها صَرْفُ اللَّيالِى لَعِبا

---

(١) نبا السيف : كل وارتد . (٢) يبلونى : يختبرنى . (٣) عقه : ترك الاحسان اليه ولم يبر به . يقول : إن الدهر لم ينصفنى ، والجانى علىّ هو أدبى ؛ ولولا أنى أوثر الاحسان لهجرت الأدب الذى كان سببا فى شقائى . (٤) البرق الخلب : الذى يطمع الناس فى مطره ويخلفهم .

(٥) فت فى ساعدها : عبارة يكنى بها عن الإضعاف و إوهان القوى . (٦) والأحداث تستهدفها ، أى أن حوادث الدهر تجعلها هدفا لها ترميه . (٧) يريد «بالقوم» : الانجليز . وصروف الليالى : غيرها ونوائبها . أى أنها لا تعبأ بحوادث الزمان تصيبها من المحتلين أو من الدهر .

لَيْتَها تَسْمَعُ مِنِّى قِصَّةً (١) * ذاتَ شَجْوٍ وحَدِيثاً عَجَبا

كنتُ أَهْوَى فى زَمانى غادَةً (٢) * وَهَبَ اللهُ لها ما وَهَبا

ذاتَ وَجْهٍ مَزَجَ الحُسْنُ به * صُفْرَةً تُنْسِى اليهودَ الذَّهَبا

حَمَلَتْ لى ذاتَ يومٍ نَبَأً * لا رَعاكَ اللهُ يا ذاكَ النَّبَا

وأَتَتْ تَخْطِرُ والليلُ فَتِىٌّ (٣) * وهِلالُ الأُفْقِ فى الأُفْقِ حَبَا

ثمّ قالت لى بثَغْرٍ باسِمٍ * نَظَمَ الدُّرَّ به والحَبَبا (٤):

نَبَّئُونى بِرَحِيلٍ عاجِلٍ * لا أَرَى لى بَعْدَه مُنْقَلَبا (٥)

ودَعانى مَوْطِنى أَنْ أَغْتَدِى (٦) * عَلَّنِى أَقْضِى له ما وَجَبا

نَذْبَحُ الدُّبَّ ونَفْرِى جِلْدَه (٧) * أَيَظُنُّ الدُّبُّ أَلّا يُغْلَبا

قلتُ والآلامُ تَفْرِى مُهْجَتِى: * وَيْلَكِ! ما تَصْنَعُ فى الحَرْبِ الظِّبا (٨)؟

ما عَهِدْناها لظَبْىٍ مَسْرَحاً * يَبْتَغِى مَلْهًى به أو مَلْعَبا

لَيْسَتِ الحَرْبُ نُفُوساً تُشْتَرَى * بالتَّمَنِّى أو عُقُولاً تُسْتَبَى (٩)

---

(١) يقال : شجاه شجوا ، اذا هيج أحزانه وشوقه . (٢) الغادة : المرأة الناعمة اللينة .

(٣) والليل فتى ، أى فى أوله . وشبه الهلال فى أول طلوعه بالطفل الذى يحبو فى مهده .

(٤) الحبب : الفقاقيع التى تعلو سطح الماء ، شبه بها الأسنان فى بياضها . (٥) المنقلب : العودة والرجوع . (٦) أغتدى ، أى أبادر مبكرة للدفاع عنه . (٧) الدب : رمز تعرف به روسيا ، كما تعرف انجلترا بالأسد ، واليابان بالتنين ، وألمانيا بالنسر . ونفرى : نشق . ويشير بهذا البيت الى الحرب التى نشبت بين اليابان وروسيا فى ليلة ٩ فبراير سنة ١٩٠٤ م وانتهت بالصلح فى يوم ٥ سبتمبر سنة ١٩٠٥ م . (٨) الظبا : الظباء ، وقصر للشعر . (٩) تستبى : تؤسر بالحب .

أَحَسِبْتِ القَدَّ مِنْ عُدَّتِها (١) * أم ظَنَنْتِ اللَّحْظَ فيها كالشَّبَا؟

فسَلِيني ، إنّني مارَسْتُها (٢) * وركبْتُ الهَوْلَ فيها مَرْكَبا

وتَقَحَّمْتُ الرَّدَى فى غارةٍ (٣) * أَسْدَلَ النَّقْعُ عليها هَيْدَبَا

قَطَّبَتْ ما بين عَيْنَيْها لَنا (٤) * فرأيتُ المَوتَ فيها قَطَّبا

جالَ عِزْرائيلُ فى أنْحائِها (٥) * تحتَ ذاكَ النَّقْعِ يَمْشِى الهَيْذَبى

فدَعِيها لِلّذى يَعْرِفُها (٦) * وَالْزَمِى يا ظَبْيَةَ البانِ الخِبا

فأجابَتْنِى بصَوتٍ راعَنِى (٧) * وأَرَتْنى الظَّبْىَ لَيْثًا أَغْلَبا :

إنّ قَوْمِى ٱسْتَعْذَبوا وِرْدَ الرَّدَى * كيف تَدْعُونِى ألّا أَشْرَبا؟

أنا يا بانيّةٌ لا أَنْثَنِى (٨) * عَنْ مُرادِى أو أَذُوقَ العَطَبا

أنا إنْ لَمْ أُحْسِنِ الرَّمْىَ ولَمْ (٩) * تَسْتَطِعْ كَفّاىَ تَقْليبَ الظُّبَا

---

(١) القدّ : القامة . والشبا . جمع شباة ، وهى حدّ السنان . (٢) مارستها : عانيتها .

(٣) تقحمت الردى : رميت بنفسى فى غمرته . والنقع : الغبار . والهيدب : السحاب المتدلى من أسافله . وإثارة الغبار وكثرته وارتفاعه فى الحرب ، كناية عن شدتها وكثرة الكر والفر فيها .

(٤) التقطيب : العبوس . والضمير فى «قطبت» للغارة . (٥) الهيذبى (بالمعجمة والمهملة) : نوع من المشى فيه جدّ . ويشير بهذا البيت إلى كثرة ما تخطفه عزرائيل من الأرواح فى هذه الحرب .

(٦) البان : شجر سبط القوام لين ، ورقه كورق الصفصاف ، تألفه الظباء . والخبا (بالقصر) : الخباء (بالمد) ، وقصر للشعر . وهو فى الأصل : البيت من وبر أو صوف ، ويريد به البيت عامة .

(٧) راعنى : أفزعنى . والأغلب من السباع : الغليظ الرقبة ، وهى علامة للقوة . يقول : إنها غضبت من تنقصه لها ، وأنها لا تصلح للحرب ، فأجابته بصوت أفزعه لشدته وقسوته ، واستحالت من ظبى وادع إلى أسد قوى . (٨) العطب : الهلاك . (٩) الظبا : جمع ظبة (بضم الأول) وهى حدّ السيف أو السنان .

أَخْدِمُ الْجَرْحَى وَأَقْضِي حَقَّهُمْ * وَأُوَاسِي فِي الْوَغَى مَنْ نُكِبَا (١)

هٰكذا (الميكادُ) قد علَّمنا * أَنْ نَرَى الأَوْطانَ أُمًّا وَأَبَا (٢)

مَلِكٌ يكفيكَ منه أنّه * أَنْهَضَ الشَّرْقَ فهَزَّ المَغْرِبا

وإذا مارَسْتَه أَلْفَيْتَه * حُوَّلًا في كلِّ أَمْرٍ قُلَّبا (٣)

كان والتاجَ صغيرَيْنِ معًا * وجَلالُ المُلْكِ في مَهْدِ الصِّبا

فغدا هٰذا سَماءً للعُلا * وغَدا ذلكَ فيها كَوْكَبا

بَعَثَ الأُمَّةَ مِنْ مَرْقَدِها * ودَعَاها للعُلا أَنْ تَدْأَبَا (٤)

فسَمَتْ للمَجْدِ تَبْغِي شَأْوَه * وقَضَتْ مِن كلِّ شيءٍ مَأْرَبا (٥)

الحرب اليابانية الروسية (٦)

[نشرت في ١٠ نوفبر سنة ١٩٠٤ م]

أَسَاحَةٌ للحَرْبِ أَمْ مَحْشَرُ * ومَوْرِدُ المَوْتِ أَمِ الكَوْثَرُ؟ (٧)

وهٰذه جُنْدٌ أَطاعُوا هَوَى * أَرْبابِهِمْ ، أَمْ نَعَمٌ تُنْحَرُ؟ (٨)

---

(١) الوغى : الحرب ، لما فيها من الصوت والجلبة . (٢) الميكادو : لقب لملك اليابان .

(٣) الحوّل : الشديد الاحتيال ، لا تؤخذ عليه طريق إلا نفذ في أخرى . والقلب : البصير بتقلب الأمور .

(٤) تدأب : تجدّ في طلبها . (٥) الشأو : الغاية . (٦) هي تلك الحرب التي نشبت بين اليابان والروس بسبب احتلال الروس لمنشوريا ، وبدأت بنسف اليابانيين جزءا من الأسطول الروسي في ميناء بورت أرثر في ليلة ٩ فبراير سنة ١٩٠٤ م ، وانتهت في سبتمبر سنة ١٩٠٥ م بصلح اعترف فيه بنفوذ اليابان في كوريا ، وبجلاء الروس عن منشوريا ، وبشروط أخرى في صالح اليابانيين . (٧) الكوثر : النهر ، وسمي به نهر في الجنة . شبه (في الشطر الأوّل) كثرة المتحاربين وازدحامهم على القتال بازدحام الناس يوم المحشر ، وشبه في الشطر الثاني استعذاب الناس للموت باستعذابهم للكوثر . (٨) النعم : الإبل والشاء والبقر . يريد أن الأرواح قد رخصت في هذه الحرب وكثر القتل في الجنود حتى لم تدبين إن كان هؤلاء بشرا يجب حقن دمائهم أو أنعاما تنحر .

لِلّهِ ما أَقْسَى قُلوبَ الأُلَى * قاموا بأمرِ المُلْكِ واستأثروا !

وغَرَّهُمْ فى الدَّهْرِ سُلْطانُهُمْ * فأَمْعَنُوا فى الأرضِ واستعمروا (١)

قد أَقْسَمَ البِيضُ بِصُلْبانِهِمْ * لا يَهْجُرونَ الموتَ أو يُنْصَروا (٢)

وأَقْسَمَ الصُّفْرُ بأَوْثانِهِمْ * لا يَغْمِدُونَ السَّيفَ أو يَظْفَروا (٣)

فمادَتِ الأرضُ بأَوْتادِها * حِينَ ٱلتَقَى الأَبْيَضُ والأَصْفَرُ (٤)

وأُثْمِلَتْها خَمْرَةٌ مِنْ دَمٍ * يَلْهُو بها (الميكادُ) والقَيْصَرُ

وأَشْبَهَتْ يومَ الوَغَى أُخْتَها * إذْ لاحَ فيها الشَّفَقُ الأَحْمَرُ (٥)

وأَصْبَحَتْ تَشْتاقُ طُوفانَها * لَعَلَّها مِنْ رِجْسِها تَطْهُرُ (٦)

أَشْبَعْتِ يا حَرْبُ ذِئابَ الفَلا * وغَصَّتِ العِقْبانُ والأَنْسُرُ (٧)

ومِيرَتِ الحِيتانُ فى بَحْرِها * ومَطْمَعُ الإنسانِ لا يُقْدَرُ (٨)

إنْ كانَ هذا الدُّبُّ لا يَنْثَنِى * وذلكَ التِّنِّينُ لا يُقْهَرُ (٩)

---

(١) أمعن : بالغ وأبعد . (٢) يريد «بالبيض» : الروس .

(٣) يريد «بالصفر» : اليابانيين . (٤) مادت : تحركت وآضطربت . وأوتاد الأرض : جبالها . (٥) الضمير فى «أشبهت» للأرض . ويريد «بأختها» : السماء .

(٦) الرجس : النجس . ومعنى هذا البيت مأخوذ من قول المعرى :

والأرض للطوفان مشتاقة * لعلها من درن تغسل

(٧) غصت : امتلأت وتخمت . والعقبان : جمع عقاب ، وهو طائر من الجوارح . والأنسر : جمع نسر . يشير إلى كثرة ما تأكل هذه الجوارح والوحوش من جثث القتلى . (٨) ميرت ، أتى لها بالميرة ، أى بالطعام من جثث القتلى . ولا يقدر ، أى لا يحدّ ولا يتهى . (٩) التنين : الحية العظيمة . ويشير (بالدب) إلى روسيا ، و (بالتنين) إلى اليابان .

والبيضُ لا تَرْضَى بخِذْلانِها * والصُّفْرُ بعد اليومِ لا تُكْسَرُ

فما لِتلكَ الحربِ قد شَمَّرَتْ * عن ساقِها حتَّى قَضَى العَسْكَرُ (١)

سالَتْ نُفوسُ القَوْمِ فَوْقَ الظُّبَا * فسالَتِ البَطْحاءُ والأنْهُرُ (٢)

وأصْبَحَتْ (مكْدنُ) ياقُوتةً * يَغارُ منها الدُّرُّ والجَوْهَرُ (٣)

ياقُوتةٌ قد قُوِّمَتْ بينهمْ * بأنفُسٍ كالقَطْرِ لا تُحْصَرُ (٤)

أضْحَى رَسُولُ المَوْتِ ما بيْنَها * حَيْرانَ لا يَدْرِى بما يُؤْمَرُ

عِزْرِيلُ، هل أبْصَرْتَ فيما مَضَى * وأنتَ ذاكَ الكَيِّسُ الأمْهَرُ

كذلكَ المِدْفَعَ فى بَطْشِه * إذا تَعالَى صَوْتُه المُنْكَرُ ؟ (٥)

تَراهُ إنْ أوْفَى على مُهْجَةٍ * لا الدِّرْعُ يَثْنِيه ولا المِغْفَرُ (٦)

أمْسَى (كُورُبَتْكين) فى غَمْرَةٍ * وباتَ (أُويَامَا) له يَنْظُرُ (٧)

---

(١) قضى : هلك . ويريد الشاعر بهذا البيت والبيتين اللذين قبله أن الدولتين إذا كانتا قد تكافأتا فى الشجاعة والقوة ، وصممت كلتاهما على ألا تخذل ، ففيم الحرب وإراقة الدماء ، والحرب لا تقوم إلا حيث يكون منتصر ومنهزم . (٢) الظبا : جمع ظبة ، وهى حد السيف أو السنان . والبطحاء : مسيل الماء فيه دقاق الحصى ، ويريد به هنا : الفضاء المتسع . (٣) مكدن : مدينة مشهورة فى منشوريا ، وكانت بها الموقعة الفاصلة التى بدأت بيوم ٦ مارس سنة ١٩٠٥ م . واستمرت خمسة أيام ، وبلغ مجموع ما خسره الفريقان فيها عشرين ومائة ألف مقاتل ، بين قتيل وجريح ، وأسرفيها من الروس أربعون ألفا . يقول : إن هذا البلد قد غطيت أرضه بالدماء حتى أصبحت كأنها ياقوتة حمراء تزرى بالدر والجوهر . (٤) يريد « بالأنفس » فى هذا البيت : من قتل فى هذه المدينة من الفريقين .

(٥) كذلك ، متعلق « بأبصرت » . (٦) أوفى : أشرف . والمغفر : زرد يلبس تحت القلنسوة .

(٧) كورباتكين : قائد الروس فى تلك الحرب . وأوياما : قائد اليابان . والغمرة : الشدة التى تغمر الناس ، أى تعمهم وتشملهم .

وظَلَّت (الرُّوسُ) علی جَمْرَةٍ * والمَجْدُ يَدْعُوهُمْ ألا فاصْبِرُوا

وذَلكَ الأُسْطُولُ ما خَطْبُه * حتَّى عَراهُ الفَزَعُ الأكْبَرُ؟ (١)

أكُلَّما لاحَ لَه سابِحٌ * تحتَ الدُّجَى أو قارِبٌ يَمْخَرُ (٢)

ظَنَّ به (طُوجُو) فأهْدَى له * تَحِيَّةَ (طُوجُو) بها أخْبَرُ؟ (٣)

تحيَّةً مِنْ واجِدٍ شَيِّقٍ * أنْفاسُه مِنْ حَرِّها تَزْفِرُ (٤)

فهَل دَرَى القَيْصَرُ فى قَصْرِه * ما تُعْلِنُ الحَرْبُ وما تُضْمِرُ؟ (٥)

فكَمْ قَتِيلٍ باتَ فَوْقَ الثَّرَى * يَنْتابُه الأُظْفُورُ والمِنْسَرُ (٦)

وكم جَريحٍ باسِطٍ كَفَّه * يَدْعُو أخاه وهو لا يُبْصِرُ

وكم غَريقٍ راحَ فى لُجَّةٍ * يَهْوِى بها الطَّوْدُ فلا يَظْهَرُ (٧)

وكم أَسِيرٍ باتَ فى أَسْرِه * ونَفْسُه مِن حَسْرَةٍ تَقْطُرُ

إنْ لَم تَرَوْا فى الصُّلحِ خَيْرًا لكمْ * فالدَّهْرُ مِنْ أَطْماعِكُمْ أَقْصَرُ

---

(١) يريد «بالأسطول» : أسطول روسيا . (٢) يمخر : يشق عباب الماء .

(٣) طوجو : أمير من أمراء البحر اليابانيين المعروفين بالقوّة ، وهو الذى نسف أسطول بحر البلطيق الروسى فى موقعة تسوشيما فى ٢٧ مايو سنة ١٩٠٥ م ، وقضى بذلك على كل أمل للروس فى هذه الحرب .

(٤) يريد «بالواجد الشيق» : المدفع . ويريد «بالتحية» : ما يصبه المدفع على السفينة من مقذوفاته ؛ ولا يخفى ما فى هذا من التهكم . (٥) يقول : هل علم القيصر وهو ناعم مطمئن فى قصره بويلات الحرب ، ما ظهر منها وما بطن ، فيثنيه ذلك عن إثارتها والاستمرار فيها . (٦) الأظفور : الظفر . والمنسر (كمجلس ومنبر) : منقار الطائر . يقول : إن القتلى أصبحوا فوق الثرى نهبا للسباع المفترسة والطيور الكاسرة . (٧) اللجة : معظم البحر . والطود : الجبل العظيم . يصف اللجة بالعمق بحيث لو هوى فيها الجبل لم يظهر .

تَسُوءُنا الحَرْبُ وإنْ أَصْبَحَتْ * تَدْعُو رِجالَ الشَّرْقِ أنْ يَفْخَرُوا

أَتَى عَلَى الشَّرْقِ حِينٌ إذا * ما ذُكِرَ الأَحْياءُ لا يُذْكَرُ

ومَرَّ بالشَّرْقِ زمانٌ وما * يَمُرُّ بالبالِ ولا يَخْطِرُ

حتّى أعادَ (الصُّفْرُ) أيّامَه * فانتَصَفَ الأَسْوَدُ والأَسْمَرُ

فرحْمَةُ اللهِ على أُمَّةٍ * يَرْوِي لها التاريخُ ما يُؤْثَرُ (١)

الى الامبراطورة أوچيني (٢)

نظم هذه القصيدة إجابة لاقتراح صحيفة المؤيد على الشعراء أن ينظموا فى هذه الامبراطورة ، و يوازنوا بين مجيئها إلى مصر متنكرة تنزل فى فندق سافواى ببورسعيد ، ومجيئها قبل ذلك فى سنة ١٨٦٩ فى افتتاح قناة السويس ، واستقبال الخديوى اسماعيل إياها استقبالا فخما .

[نشرت فى ٢٦ يناير سنة ١٩٠٥ م]

أَيْنَ يومُ (القَنالِ) يا رَبّةَ التّا * جِ ويا شَمْسَ ذلِكَ المِهْرجانِ (٣) ؟

أين مُجْرِي القَنالِ أين مُمِيتُ الـ * ـمالِ أينَ العَزيزُ ذُو السُّلْطانِ (٤) ؟

---

(١) يريد «بالأمة» هنا : مصر ، يتحسر عليها و يندب ما ضيها .

(٢) ولدت أوچينى فى غرناطة فى ٥ مايو سنة ١٨٢٦ م . وفى ٣ يناير سنة ١٨٥٣ تزوّجها نابليون الثالث ؛ وكانت فيمن حضر الى مصر لافتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩ ؛ وقد أنفق الخديوى اسماعيل باشا فى استقبالها الكثير من المال ؛ و بعد وفاة زوجها هجرت فرنسا الى إنجلترا ، ثم تركت إنجلترا إلى مدريد ، وبها ماتت فى ١١ يوليه سنة ١٩٢٠ م .

(٣) المهرجان : عيد للفرس ، و يطلق الآن على كل عيد .

(٤) مجرى القنال ، يريد اسماعيل باشا الخديوى . و إماتة المال : كناية عن الإسراف والاتساع فى البذل .

أين هارونُ مِصْرَ؟ أين أبو الأشْـ * ـبالِ رَبُّ القُصورِ رَبُّ القِيانِ؟ (١)

أين لَيْثُ الجَزِيرةِ (ابنُ عَلِيٍّ) * واهِبُ الألْفِ مُكْرِمُ الضِّيفانِ؟ (٢)

أين ذا القَصْرُ بالجَزِيرةِ تَجْرِى * فيه أَرْزاقُنا وتَحْبُو الأَماني؟

فيه للنَّحْسِ كَوْكَبٌ مُسْرِعُ السَّيْـ * ـرِ وللسَّعْدِ كوكبٌ مُتَوانِى (٣)

قد جَرَى النِّيلُ تحتَه بخُشُوعٍ * وانكسارٍ وهابَهُ الفَتَيانِ (٤)

كنتَ بالأمسِ جَنّةَ الحُورِ يا قَصْـ * ـرُ فأَصْبَحْتَ جَنّةَ الحَيَوانِ

خَطَرَ اللَّيْثُ فى فِنائِكَ يا قَصْـ * ـرُ وقد كنتَ مَسْرَحًا لِحِسانِ (٥)

وعَوَى الذِّئْبُ فى نَواحِيكَ يا قَصْـ * ـرُ وقد كنتَ مَعْقِلًا لِلِّسانِ (٦)

وحَباكَ الزُّوّارُ بالمالِ يا قَصْـ * ـرُ وقد كنتَ مَصْدَرَ الإِحْسانِ (٧)

كنتَ تُعْطِى، فمالَكَ اليومَ تُعْطَى * أينَ بانِيكَ؟ أينَ رَبُّ المَكانِ؟

إنْ أَطافَتْ بكَ الخُطوبُ فهذى * سُنّةُ الكَوْنِ مِنْ قَدِيمِ الزّمانِ

---

(١) هارون: هو هارون الرشيد الخليفة العباسى المعروف، وشبه به إسماعيل فى ترفه وجاهه وسعة سلطانه، وما حفلت به أيامه من مجالس اللهو والغناء، وما عرف به من كرم وسخاء. والأشبال: أولاد إسماعيل. والقيان: الإماء المغنيات.

(٢) يشير بقوله: «ليث الجزيرة» الى أن إقامة إسماعيل كانت بقصر الجزيرة الذى صار حديقة الحيوان، كما سيشير الشاعر الى ذلك بعد. وابن على، لأنه حفيد محمد على.

(٣) يريد أن صاحب هذا القصر اذا غضب فسرعان ما يزول غضبه، وإذا أقبل طال إقباله، فكأنه فى غضبه كوكب نحس ما طلع حتى غاب، وفى رضاه كوكب سعد طويل الإقامة، بطىء السير.

(٤) الفتيان: الليل والنهار؛ يريد الدهر.

(٥) الفناء: الساحة.

(٦) معقل للسان، أى حابس له عن الكلام هيبة لصاحب القصر وخوفا من بطشه.

(٧) حباه: أعطاه. يشير إلى مايدفعه كل داخل إلى حديقة الحيوان.

رُبَّ بانٍ نَأَى، ورُبَّ بِناءٍ * أَسْلَمَتْه النَّوَى إلى غيرِ باني (١)

تلك حالُ الإيوانِ يا رَبَّة التا * جِ فما حالُ صاحبِ الإيوانِ؟ (٢)

قد طَواهُ الرَّدَى ولو كان حَيًّا * لَمَشَى فى رِكابِك الثَّقَلانِ (٣)

وتولَّتْ حِراسَةَ المَوْكِبِ الأَسْ * نَى نجومُ السَّماءِ والنَّيِّرانِ (٤)

إن يكن غابَ عَنْ جَبِينِك تاجٌ * كان بالغَرْبِ أشْرَفَ التِّيجانِ

فلقد زانَكِ المَشيبُ بتاجٍ * لا يُدانيه فى الجَلالِ مُدانِى

ذاكَ مِنْ صَنْعَةِ الأنامِ وهٰذا * مِن صنيعِ المُهَيْمِنِ الدَّيَّانِ

كنتِ بالأَمْسِ ضَيْفَةً عندَ مَلْكٍ * فانْزِلِى اليومَ ضَيْفَةً فى خَانِ (٥)

واعْذِرِينا على القُصُورِ، كِلانا * غَيَّرَتْه طَوارِئُ الحِدْثانِ (٦)

---

(١) نأى : بعد وذهب . والنوى : البعد . يقول : قد يذهب بانى الدار ويخلفه عليها من لم يبنها .

(٢) يريد «بالإيوان» : القصر، وهو فى الأصل الصفة العظيمة ؛ أعجمى معرب .

(٣) الردى : الهلاك والموت . والثقلان : الإنس والجن . ويشير بهذا البيت والذى بعده الى ما كان أعده لها اسماعيل باشا حين حضرت الى مصر سنة ١٨٦٩ م، فى مهرجان فتح قناة السويس من ضروب الحفاوة والإكرام .

(٤) الأسنى، من السناء، وهو الرفعة . والنيران : الشمس والقمر .

(٥) الخان : الحانوت . ويريد به هنا : الفندق . يريد أنها بعد أن كانت تنزل فى قصر ملك أصبحت تنزل فى الفنادق حيث ينزل عامة الناس .

(٦) القصور : التقصير . والحدثان (بكسر الحاء وسكون الدال) : النوائب .

عيد تأسيس الدولة العلية

أنشدها فى الحفل الذى أقيم فى فندق (الكونتننتال) فى مساء الجمعة ٢٦ يناير سنة ١٩٠٦ م

أَيُحْصِى مَعانيكَ القَرِيضُ المُهَذَّبُ * على أنّ صَدْرَ الشِّعْرِ لِلْمَدْحِ أَرْحَبُ

لقد مَكَّنَ الرَّحْمنُ فى الأَرْضِ دَوْلَةً * لِعُثمانَ لا تَعْفُو ولا تَتَشَعَّبُ (١)

بَنَاهَا فظَنَّتْهَا الدّرارِى مَنَازِلاً * لِبَدْرِ الدُّجى تُبْنَى وللسَّعْدِ تُنْصَبُ (٢)

وقامَ رِجالٌ بالإمامَةِ بَعْدَه * فزادُوا على ذَاكَ البِناءِ وطَنَّبُوا (٣)

ورَدُّوا على الإسْلامِ عَهْدَ شَبابِه * ومَدُّوا له جاهًا يُرَجَّى ويُرْهَبُ

أُسُودٌ على البُسْفورِ تَحْمِى عَرِينَهَا * وتَرْعَى نِيامَ الشَّرقِ والغَرْبُ يَرْقُبُ (٤)

لها وَثَبَاتٌ تحت ظِلِّ هِلالِها * كما مَرَّ سَهْمٌ أو كما انْقَضَّ كَوْكَبُ (٥)

إذا راعَها مَسٌّ مِنَ الضَّيْمِ خِلْتَهَا * كَمَنْ راعَه بالمَسِّ سِلْكٌ مُكَهْرَبُ (٦)

وإنْ هَزَّها ذاكَ الهِلالُ لحادِثٍ * رأيتَ قَضاءَ اللهِ يَمْشِى ويَرْكَبُ (٧)

إذا ضاعَتِ الأَحْسابُ يومًا لمُعْرِقٍ * فعُثمانُ خَيْرُ الفاتِحِينَ لهم أَبُ (٨)

---

(١) عثمان ، هو عثمان بن أرطغرل مؤسس الدولة العثمانية ، وإليه تنسب ؛ ولد سنة ٦٥٦ ﻫ ، وتولى السلطنة سنة ٦٩٩ ﻫ ، وتوفى سنة ٧٢٦ ﻫ . وتعفو : تندثر وتمحى . وتتشعب : تتفرق .

(٢) الدرارى (بتشديد الياء وخففت للشعر) : الكواكب المضيئة الصافية البياض ، الواحد درى .

(٣) طنبوا البناء : مكنوه وزادوه منعة وقوة . وأصل التطنيب : شد الخيمة بالأطناب ، وهى الحبال .

(٤) العرين : مأوى الأسد . (٥) يريد « بهلالها » : رايتها المرسوم فيها الهلال ، وهو شعار الدولة العثمانية . (٦) راعها : أفزعها . (٧) يشير بقوله « يمشى ويركب » : إلى مشاة الجيش وفرسانه . (٨) المعرق : الذى له عرق وأصل فى الكرم .

وإنْ تاهَ بالأَبْنَاءِ والبَأسِ والنَّدى (١) * فأَوْلَى الورى بالتِّيهِ ذاكَ المُعَصَّبُ

فهذا سُلَيمانٌ (٢) وقانونُ عدلِه * على صَفَحاتِ الدَّهرِ بالتِّبرِ يُكْتَبُ

وذاكَ الذى أَجْرَى السَّفينَ على الثَّرَى (٣) * وسارَ له فى البَرِّ والبَحْرِ مَرْكَبُ

على بابِهِ العالِي هُنالِكَ تَأَلَّقَتْ (٤) * سُطورٌ لأقلامِ الجَلالةِ تُنْسَبُ

هُنا فَاخْفِضُوا الأَبْصارَ عَرْشُ مُحَمَّدٍ (٥) * هُنا الفاتِحُ الغازِى الكَمِىُّ المُدَرَّبُ

وما كانَ مِنْ (عَبْدِ المَجيدِ) إذ احْتَمَى (٦) * بأكْنافِه (كُوشُوطُ) والخَطْبُ غَيْهَبُ

(١) المعصب : المتوج .

(٢) سليمان ، هو سليمان القانونى ، السلطان العاشر من سلاطين آل عثمان ، وهو ابن السلطان سليم . ولد سنة ٩٠٠ هـ . وتولى الملك سنة ٩٢٦ هـ . ومات سنة ٩٧٤ هـ . وقد لقب بالقانونى لأنه وضع قانونا للدولة تسير على مقتضاه .

(٣) يشير بهذا البيت الى الطريقة التى اتبعها محمد الفاتح فى مهاجمة القسطنطينية ، وتسييره سفنه على البر حتى وصل بها إلى القرن الذهبى .

(٤) تألقت : أضاءت ولمعت .

(٥) الكمى : الشجاع . ومحمد ، هو محمد الملقب بالفاتح ، وهو السلطان السابع من سلاطين آل عثمان . ولد سنة ٨٣٣ هـ . وتولى الملك سنة ٨٥٥ هـ وهو فى الحادية والعشرين من عمره ، فبادر بالتأهب لفتح القسطنطينية . وفى سنة ٨٥٧ هـ — ١٤٥٣ م تم له فتحها ؛ وتوفى فجأة سنة ٨٨٦ هـ . ومدة ملكه إحدى وثلاثون سنة .

(٦) الغيهب : الشديد السواد . وعبد المجيد ، هو السلطان الحادى والثلاثون من سلاطين آل عثمان ، ولد سنة ١٢٣٧ هـ ، وتولى السلطنة سنة ١٢٥٥ هـ بعد وفاة أبيه السلطان محمود ، وتوفى سنة ١٢٧٧ هـ ، ومدة جلوسه اثنان وعشرون عاما . ويشير الشاعر بهذا البيت والذى بعده إلى ما حدث سنة ١٨٤١ م ، وذلك أن جماعة من الفارين ، ما بين بولونيين ومجريين ، التجأوا إلى البلاد العثمانية ليتمتعوا فيها بالسكون والهدوء ، بعد أن نالهم الشىء الكثير من الظلم والاضطهاد والعذاب على أيدى النمسا ويين والروس الذين قمعوا الثورات الناشبة فى بولونيا والمجر ، وكان بين هؤلاء الفارين زعماء مشهورون ، منهم (كوشوط) المجرى المذكور فى هذا البيت ؛ وكان زعيم ثورة يقصد بها تحرير المجر ، فطلبت النمسا والروسيا من الدولة العثمانية تسليمهم ، فرفض ذلك السلطان عبد المجيد بحجة أن هذا التسليم لا تقره شريعة ولا خلق ، وعضده فى ذلك سفير بريطانيا إذ ذاك ، فكان ذلك سببا لقطع العلاقات بين الدولة العلية و بين النمسا و روسيا ؛ ولولا ظهور الأسطولين الإنجليزى والفرنسى فى مياه الدردنيل لتفاقم الخطب و وقعت الحرب .

يُنادِيهِمُ : أمّا نَزِيلي فدُونَه * حَياتى ، وأمّا صارِمى فمُشَطَّبُ (١)

فإنْ كانت الحُسْنَى فإنّى سَماؤُها * وإنْ كانت الأُخْرَى فشُدُّوا وجَرِّبوا

كذَلِكَ كانُوا يَسْتَقِرُّونَ فى الذُّرا * وأعداؤُهُمْ فى الغَرْبِ تَشْقَى وتُنْكَبُ (٢)

فكَمْ طَلَبُوا منهمْ أَمانًا فأُمِّنُوا * وأَمْسَى لهمْ فى الشَّرقِ مَسْرًى ومَسْرَبُ (٣)

فكان أَمانَ القَوْمِ والشَّرْقُ مُشْرِقٌ * فأَضْحَى امتيازَ القَوْمِ والشَّرْقُ مُغْرِبُ (٤)

يقولون : فى هٰذِى الرُّبوعِ تَعَصُّبٌ * وأَىُّ مَكانٍ ليسَ فيه تَعَصُّبُ ؟

فيا شَرْقُ إنّ الغَرْبَ إنْ لانَ أو قَسا * ففيه مِن الصَّهْباءِ طَبْعٌ مُذَوَّبُ (٥)

تَخِفُّ بأَسْمها فى الرَّأْسِ والرَّأْسُ يَصْطَلِى * وتَخِفُّ ضَعْفَها فى الكَأْسِ والكَأْسُ تُطْرِبُ

ويا غَرْبُ إنّ الدَّهْرَ يَطْفُو بأَهْلِهِ * ويَطْوِيه تَيّارُ القَضاءِ فيَرْسُبُ (٦)

أَراكَ مَقَرَّ الطامِعِين كأنّما * على كلِّ عَرْشٍ مِنْ عُرُوشِك (أَشْعَبُ) (٧)

---

(١) الصارم : السيف القاطع . والمشطب : الذى فيه شطب ، وهى الخطوط والطرائق التى فى نصله .

(٢) الذرا : جمع ذروة (بالكسر والضم) ، وهى المكان المرتفع .

(٣) الضمير فى «طلبوا» يعود على قوله «أعداؤهم» فى البيت السابق . ومنهم ، أى من آل عثمان . والمسرب : المذهب والطريق .

(٤) يريد « بالقوم » : الافرنج . ويشير بهذا البيت والذى قبله إلى ما نالوه من بعض سلاطين آل عثمان من منح أعطيت لهم لتيسير سبل التجارة ، وتأمينهم على أنفسهم وأموالهم فى بلاد الشرق ، أيام قوة الدولة العثمانية ، ثم صارت هذه المنح بعد ضعفها امتيازات تمسك بها الغربيون وأوذيت بها تركيا ورعاياها .

(٥) الصهباء : الخمر . (٦) يطفو : يعلو . ويرسب : يهبط ويسفل .

(٧) أشعب : رجل من المدينة كان مولى لعثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ؛ ويضرب به المثل فى الطمع ، فيقال : « أطمع من أشعب » .

حادثة دنشواى [1]

[نشرت فى ٢ يوليه سنة ١٩٠٦ م]

أيُّها القائمُونَ بالأمرِ فينا * هَلْ نَسِيتُمْ وَلاءَنا والوِدادا [2]

خَفِّضُوا جَيْشَكُمْ ونامُوا هَنيئًا * وابتَغُوا صَيْدَكُمْ وجُوبُوا البِلادا [3]

وإذا أعْوَزَتْكُمُ ذاتُ طَوْقٍ * بين تلكَ الرُّبَا فصِيدُوا العِبادا [4]

إنَّما نحنُ والحَمَامُ سَواءٌ * لَمْ تُغادِرْ أطْواقُنا الأجْيادا [5]

لا تَظُنُّوا بِنا العُقوقَ ولكنْ * أرْشِدُونا إذا ضَلِلْنا الرَّشادا

لا تُقِيدُوا مِنْ أمّةٍ بقَتيلٍ * صادَتِ الشمسُ نَفْسَهُ حِينَ صادا [6]

جاءَ جُهّالُنا بأمْرٍ وجِئْتُمْ * ضِعْفَ ضِعْفَيْهِ قَسْوَةً واشْتِدادا

---

(١) فى يوم الأربعاء ١٣ يونيه سنة ١٩٠٦ م ، قام خمسة من الضباط الإنجليز من معسكرهم ، وقصدوا إلى بلدة دنشواى بإقليم المنوفية من أعمال مركز تلا ، لصيد الحمام ، وهناك أصيب بعض الأهلين فاصطدموا بالإنجليز ، فأصيب بعض الضباط بإصابات أفضت إلى الموت ، فثارت ثائرة اللورد كرومر عميد الدولة البريطانية إذ ذاك ، وعقدت المحكمة المخصوصة لمحاكمتهم ، وكان المدعى العمومى فيها ابراهيم الهلباوى بك المحامى المعروف ؛ وقضت هذه المحكمة بإعدام أربعة من الأهلين ، وجلد وحبس ثمانية منهم . ونفذ الإعدام والجلد فى نفس البلد على مرأى ومسمع من أهله ، وكان فى ذلك الحكم وفى تنفيذه من القسوة ما أثار الأنفس وأطلق ألسنة الوطنيين وزعماء النهضة بما يجيش فى النفوس من أسى وحسرة . (٢) الخطاب فى هذا البيت وما بعده للإنجليز . (٣) جاب البلاد : قطعها .

(٤) ذات الطوق : الحمامة المطوقة ، لأن لها طوقا حول عنقها ، وهو لون يخالف سائر لونها .

(٥) يريد « بالأطواق » فى هذا البيت : أغلال الأسر والاستعباد . والأجياد : الأعناق ؛ الواحد جيد . (٦) يقال : أقاد الأمير القاتل بالقتيل ، إذا قتله به . ويشير بهذا البيت إلى ما قرره الأطباء من أن وفاة الضابط الإنجليزى كانت بضربة الشمس ، لا بإصابة أحد .

أَحسِنُوا القَتْلَ إن ضَنِنْتُم بِعفوٍ * أَقِصاصًا أَرَدْتُمُ أَمْ كِيادَا؟

أَحسِنُوا القَتْلَ إن ضَنِنْتُم بِعفوٍ * أَنُفُوسًا أَصَبْتُمُ أَمْ جَمادَا؟

لَيْتَ شِعْرِي أَتِلْكَ (مَحْكَمَةُ التَّفْـ * ـتِيشِ) عادَتْ أَمْ عَهْدُ (نِيرُونَ) عادَا؟ [1]

كيف يَحْلُو مِنَ القَوِيِّ التَّشَفِّي * مِنْ ضَعِيفٍ أَلْقَى إليهِ القِيادَا؟

إنَّها مُثْلَةٌ تَشُفُّ عن الغَيْـ * ـظِ ولَسْنا لِغَيْظِكُمْ أَنْدادَا [2]

أَكْرِمُونا بِأَرْضِنا حيثُ كُنْتُمْ * إنَّما يُكْرِمُ الجَوادُ الجَوادَا

إنَّ عِشْرِينَ حِجَّةً بعدَ خَمْسٍ * عَلَّمَتْنا السُّكُونَ مَهْمَا تَمادَى [3]

أُمَّةُ النِّيلِ أَكْبَرَتْ أَنْ تُعادِي * مَنْ رَماها وأَشْفَقَتْ أَنْ تُعادَى [4]

ليس فِيها إلَّا كَلامٌ وإلَّا * حَسْرَةٌ بعدَ حَسْرَةٍ تَتَهادَى

* * *

أَيُّها المُدَّعِي العُمُومِيُّ مَهْلًا * بعضَ هذا فقد بَلَغْتَ المُرادَا [5]

قد ضَمِنَّا لك القَضاءَ بِمِصْرٍ * وضَمِنَّا لِنَجْلِكَ الإسْعادَا [6]

---

(١) تعرف محاكم التفتيش بالقسوة والظلم واضطهاد الناس ومصادرة أملاكهم، ثم إحراقهم من غير أن تترك لهم فرصة للدفاع عن أنفسهم؛ وقد استغلت تلك المحاكم فى اضطهاد العرب فى اسبانيا فى آخر أيامهم بها حتى تم جلاؤهم عنها فى سنة ١٦٠٩ م. ونيرون، هو الملك الرومانى المعروف بالظلم والقسوة والاستبداد؛ ومما ينسب اليه أنه أحرق مدينة روما، وكان يوم إحراقها يشاهد النيران تأكل المدينة وأهلها، فيسر بهذا المنظر كأنما ينظر الى رواية تمثل فى ملهى من الملاهى. (٢) المثلة (بالضم): التنكيل. وتشف: تكشف وتبين. والأنداد: النظراء؛ الواحد ند (بكسر النون). (٣) الحجة: السنة. (٤) أشفقت: خشيت. (٥) المدعى العمومى: ابراهيم الهلباوى بك. (٦) يشير الى ما كان يقال من أن الهلباوى بك كان قد وعد بأن يكون بعد من رجال القضاء لدفاعه عن الإنجليز فى هذه الحادثة.

فإذا ما جَلَسْتَ للحُكْمِ فاذكُرْ * عَهْدَ (مِصْرٍ) فقد شَفَيْتَ الفُؤادَا

(١)
لا جَرَى النِّيلُ فى نَواحِيكِ يا (مِصْـ * ـرُ) ولا جادَكِ الحَيَا حيثُ جادا

(٢)
أنتِ أَنْبَتِّ ذلكَ النَّبْتَ يا (مِصْـ * ـرُ) فأَضْحَى عليكِ شَوْكًا قَتادَا

(٣)
أنتِ أَنْبَتِّ ناعِقًا قامَ بالأَمْـ * ـسِ فأَدْمَى القُلُوبَ والأَكْبادَا

(٤)
إيهِ يا مِدْرَهَ القَضاءِ ويا مَنْ * سادَ فى غَفْلَةِ الزَّمانِ وَشادَا

أنتَ جَلّادُنا فلا تَنْسَ أَنّا * قد لَبِسْنا على يَدَيْكَ الحِدادَا

استقبال اللورد كرومر عند عودته من مصيفه بعد حادثة دنشواى (٥)

[نشرت فى ١٧ أكتوبر سنة ١٩٠٦ م]

(٦)
(قَصْرَ الدُّبارَةِ) هل أتاكَ حَدِيثُنا * فالشَّرْقُ رِيعَ له وضَجَّ المَغْرِبُ

(٧)
أَهْلًا بساكِنِكَ الكريمِ ومَرْحَبًا * بعدَ التَّحِيَّةِ إنّنى أَتَعَتَّبُ

نَقَلَتْ لنا الأَسْلاكُ عنكَ رِسالةً * باتَتْ لها أَحْشاؤُنا تَتَلَهَّبُ

---

(١) الحيا: المطر. (٢) القتاد: شجر صلب له شوك كالإبر. يخاطب مصر بأنها أحسنت إلى بعض أبنائها وبرّت بهم، فأساءوا إليها وجحدوا نعمتها. (٣) يريد «بالناعق»: المدعى العمومى فى هذه القضية. والنعيق (بالعين المهملة، وفى كتب اللغة أنه بالغين المعجمة أفصح): صياح الغراب. (٤) المدره: خطيب القوم والمتكلم عنهم. (٥) انظر الكلام على الحادثة التى وقعت فى هذا البلد (فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠ من هذا الجزء). (٦) ريع (بالبناء للمجهول): من الروع، وهو الفزع. يخاطب فى هذا البيت القصر مريدا صاحبه. (٧) التعتب، هو تواصف الموجدة، ومخاطبة المدلين أخلاءهم طالبين حسن مراجعتهم، ومذاكرتهم ما كره بعضهم من بعض.

ماذا أقولُ وأنتَ أَصْدَقُ ناقلٍ * عنّا ولكنّ السّياسةَ تَكْذِب (١)

عَلَّمْتَنا معنَى الحياةِ فما لَنا * لا نَشْرَئِبُّ لها وما لكَ تَغْضَبُ (٢)

أَنَقِمْتَ منّا أنْ نُحِسّ ؟ وإنّما * هـذا الذى تَدْعُو إليه وتَنْدُبُ (٣)

أنتَ الّذى يُعْزَى إليه صَلاحُنا * فيما تُقَرِّرُه لدَيْكَ وتَكْتُبُ (٤)

إنْ ضاقَ صَدْرُ النِّيلِ عمّا هالَه * يومَ الحَمامِ فإنّ صَدْرَكَ أَرْحَبُ (٥)

أوَكُلَّما باحَ الحَزِينُ بأَنّةٍ * أَمْسَتْ إلى معنَى التَّعَصُّبِ تُنْسَبُ ! (٦)

رِفْقًا عَمِيدَ الدَّوْلَتَيْنِ بأمّةٍ * ضاقَ الرَّجاءُ بها وضاقَ المَذْهَبُ (٧)

رِفْقًا عَمِيدَ الدَّوْلَتَيْنِ بأُمّةٍ * لَيْسَتْ بغَيْرِ وَلائِها تَتَعَذَّبُ

إنْ أَرْهَقُوا صَيّادَكُمْ فلَعَلَّهم * لِلْقُوتِ لا للمُسْلِمِينَ تَعَصَّبُوا (٨)

ولرُبَّما ضَنَّ الفَقِيرُ بقُوتِه * وسَخَا بمُهْجَتِه على مَنْ يَغْصِبُ (٩)

---

(١) يشير بهذا البيت والذى قبله إلى مقتطفات من تقرير اللورد كرومر عن مصر نقلها البرق إلى الصحف المصرية ، وفيها يطعن على المصريين و يصفهم بأنهم لا يرعون جميلا . (٢) نشرئب لها : نتطلع إليها . والاشرئباب (فى الأصل) : مدّ العنق للنظر . (٣) ندبه إلى الأمر : دعاه إليه .

(٤) يعزى : ينسب . يشير إلى ما كان يكتبه اللورد كرومر فى تقريراته من أنه هو الذى جلب الخير والرفاهية لمصر . (٥) يوم الحمام ، أى يوم صيد الحمام الذى سبب حادثة دنشواى المعروفة .

(٦) الأنة : من الأنين ، وهو التأوه . ويشير بهذا إلى ما وجه إلى المسلمين فى مصر من التعصب الدينى ، وأن ذلك التعصب كان السبب فى قتل الإنجليزى فى دنشواى . (٧) عميد الدولتين ، أى عميد الدولة الإنجليزية والمصرية . (٨) أرهقوا صيادكم : اعتدوا عليه وآذوه . و يريد « بالصياد » : أحد ضباط الإنجليز الذين كانوا يتصيدون الحمام فى دنشواى ولاقى حتفه هنالك .

(٩) ضن : بخل . وسخا بمهجته ... الخ ، أى بذل نفسه فى دفع من يغصبه طعامه . ويشير بهذا الى ما حدث من بعض هؤلاء الصيادين ، حين أطلقوا النار على الحمام فأحرقت بعض أجران القمح هنالك .

فى (دِنْشِواىَ) وأنتَ عنّا غائبٌ * لَعِبَ القَضاءُ بنا وعَزَّ المَهْرَبُ

حَسِبُوا النُّفُوسَ مِنَ الحَمامِ بَدِيلَةً * فتَسابَقُوا فى صَيْدِهِنّ وصَوَّبُوا (١)

نُكِبُوا وأَقْفَرَتِ المَنازِلُ بَعْدَهُمْ * لو كنتَ حاضِرَ أَمْرِهِمْ لم يُنْكَبُوا

خَلَّيْتَهُمْ والقاسِطُونَ بمَرْصَدٍ * وسِياطُهُمْ وحِبالُهُمْ تَتَأَهَّبُ (٢)

جُلِدُوا ولو مُنِّيتَهُمْ لتَعَلَّقُوا * بحِبالِ مَنْ شُنِقُوا ولم يَتَهَيَّبُوا (٣)

شُنِقُوا ولو مُنِحُوا الخِيارَ لأَهَّلُوا * بلَظَى سِياطِ الجالِدِينَ ورَحَّبُوا (٤)

يَتَحاسَدُونَ على المَماتِ، وكأسُه * بينَ الشِّفاهِ وطَعْمُهُ لا يَعْذُبُ

مَوْتانِ : هٰذا عاجِلٌ متنمِّرٌ * يرنُو ، وهٰذا آجِلٌ يترقَّبُ (٥)

والمُسْتَشارُ مُكاثِرٌ بِرِجالِه * ومُعاجِزٌ ومُناجِزٌ ومُحَزِّبُ (٦)

يَخْتالُ فى أَنْحائِها مُتَبَسِّمًا * والدَّمْعُ حَوْلَ رِكابِه يَتَصَبَّبُ

---

(١) يقال : صوّب السهم نحو الرمية (بتشديد الياء)، إذا سدّده .

(٢) القاسطون : الظالمون الجائرون عن الحق ، قال الله تعالى : (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) . والمرصد : المرقب .

(٣) منيتهم ، أى خيرتهم فيما يتمنونه من أخف أنواع العذاب .

(٤) أهلوا ورحبوا ، أى قالوا : أهلا ومرحبا . ومعنى البيتين : أن كلا ممن جلد وشنق رأى فى عذابه من الشدّة ما تمنى معه أن يستبدل به عذاب أخيه . واللظى : النار؛ وقيل : لهبها .

(٥) المتنمر : الغاضب ، تشبيها له بالنمر ، لأن من عادته ألا يلقاك دائما إلا متنكرا غضبان . ويرنو : ينظر .

(٦) يريد «بالمستشار» هنا : المستر بوند الإنجليزى ، وهو من قضاة المحكمة التى حكمت على متهمى دنشواى . والمعاجز : من عاجزت الرجل ، اذا أتيت بما يجعله عاجزا . والمناجز : المقاتل المبارز . ومحزب ، أى مفرق أعوانه ، فبعضهم يتولى أمر الجلد ، والبعض يتولى أمر الشنق ... الخ .

طاحُوا بأربعةٍ فأردَوْا خامساً (١) * هو خيرُ ما يرجو العميدُ ويطلبُ

حُبٌّ يُحاوِلُ غرسَه في أنفسٍ * يُجنَى بمغرسِها الثناءُ الطيِّبُ

كُنْ كيفَ شئتَ ولا تكِلْ أرواحَنا * للمستشارِ فإنَّ عدلَكَ أخصبُ

وأفِضْ على (بُنْيد) إذا ولِيَ القضا * رِفقاً يهشُّ له القضاءُ ويطرَبُ

قد كان حولَكَ مِنْ رجالِكَ نُخبةٌ * ساسُوا الأمورَ فدرَّبوا وتدرَّبوا

أقصيتَهم (٢) عنّا وجئتَ بفتيةٍ * طاشَ الشبابُ بهم وطارَ المنصِبُ

فاجعلْ شِعارَكَ رحمةً ومودَّةً * إنّ القلوبَ مع المودّةِ تُكسَبُ

وإذا سُئِلتَ عن الكِنانةِ قُلْ لهم * هي أمّةٌ تلهو وشعبٌ يلعبُ

واستبقِ غفلتَها ونمْ عنها تنمْ * فالناسُ أمثالُ الحوادثِ قُلَّبُ (٣)

شكوى مصر من الاحتلال

[نشرت في أوّل يناير سنة ١٩٠٧ م]

لقد كان فينا الظُّلمُ فَوضَى فهُذِّبَتْ * حَواشيه (٤) حتّى باتَ ظُلماً منظَّما

تَمُنُّ (٥) علينا اليومَ أنْ أخصبَ الثرَى * وأنْ أصبحَ المِصريُّ حُرّاً منعَّما

---

(١) طاحوا بأربعة ، أى ذهبوا بنفوسهم . وأردوا : أهلكوا . و يريد «بالخامس» : الحب المذكور فى البيت الآتى . (٢) أقصيتهم : أبعدتهم . وطار المنصب ، أى خفت أحلامهم من الغرور بمناصبهم . (٣) قلب ، أى متقلبون لا يثبتون على حال واحدة . والذى وجدناه فى كتب اللغة أن القلب : صفة للفرد أى المتقلّب كيف شاء ، وقد أخبر الشاعر به عن الناس مراعاة للفظ ، ومنه قول الشاعر :

ولقد سئمت من الحياة وطولها * وسؤال هذا الناس كيف لبيد ؟

(٤) الحواشى : النواحى . وتهذيبها : إصلاحها . (٥) تمن : يخاطب عميد الدولة الإنجليزية . ويشير الى ما كان يكتبه ذلك العميد فى تقريراته من صلاح حال مصر ورفاهتها بفضل الإنجليز .

أَعِدْ عَهْدَ (إسماعيلَ) جَلْدًا وسُخْرَةً (١) * فإنِّى رأيتُ المَنَّ أَنْكَى وآلَمَا

عَمِلْتُم على عِزِّ الجمادِ وذُلِّنا * فأَغْلَيْتُمُ طِينًا وأَرْخَصْتُمُ دَمَا

إذا أَخْصَبَتْ أرضٌ وأَجْدَبَ أَهْلُها (٢) * فلا أَطْلَعَتْ نَبْتًا ولا جادَها السَّما

نَهَشُّ الى الدِّينارِ حتّى إذا مَشَى (٣) * بهِ رَبُّه لِلسوقِ أَلْفاهُ دِرْهَما

فلا تَحْسَبوا فى وَفْرةِ المالِ لم تَفِدْ * مَتاعًا ولم تَعْصِمْ مِن الفَقْرِ مَغْنَما

فإنَّ كَثيرَ المالِ والخَفْضُ وارِفٌ (٤) * قليلٌ إذا حَلَّ الغَلاءُ وخَيَّما

وداع اللورد كرومر

قالها عند استقالة اللورد وضمنها آراء الناس فى سياسته

[نشرت فى ٢٧ إبريل سنة ١٩٠٧ م]

فَتَى الشِّعْرِ هٰذا مَوْطِنُ الصِّدْقِ والهُدَى (٥) * فلا تَكْذِبِ التّاريخَ إنْ كُنْتَ مُنْشِدَا

لقد حانَ تَوْدِيعُ العَمِيدِ وإنّه (٦) * حَقِيقٌ بتَشْيِيعِ المُحِبِّينَ والعِدَا

---

(١) يشير بهذا البيت الى ما كان يردّده عميد الدولة الإنجليزية وغيره من ساسة الإنجليز من تفضيل عهد احتلالهم على ما قبله من العهود، ولا سيما عهد إسماعيل، ممتنين على المصريين بأنهم قد أزالوا عنهم ما كان يحيق بهم من المظالم قبل احتلالهم، من تسخير الناس وجلد ظهورهم . (٢) جادها السما أى نزل عليها المطر . (٣) هش اليه : ارتاح وبش . ويشير بهذا الى غلاء الحاجات وارتفاع أثمانها، حتى إن الدينار ينزل الى قدر الدرهم فى الشراء . (٤) الخفض : سعة العيش ورغده . والوارف : المتسع . يقول : إن كثرة الأموال مع ارتفاع الأسعار وغلاء الحاجات لا تغنى شيئا .

(٥) فتى الشعر، يريد نفسه . (٦) العميد، هو عميد الدولة الإنجليزية فى مصر، وهو اللورد كرومر، وقد بقى بها ما يزيد على أربعة وعشرين عاما، فقد حضر اليها فى سبتمبر سنة ١٨٨٣ م . وتركها فى سنة ١٩٠٧ م . وحقيق : جدير .

فودِّعْ لنا الطَّوْدَ الذى كان شامخًا (١) * وشيِّعْ لنا البَحْرَ الّذى كانَ مُزْبِدا

وزَوِّدْه عَنّا بالكرامةِ كلِّها * وإنْ لم يَكُنْ بالباقياتِ مُزَوَّدَا

فلِمْ لا نَرَى الأهرامَ يا نيلُ مُيَّدًا (٢) * وفِرْعَوْنُ عن واديكَ مُرْتَحِلٌ غَدا؟

كأنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عليه ولَمْ تَكُنْ * تَرَى فى حِمَى فِرْعَوْنَ أَمْنًا ولا جَدَا (٣)

سلامٌ ولو أنا نُسِيءُ إلى الأُلَى * أساءُوا إلينا ما مَدَدْنَا لهمْ يَدا

سَنُطْرِى أَيادِيكَ الّتى قد أَفَضْتَها (٤) * علينا فلَسْنا أُمَّةً تَجْحَدُ اليَدَا

أَمِنَّا فلَمْ نَسْلُكْ بنا الخَوْفُ مَسْلَكًا * ونِمْنَا فلَمْ يَطْرُقْ لنا الذُّعْرُ مَرْقَدا

وكنتَ رَحِيمَ القَلْبِ تَحْمِى ضَعِيفَنا * وتَدْفَعُ عنّا حادِثَ الدَّهْرِ إنْ عَدا

ولولا أسًى فى (دِنْشِوايَ) ولَوْعةٌ (٥) * وفاجِعَةٌ أَدْمَتْ قُلوبًا وأَكْبُدَا

ورَمْيُكَ شَعْبًا بالتَّعَصُّبِ غافِلًا (٦) * وتَصْوِيرُكَ الشَّرْقِىَّ غِرًّا مُجَرَّدَا

---

(١) الطود : الجبل العظيم . والشامخ : المرتفع . والمزبد : الذى يقذف بالزبد (بالتحريك) ، وهو ما يعلو الماء من الرغوة ، ولا يكون ذلك إلا عند هيجان البحر وثورانه . شبه الشاعر اللورد بالجبل العظيم فى رسوخه فى السياسة وعلو شأنه ، كما شبهه بالبحر المزبد فى ثورته وغضبه .

(٢) ميدا : مائلة مضطربة ، الواحد مائد . وشبه كرومر بفرعون ، لما كان يعرف به من الجبروت . (٣) الجدا (بفتح الجيم وتخفيف الدال) : العطاء . (٤) نطرى : نمدح . والأيادى : النعم . وأفضتها : أجريتها . ويشير فى هذا البيت والبيتين اللذين بعده الى مآثر اللورد فى مصر ، من نشر الأمن فى ربوع البلاد ، والأخذ بناصر الضعفاء ، وإنصافهم من ظلم الأقوياء .

(٥) الأسى : الحزن . وانظر التعريف بحادثة دنشواى (فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠ من هذا الجزء) .

(٦) رميك ، أى اتهامك . والغر : الذى لا تجربة له بالأمور لقصر نظره . ومجردا ، أى غير مزوّد بأسباب النهوض والجد .

لَذُبْنا أَسىً يومَ الوَداعِ لأَنّنا * نَرَى فِيكَ ذاكَ المُصلِحَ المُتَوَدِّدا

تَشَعَّبتِ الآراءُ فِيكَ فقائلٌ * أَفادَ الغِنَى أَهْلَ البِلادِ وأَسْعَدا

وكانت له فى المُصْلِحِين سِياسَةٌ * تَرَخَّص فيها تارةً وتَشَدَّدا (1)

رأَى العِزَّ كلَّ العِزّ فى بَسْطَةِ الغِنَى * فحَارَبَ جَيْشَ الفَقْرِ حتّى تَبَدَّدا (2)

وأَمْتَعَكُمْ بالنِّيلِ فهو مُبارَكٌ * على أَهْلِه ، خِصْباً و رِيّاً ومَوْرِدا (3)

وسَنَّ لَكُمْ حُرّيّةَ القَوْلِ عِنْدَ ما * رَأَى القَوْلَ فى أَسْرِ السُّكُوتِ مُقَيَّدا (4)

وآخَرُ لَمْ يَقْصِرْ على المالِ هَمَّه * يَرَى أنّ ذاكَ المالَ لا يَكْفُلُ الهُدَى (5)

فلا يَحْمَدُ الإثْراءَ حتّى يَزِينَه * بِعِلْمٍ ، وخيرُ العِلْمِ ما كانَ مُرْشِدا (6)

يُنادِيكَ قَدْ أَزْرَيْت بالعِلْمِ والحِجَا * ولَمْ تُبْقِ للتَّعْليمِ يا(لُرْدُ) مَعْهَدا (7)

وأَنّكَ أَخْصَبْتَ البِلادَ تَعَمُّدا * وأَجْدَبْتَ فى مِصْرَ العُقُولَ تَعَمُّدا

قَضَيْتَ على أُمِّ اللُّغاتِ وإنّه * قَضاءٌ علينا أو سَبِيلٌ إلى الرَّدَى (8)

---

(١) ترخص : لان وسهل . (٢) بسطة الغنى : سعته .

(٣) يشير بهذا البيت إلى الإصلاحات المتعلقة بالرى وتحسين النظم فى صرف مياه النيل التى أجريت فى عهد اللورد كرومر . (٤) سنّ : شرع . يشير بهذا البيت إلى حرية الصحافة فى عهد اللورد .

(٥) وآخر : معطوف على قوله السابق : « فقائل » . و يقصر ، أى يحبس . وهمه ، أى همته وعزمه . (٦) الإثراء : كثرة الأموال .

(٧) أزرى به : تهاون به ووضع من شأنه . (٨) يريد « بأم اللغات » : اللغة العربية . ويشير الى ما كان فى عهد اللورد كرومر من جعل دراسة أكثر العلوم فى المدارس باللغة الإنجليزية . والردى : الهلاك .

ووافَيْتَ والقُطْرانِ فى ظِلِّ رايَةٍ * فما زِلْتَ (بالسُّودانِ) حتَّى تَمَرَّدَا (١)

فطاحَ كما طاحَتْ (مُصَوَّعُ) بَعْدَه * وضاعَتْ مَساعِينا بأَطْماعِكُمْ سُدَى (٢)

حَجَبْتَ ضِياءَ الصُّحْفِ عن ظُلُماتِه * ولَم تَستَقِلْ حتَّى حَجَبْتَ (المُؤَيَّدا) (٣)

وأَوْدَعْتَ تَقْرِيرَ الوَداعِ مَغامِزًا * رأَيْنا جَفاءَ الطَّبْعِ فيها مُجَسَّدا (٤)

غَمَزْتَ بها دِينَ النَّبِيِّ وإنَّنا * لَنَغْضَبُ إنْ أَغْضَبْتَ فى القَبْرِ (أَحْمَدَا)

يُنادِيكَ أينَ النابِغُونَ بعَهْدِكُمْ * وأىُّ بناءٍ شامِخٍ قد تَجَدَّدا (٥)

فما عَهْدُ (إسماعِيلَ) والعَيْشُ ضَيِّقٌ * بأَجْدَبَ مِنْ عَهْدٍ لَكُمْ سالَ عَسْجَدا (٦)

يُنادِيكَ وَلَّيْتَ الوِزارةَ هَيْئَةً * مِن الصُّمِّ لَم تَسْمَعْ لأصْواتِنا صَدَى (٧)

فليسَ بها عندَ التَّشاوُرِ مِنْ فَتًى * أَبِيٍّ إذا ما أَصْدَرَ الأَمْرَ أَوْرَدَا

---

(١) وافيت ، أى حضرت إلى مصر . والقطران : مصر والسودان . ويريد « بالراية » : الراية المصرية . وتمرد : عصى وخرج عن الطاعة . يشير بهذا البيت إلى رأى السياسة البريطانية الذى أشارت به على مصر من إخلاء السودان فى سنة ١٨٨٤ م عند ما ثار المهدى ، حتى استفحل أمره وانتشرت دعوته ، وتألبت معظم القبائل على الحكومة ؛ وقد أعيد فتحه بعد ذلك بالجيشين المصرى والإنجليزى فى سنة ١٨٩٧ م . (٢) طاح ، أى ذهب وضاع . ومصوّع : ثغر معروف على البحر الأحمر ، وقد كان فى يد مصر ، ثم اضطرت إلى إخلائه أيام الحروب السودانية ، فضمته إيطاليا إلى أملاكها بموافقة انجلترا .

(٣) ظلماته ، أى ظلمات السودان ؛ ويريد ظلمات الجهل التى فيه . ويشير الشاعر إلى ما حدث فى عهد اللورد كرومر من منع بعض الصحف المصرية ، ومنها صحيفة المؤيد ، من دخول السودان خوفا من نشر الدعاية ضد الإنجليز . (٤) المغامز : المطاعن . ويشير الشاعر إلى ما ذكره اللورد كرومر فى تقريره عن مصر ، حين تركها ، من طعن على المصريين . (٥) يناديك ، أى هذا الآخر الذى سبق ذكره فى قوله : « وآخر يقصر ... الخ » . (٦) العسجد : الذهب الخالص .

(٧) الصدى : ما يرجع من الصوت إذا خرج ووجد ما يحبسه ؛ ولذلك يقال له : رجع الصدى .

بِرَبِّكَ ماذا صَدَّنا ولَوَى بِنا (١) * عن القَصْدِ إنْ كان السَّبِيلُ مُمَهَّدا؟

أَشَرْتَ بِرَأْيٍ فى كِتابِكَ لم يَكُنْ * سَدِيداً ولكن كان سَهْمًا مُسَدَّدا (٢)

وحاوَلْتَ إعْطاءَ الغَرِيبِ مَكانَةً * تَجُرُّ علينا الوَيْلَ والذُّلَّ سَرْمَدا (٣)

فياوَيْلَ مِصْرٍ يومَ تَشْقَى بنَدْوَةٍ * يَبِيتُ بها ذاكَ الغَرِيبُ مُسَوَّدا (٤)

أَلَمْ يَكْفِنا أَنَّا سُلِبْنا ضِياعَنا * على حِينِ لم نَبْلُغْ مِنَ الفِطْنَةِ المَدَى (٥)

وزاحَمَنا فى العَيْشِ كُلُّ مُمارِسٍ * خَبِيرٍ وكُنّا جاهِلِينَ ورُقَّدا (٦)

وما الشَّرِكاتُ السُّودُ فى كُلِّ بَلْدَةٍ * سِوَى شَرَكٍ يُلْقِى به مَنْ تَصَيَّدا

فهٰذا حَدِيثُ النَّاسِ والنَّاسُ أَلْسُنٌ * إذا قال هٰذا، صاحَ ذاكَ مُفَنِّدا (٧)

ولو كنتُ مِنْ أَهْلِ السِّياسَةِ بَيْنَهُمْ * لَسَجَّلْتُ لى رَأْياً وبَلَّغْتُ مَقْصِدا

ولٰكنَّنى فى مَعْرِضِ القَوْلِ شاعِرٌ * أَضافَ إلى التّارِيخِ قَوْلًا مُخَلَّدا

فيأَيُّها الشَّيْخُ الجَلِيلُ تَحِيَّةً * ويأَيُّها القَصْرُ المُنِيفُ تَجَلُّدا (٨)

لئن غابَ هٰذا اللَّيْثُ عنكَ لِعِلَّةٍ * لقد لَبِثَتْ آثارُه فِيكَ شُهَّدا

(١) لوى به عن القصد، أى صرفه عنه. يقول: إن صح ما يقال من أنك أحسنت السياسة فى مصر ووليت أمورها أكفاءها، فما بالنا نخرف عن القصد ونسير فى غير النهج.

(٢) المسدّد: المصوب نحو الهدف. (٣) السرمد: الدائم. (٤) الندوة: المكان يجتمع فيه القوم للتشاور. ويشير إلى ما كان يراد من إنشاء مجلس للشورى مختلط من المصريين والأجانب. (٥) المدى: الغاية. ويشير بهذا البيت إلى ما استولى عليه الأجانب من أراضينا الزراعية بما نصبوه من أشراك الديون ذوات الفوائد المرهقة. (٦) مارس الأمر: عالجه وزاوله. يشير فى هذا البيت إلى أرباب الاقتصاد الخبيرين باكتساب المال واستثماره من الأجانب، وجهل المصريين بهذا الفن. (٧) مفندا: مكذبا مجهلا. (٨) يريد قصر الدوبارة الذى كان يسكنه العميد.

استقبال السير غورست[1]

قالها فى استقباله عند مجيئه إلى مصر معتمدا للدولة الإنجليزية خلفا للورد كرومر
يبث فيها آلام المصريين وآمالهم

[نشرت فى ١٠ أكتوبر سنة ١٩٠٧ م]

بَناتِ الشِّعْرِ بالنَّفَحاتِ جُودِى * فهٰذا يومُ شاعِرِكِ المُجِيدِ[2]
أَطِلِّى وٱسفِرِى ودَعِيه يُحْيِى * بما تُوحِينَ أَيَّامَ الرَّشِيدِ[3]
إذا ما جَلَّ قَدْرُكِ عَنْ هُبوطٍ * مُرِيهِ الى سَمائِكِ بالصُّعُودِ
وأَوْلِى ذلكَ الفانِى بَياناً * يَتِيهُ به على أَهْلِ الخُلُودِ
وحُلِّى عُقْدَةً مِنْ أَصْغَرَيْهِ * يَلِنْ لِهُتافِه قاسِى الحَدِيدِ[4]
فما أنَا واقِفٌ برُسومِ دارٍ * أُسائِلُها ولا كَلِفٌ برُودِ[5]
ولا مُسْتَنْزِلٌ هِبَةً بمَدْحٍ * ولا مُسْتَنْجِزٌ حُرَّ الوُعُودِ
ولٰكِنِّى وَقَفْتُ أنُوحُ نَوْحاً * على قَوْمِى وأَهْتِفُ بالنَّشِيدِ
وأَدْفَعُ عنهُمُ بشَبا يَراعٍ * يَصُولُ بكلِّ قافِيَةٍ شَرُودِ[6]

---

(١) ولد غورست سنة ١٨٦١ م، وتوفى فى يوليه سنة ١٩١١ م. وكان مستشارا لوزارة المالية من سنة ١٨٩٨ م الى سنة ١٩٠٤ م. وفى سنة ١٩٠٧ م عين عميدا للدولة الإنجليزية مكان اللورد كرومر.

(٢) بنات الشعر: معانيه وخواطره. ويريد «بالشاعر المجيد»: نفسه.

(٣) سفرت المرأة تسفر (من باب ضرب): كشفت عن وجهها. ويريد «بالرشيد»: هارون الرشيد الخليفة العباسى المعروف؛ وخصه بالذكر لكثرة من كان فى زمنه من الشعراء المجيدين.

(٤) الأصغران: القلب واللسان.

(٥) رسوم الدار: آثارها. والكلف: المولع بالشىء الشديد الحب له. والرؤد (بالهمز وسهلت): الشابة الحسنة.

(٦) شبا اليراع: سن القلم. وقافية شرود، أى سائرة ذائعة.

بَنَاتُ الشِّعْرِ إِنْ هِيَ أَسْعَدَتْنِي (١) * شَكَوْتُ مِنَ العَمِيدِ الى العَمِيدِ

وَلَمْ أَجْحَدْ عَوَارِفَهُ (٢) وَلٰكِنْ * رَأَيْتُ المَنَّ دَاعِيَةَ الجُحُودِ

أَذِيقُونَا (٣) الرَّجَاءَ فَقَدْ ظَمِئْنَا * بِعَهْدِ المُصْلِحِينَ الى الوُرُودِ

وَمُنُّوا بِالوُجُودِ فَقَدْ جَهِلْنَا * بِفَضْلِ وُجُودِكُمْ مَعْنَى الوُجُودِ

إِذَا اعْلَوْلَى (٤) الصِّيَاحُ فَلَا تَلُمْنَا * فَإِنَّ النَّاسَ فِي جُهْدٍ جَهِيدِ

عَلَى قَدْرِ الأَذَى وَالظُّلْمِ يَعْلُو * صِيَاحُ المُشْفِقِينَ (٥) مِنَ المَزِيدِ

جِرَاحٌ فِي النُّفُوسِ نَغَرْنَ (٦) نَغْرًا * وَكُنَّ قَدِ انْدَمَلْنَ عَلَى صَدِيدِ

إِذَا مَا هَاجَهُنَّ أَسًى جَدِيدٌ * هَتَكْنَ سَرَائِرَ (٧) القَلْبِ الجَلِيدِ

الى مَنْ نَشْتَكِي عَنَتَ (٨) اللَّيَالِي * الى (العَبَّاسِ) أَمْ (عَبْدِ الحَمِيدِ)؟

وَدُونَ حِمَاهُمَا قَامَتْ رِجَالٌ * تُرَوِّعُنَا (٩) بِأَصْنَافِ الوَعِيدِ

---

(١) أسعدتني : أعانتني . وفي كتب اللغة : أن «شكا» يتعدى بنفسه لا بالحرف .

(٢) العوارف : النعم ، الواحدة عارفة . وفي البيت تعريض بما كان يمن به اللورد كرومر على المصريين من أنه أنهضهم وأصلح من أحوالهم .

(٣) الخطاب في «أذيقونا» للحاكمين . وفي قوله : «بعهد المصلحين» تهكم ظاهر .

(٤) اعلولى : علا .

(٥) المشفقون : الخائفون .

(٦) نغر الجرح : سال دمه . والصديد : القيح .

(٧) السرائر : جمع سريرة ، وهي ما يسره الإنسان من أمره . والجليد : الصبور .

(٨) العنت : الأذى والمشقة .

(٩) روّعه : أخافه وأفزعه .

فما جئنا نطاولكم بجاهٍ (١) * يطولكمُ ولا ركنٍ شديدِ

ولا بتنا نعاجزكم بعلمٍ (٢) * يبين به الغوىُّ من الرشيدِ

ولكنا نطالبكم بحقٍّ * أضرَّ بأهله نقض العهودِ (٣)

رمانا صاحب التقرير ظلماً (٤) * بكفران العوارف والكنودِ

وأقسم لا يجيب لنا نداءً * ولو جئنا بقرآنٍ مجيدِ

وبشَّر أهل مصر باحتلالٍ * يدوم عليهمُ أبد الأبيدِ (٥)

وأنبت في النفوس لكم جفاءً * تعهَّده بمنهلّ الصدودِ (٦)

فأثمر وحشةً بلغت مداها * وزكَّاها بأربعةٍ شهودِ (٧)

قتيل الشمس أورثنا حياةً (٨) * وأيقظ هاجع القوم الرقودِ

فليت (كرومراً) قد دام فينا * يطوِّق بالسلاسل كل جيدِ

---

(١) طاوله بجاهه : فاخره به . وطاله يطوله : علاه وارتفع عليه . ويريد « بالركن الشديد » : العزة والمنعة . والخطاب في هذا البيت وما بعده للإنجليز .

(٢) نعاجزكم : نأتي بما يعجزكم . (٣) يريد « بالعهود » : وعود ساسة الإنجليز بالجلاء عن مصر .

(٤) صاحب التقرير ، هو اللورد كرومر ، وكان قد اتهم المصريين في أحد تقريراته التي كان يرفعها لدولته بعدم الاعتراف بجميل الدولة البريطانية عليهم . والكنود : الكفر بالنعمة .

(٥) أبد الأبيد ، أي أبد الدهر . (٦) المنهل : المطر يشتد انصبابه .

(٧) يريد « بالشهود الأربعة » : من أعدموا في دنشواي ، فهم بما لقوا شهود عدول على ظلم العميد .

(٨) قتيل الشمس : الضابط الإنجليزي الذي مات في حادث دنشواي بضربة الشمس ، واتهم الأهلون بقتله . والهاجع : النائم . يريد أن ما أصاب الناس من العذاب بسبب هذا القتيل جعلهم يهبون ويستيقظون الى المطالبة بالحرية .

ويُتْحِفُ (مِصْـرَ) آنًا بَعْدَ آنٍ * بِمَجْـلُودٍ ومَقْتُـولٍ شَـهِيدِ
لِنَنْزِعَ هٰـذه الأكْفانَ عَنَّـا * ونُبْعَثَ فى العَـوالِمِ مِنْ جَـدِيدِ
(١)
رَمَى (دارَ المَعـارِفِ) بالرَّزايا * وجاءَ بِكُلِّ جَبّارٍ عَنِيـدِ
(٢)
يُدِلّ بِحَـوْلِهِ ويَتِيـهُ تِيهًـا * ويَعْبَثُ بالنُّهَى عَبَثَ الوَلِيـدِ
(٣)
فَبَـدَّدَ شَمْلَهـا وأَدالَ منهـا * وصاحَ بهـا : سَبِيلُكِ أنْ تَبِيدِى
(٤)
هَبُـوا (دَنْلُوبَ) أَرْحَبَـكُمْ جَنـانًا * وأَقْـدَرَكُمْ على نَزْعِ الحُقُـودِ
(٥)
وأَعْلَى مِنْ (غِلادَسْتُونَ) رَأيًا * وأَحْكَمَ مِنْ فَلاسِفَةِ (الهُنُـودِ)
فإِنّا لا نُطِيـقُ له جِـوارًا * وقَـد أَوْدَى بنـا أو كادَ يُودِى
(٦)
مَلِلْنـا طُـولَ صُحْبَتِـه ومَلَّتْ * سَوابِقُنـا مِنَ المَشْىِ الوَئِيـدِ
بِحَمْـدِ اللهِ مُلْكُكُمُ كَبِيرٌ * وأنـتمْ أهـلُ مَرْحَمَـةٍ وَجُـودِ
خُذُوه فأَمْتِعُـوا شَـعْبًا سِـوانا * بِهٰـذا الفَضْـلِ والعِـلْمِ المُفِيـدِ

---

(١) كل جبار عنيد : يريد مستشار المعارف إذ ذاك ، وهو المستر دانلوب وأعوانه .

(٢) الحول : القوة .

(٣) أدال منها : أذلها وأذهب عزها ودولتها . و تبيد : تهلك .

(٤) الجنان : القلب .

(٥) غلادستون ، هو وليم غلادستون . ولد بليفربول فى التاسع والعشرين من شهر سبتمبر سنة ١٨٠٩ م ، وكان من ساسة الانجليز المشهورين ، وتولى وزارة المالية مرتين ، ثم كان رئيسا لمجلس النواب ، ثم رأس الوزارة الانجليزية أربع مرات . وتوفى فى ١٩ مايو سنة ١٨٩٨ م .

(٦) السوابق : الخيل التى تجىء سابقة فى الحلبة ؛ و يريد بهم أعلام الأمة ونوابغها . والوئيد من المشى : البطىء منه .

إذا ٱسْتَوْزَرْتَ فاسْتَوْزِرْ عَلَيْنَا (١) * فَتًى (كالفَضْلِ) او (كٱبْنِ ٱلعَمِيدِ)

ولا تُثْقِلْ مَطاهُ بمُسْتَشارٍ (٢) * يَحِيدُ به عن القَصْدِ الحَمِيدِ

وفى الشُّورَى بِنا داءٌ عَهِيدٌ (٣) * قد ٱستَعْصَى على الطِّبِّ العَتِيدِ

شُيُوخٌ كُلَّما هَمَّتْ بأَمْرٍ * زَأَرْتُمْ دُونَه زَأْرَ الأُسُودِ

لِحًى بَيْضاءُ يومَ الرَّأْيِ هانَتْ (٤) * على حُمْرِ المَلابِسِ والخُدُودِ

أَتَرْضَى أَنْ يُقالَ وأَنْتَ حُرٌّ (٥) * بأنَّكَ قَيْنُ هاتِيكَ القُيُودِ؟

وهَلْ فى دارِ نَدْوَتِكُمْ أُناسٌ (٦) * بِهٰذا المَوتِ أو هٰذا الجُمُودِ؟

فَنَحِّ غَضاضَةَ التَّامِيزِ عَنَّا * كَفَانا سائِغُ النِّيلِ السَّعِيدِ

أَرَى أَحداثَكُمْ مَلَكُوا علينا (٧) * (بِمِصْرَ) مَوارِدَ العَيْشِ الرَّغِيدِ

---

(١) الفضل : هو أبو العباس الفضل بن سهل أخو الحسن بن سهل ، أسلم على يد المأمون فى سنة ١٩٠ هـ ، وكان وزيرا للرشيد ، وكان يلقب بذى الرياستين لأنه كان رب القلم والسيف . ومات مقتولا يوم الخميس ثانى شعبان سنة ٢٠٢ هـ . وابن العميد ، هو الوزير أبو الفضل محمد بن الحسين بن العميد الفارسى الأصل ، وزر لركن الدولة أبى على بن بويه ، والد عضد الدولة المشهور فى سنة ٣٢٨ هـ ، فساس دولته ووطد أركانها ، ومازال فى وزارته محط رحال الشعراء والأدباء والعلماء حتى توفى سنة ٣٦٠ هـ . وخص الفضل وابن العميد لتشجيعهما العلم والأدب . (٢) المطا : الظهر ، يرغب إلى العميد البريطانى أن يحمّل على وزارة المعارف أمثال الفضل وابن العميد ، على ألا يثقل أيديهم بمستشار (كدنلوب) .

(٣) العهيد : القديم الذى أتى عليه عهد طويل . يقول إن مجلس الشورى فى مصر عيوبا قديمة استعصى شفاؤها من قديم على المصلحين . (٤) يريد «باللحى البيضاء» : أعضاء مجلس الشورى والجمعية العمومية . و «بحمر الملابس والخدود» : الانجليز . وكان مما تميز به جنودهم إذ ذاك الأكسية الحمراء .

(٥) القين : الحدّاد . (٦) دارندوتكم ، يريد بها مجلس العموم البريطانى . ويشير بهذا البيت والأبيات الأربعة التى قبله إلى ضعف رأى مجلس الشورى والجمعية العمومية ، لأن الحكومة كانت حرة فى قبول رأيهما أو ردّه . (٧) الرغيد : الواسع الطيب .

وقد ضِقْنا بِهِمْ وأَبِيكَ ذَرْعًا * وضاقَ بحمْلِهِمْ ذَرْعُ البَرِيدِ
أَكُلُّ مُوَظَّفٍ منكُمْ قَدِيرٌ * على التَّشْرِيعِ فى ظِلِّ العَمِيدِ؟
فضَعْ حَدًّا لهمْ وٱنْظُرْ إلينا * إذا أَنْصَفْتَنا نَظَرَ الوَدُودِ
وخَبِّرْهُمْ وأنتَ بِنا خَبِيرٌ * بأنَّ الذُّلَّ شِنْشِنَةُ(١) العَبِيدِ
وأنَّ نُفُوسَ هٰذا الخلْقِ تَأْبَى * لِغَيْرِ إِلٰهِها ذُلَّ السُّجُودِ
وَوَلِّ أُمُورَنا الأَخْيارَ مِنَّا * نَثِبْ بِهِمُ الى الشَّأْوِ(٢) البَعِيدِ
وأَشْرِكْنا معَ الأَخْيارِ مِنْكُمْ * اذا جَلَسُوا لإيقامِ(٣) الحُدُودِ
وأَسْعِدْنا بجامِعَةٍ وشَيِّدْ * لنا مِنْ مَجْدِ دَوْلَتِكَ المَشِيدِ
وإنْ أَنْعَمْتَ بالإصْلاحِ فابدَأْ * بِتِلْكَ(٤) فإنَّها بَيْتُ القَصِيدِ
وفَرِّجْ أَزْمَةَ الأَمْوالِ عَنَّا * بما أُوتِيتَ مِنْ رَأْيٍ سَدِيدِ
وسَلْ عنها (اليَهُودَ) ولا تَسَلْنا * فقد ضاقَتْ بها حِيَلُ (اليَهُودِ)
إذا ما ناحَ فى (أُسْوانَ) باكٍ * سَمِعْتَ أَنِينَ شاكٍ فى (رَشِيدِ)
جميعُ النّاسِ فى البَلْوَى سَواءٌ * بأَدْنَى الثَّغْرِ أو أَعْلَى الصَّعِيدِ
تَدارَكْ أُمَّةً بالشَّرْقِ أَمْسَتْ * على الأَيّامِ عاثِرَةَ(٥) الجُدُودِ

---

(١) الشنشنة : العادة والطبيعة . (٢) الشأو : الغاية . (٣) يلاحظ أنه لم يرد فى كتب اللغة « إيقام » بياء بعد الهمزة كما فى هذا البيت . والذى ورد « إقام » بدون ياء مصدر أقام . (٤) بتلك ، أى بالجامعة المصرية ، ولم تكن قد أنشئت إذ ذاك .
(٥) عاثرة الجدود : أى تاعسة الحظوظ .

وَأَيِّدْ مِصْر والسُّودانَ وآغْنَمْ * ثَناءَ القَوْمِ مِنْ بِيضٍ وسُودِ

وما أَدْرِى وقد زَوَّدْتُ شِعْرِى * وَظَنِّى فيكَ بالأَمَلِ الوَطِيدِ (١)

أَجِئْتَ تَحُوطُنا وتَرُدُّ عَنّا * وتَرْفَعُنا إلى أَوْجِ السُّعُودِ؟ (٢)

أَمِ اللُّدُّ الذى أَنْحَى عَلَيْنا * أَتَى فى ثَوْبِ مُعْتَمِدٍ جَدِيدِ؟ (٣)

تحيّة العام الهجرىّ

[سنة ١٣٢٧ هـ — يناير سنة ١٩٠٩ م]

أَطَلَّ على الأَكْوانِ والخَلْقُ تَنْظُرُ * هِلالٌ رآهُ المُسْلِمُونَ فكَبَّرُوا

تَجَلَّى لهمْ فى صُورةٍ زادَ حُسْنَها * على الدهرِ حُسْناً أَنّها تَتَكَرَّرُ (٤)

وبَشَّرَهُمْ مِنْ وَجْهِهِ وجَبِينِهِ * وغُرَّتِهِ والناظِرِينَ مُبَشِّرُ

وأَذْكَرَهُمْ يوماً أَغَرَّ مُحَجَّلاً * به تُوِّجَ التارِيخُ والسَّعْدُ مُسْفِرُ (٥)

وهاجَرَ فيه خيرُ داعٍ إلى الهُدَى * يَحُفُّ به مِنْ قُوَّةِ اللهِ عَسْكَرُ

يُماشِيهِ جِبْرِيلٌ وتَسْعَى وَراءَهُ * مَلائِكَةٌ تَرْعَى خُطاهُ وتَخْفِرُ (٦)

---

(١) الوطيد : الثابت القوى . و« بالأمل » متعلق بـ« زودت » . (٢) حاطه يحوطه : حفظه وتعهده . (٣) أنحى علينا ، أى أقبل علينا بالشدة والقسوة والعنف .

(٤) تجلى : ظهر وتكشف . (٥) يقال : يوم أغر محجل ، إذا كان مشهورا . وأصل هاتين الصفتين من النعوت المحمودة فى الخيل ؛ الأغر منها : ما كان فى جبهته بياض . والمحجل : ما كان البياض فى قوائمه . والمسفر : المضىء المشرق . ويريد بهذا اليوم : يوم هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة . (٦) يماشيه : يمشى معه . وتخفر : تحرس .

بِيُسراهُ بُرهانٌ مِن اللهِ ساطِعٌ * هُدًى، وبِيُمْناهُ الكِتابُ المُطَهَّرُ

فكانَ على أبوابِ (مَكَّةَ) رَكْبُهُ * وفى (يَثْرِبٍ) أنوارُهُ تَتَفَجَّرُ (١)

مَضَى العامُ مَيْمُونَ الشُّهورِ مُبارَكًا * تُعَدَّدُ آثارٌ له وتُسَطَّرُ

مَضَى غَيْرَ مَذْمومٍ فإنْ يَذْكُروا له * هَناتٍ فطَبْعُ الدَّهْرِ يَصْفُو ويَكْدُرُ (٢)

وإنْ قِيلَ أَوْدَى بالأُلُوفِ أجابَهُمْ * مُجِيبٌ: لقد أَحْيَا المَلايِينَ فانْظُرُوا (٣)

إذا قِيسَ إحْسانُ امرِئٍ بإساءَةٍ * فأَرْبَى عليها فالإساءَةُ تُغْفَرُ (٤)

ففيهِ أَفاقَ النائمُونَ وقد أَتَتْ * عليهِمْ كأَهْلِ الكَهْفِ فى النَّومِ أَعْصُرُ (٥)

وفى عالَمِ الإسْلامِ فى كلِّ بُقْعَةٍ * له أَثَرٌ باقٍ وذِكْرٌ مُعَطَّرُ

سَلُوا (التُّرْكَ) عَمَّا أَدْرَكُوا فِيه مِنْ مُنًى * وما بَدَّلُوا فى المَشْرِقَيْنِ وغَيَّرُوا

وإنْ لَمْ يَقُمْ إلَّا (نِيازِى) و(أَنْوَرٌ) * فقَدْ مَلَأَ الدُّنْيا (نِيازِى) و(أَنْوَرُ) (٦)

تَواصَوْا بِصَبْرٍ ثُمَّ سَلُّوا مِنَ الحِجَا * سُيُوفًا وجَدُّوا جِدَّهُمْ وتَدَبَّرُوا (٧)

---

(١) يثرب : الاسم القديم لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وشبه انبثاق الأنوار بتفجر الماء .

(٢) الهنات : الهفوات اليسيرة التى تحتمل أمثالها (٣) أودى بهم : أهلكهم .

(٤) أربى : زاد . (٥) يشير بقوله « أفاق النائمون » : إلى بعض الشعوب التى هبت فى العام المتحدث عنه تطالب بحريتها ودستورها بعد أن سكنت على الذل والاستعباد مدة طويلة ، ومن هذه الشعوب : الشعب التركى والفارسى والمصرى ، كما سيشير الشاعر إلى ذلك بعد . فشبه سكوتهم فيما مضى بنوم أهل الكهف . (٦) نيازى وأنور : بطلان معروفان من أبطال جمعية الاتحاد التركية ، وقد أبليا بلاء حسنا فى إعادة الدستور الى أمتهما .

(٧) تواصوا ، أى الترك . والتواصى : أن يوصى القوم بعضهم بعضا . والحجا : العقل . وجدّوا جدّهم ، أى اجتهدوا وثابروا .

فسادُوا وشادُوا للهِلالِ مَنازِلًا * على هامِها سَعْدُ الكواكبِ يُنْثَرُ (١)

تَجَلَّى بها (عَبْدُ الحَمِيدِ) بوَجْهِه * على شَعْبِه والشاهُ خَزْيانُ يَنْظُرُ (٢)

سَلامٌ على (عَبْدِ الحَمِيدِ) وجَيْشِه * وأمّتِه ما قامَ في الشَّرْقِ مِنْبَرُ

سَلُوا (الفُرْسَ) عَنْ ذِكْرَى أَيادِيهِ عِنْدَهُمْ * فقد كانَ فيه (الفُرْسُ) عُمْيًا فأَبْصَرُوا (٣)

جَلا لَهُمُ وَجْهَ الحياةِ فشاقَهُمْ * فباتُوا على أَبْوابِها وتَجَمْهَرُوا (٤)

يُنادُونَ أَنْ مُنِّي علينا بنَظْرَةٍ * وأَحْيِي قُلوبًا أَوْشَكَتْ تَتَفَطَّرُ (٥)

كِلانَا مَشُوقٌ والسَّبِيلُ مُمَهَّدٌ * إلى الوَصْلِ لولا ذلكَ المُتَغَشْمِرُ (٦)

أَطِلِّي علينا لا تَخافِي فإنَّنا * بِسِرِّكِ أَوْفَى منه حَوْلًا وأَقْدَرُ (٧)

سَلامٌ عليكم أُمّةَ (الفُرْسِ) إنّكمْ * خَلِيقُونَ أَنْ تَحْيَوْا كِرامًا وتَفْخَرُوا (٨)

ولا أُقْرِئُ (الشاهَ) السَّلامَ فإنّه * يُرِيقُ دِماءَ المُصْلِحِينَ ويَهْدُرُ (٩)

وفيه هَوَى (عبدُ العَزِيزِ) وعَرْشُه * وأَخْنَى عليه الدَّهْرُ والأَمْرُ مُدْبِرُ (١٠)

---

(١) الهام : الرءوس ، الواحدة هامة . (٢) الشاه : ملك العجم . ووصفه بالخزى لأنه لم يعط أمته الدستور أسوة بالترك . (٣) أياديه ، أى أيادى العام ونعمه عليهم . (٤) استعمال « التجمهر » بمعنى التجمع ، كما فى هذا البيت استعمال شائع فى كلام عصرنا ، ولم نجد هذه الصيغة بهذا المعنى فيما راجعناه من كتب اللغة التى بين أيدينا والصواب : « وتجمروا » بإسقاط الهاء وتشديد الميم ، أى تجمعوا . (٥) منى ، خطاب للحياة . وتتفطر : تتشقق . (٦) المتغشمر : المتنمر الظالم ، يريد شاه العجم . (٧) الحول : القوة . يقول : إننا بسبب إدراكنا سر الحياة حين نناها أقوى وأقدر من ذلك الظالم الجبار الذى يحول بيننا وبينها . (٨) خليقون : جديرون . (٩) يشير بهذا البيت إلى ما كان يصبه الشاه على زعماء النهضة وطلاب الحرية فى فارس من أنواع العذاب والقتل . (١٠) وفيه ، أى فى هذا العام المنصرم (سنة ١٣٢٦ هـ — ١٩٠٨ م) . وهوى : سقط . وعبد العزيز ، هو سلطان مراكش . (انظر التعريف به فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٦ من هذا الجزء) . وأخنى عليه الدهر : أتى عليه وأهلكه .

ولا عَجَبٌ أَنْ ثُلَّ عَرْشُ مُمَلَّكٍ * قَوائِمُه عُودٌ ودُفٌّ ومِزْهَرُ (١)

فأَلْقَى إلى (عبدِ الحَفيظ) بتاجِه * ومَرَّ على أدراجِه يتعَثَّرُ (٢)

وقامَ بأَمْرِ المُسْلِمينَ مُوَفَّقٌ * على عَهْدِهِ (مُرّاكُشٌ) تتحَضَّرُ

وفي دَوْلَةِ (الأَفْغانِ) كانتْ شُهورُه * وأيّامُه بالسَّعْدِ واليُمْنِ تَزْهَرُ (٣)

أَقامَ بها والعُودُ رَيّانُ أَخْضَرٌ * وفارَقَها والعُودُ فَيْنانُ مُثْمِرُ (٤)

وعَوَّذَها باللهِ مِنْ شَرِّ طامِعٍ * إذا ما رَمَى (إِدْوَرْدُ) أَوْ راشَ (قَيْصَرُ) (٥)

وفيه نَمَتْ في (الهِنْدِ) للعِلْمِ نَهْضَةٌ * أَرَى تَحْتَها سِرًّا خَفِيًّا سَيَظْهَرُ (٦)

فتَجْرِي الى العَلْياءِ والمَجْدِ شَوْطَها * ويُخْصِبُ فِيها كُلُّ جَدْبٍ ويَنْضَرُ (٧)

وفيه بَدَتْ في أُفْقِ (جاوَةَ) لَمْعَةٌ * أَضاءَتْ لأَهْلِيها السَّبِيلَ فبَكَّرُوا (٨)

فيالَيْتَه أَوْلَى (الجَزائرَ) مِنَّةً * تُفَكُّ لها تِلْكَ القُيُودُ وتُكْسَرُ (٩)

---

(١) ثل: هدم. ويشير بهذا البيت إلى طلب عبد العزيز لجماعة من المغنين والمغنيات من مصر. (انظر الكلام على هذا فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٦ من هذا الجزء). (٢) تولى عبد الحفيظ سلطنة مراكش بعد خلع أخيه عبد العزيز سنة ١٩٠٨ م. وفى عهده جعلت فرنسا مدينة فاس عاصمة البلاد فى ٢١ مايو سنة ١٩١١ م. وقد تنازل عبد الحفيظ لأخيه مولاى يوسف عن السلطنة فى سنة ١٩١٢ م.

(٣) تزهر: تشرق وتضىء. (٤) الفينان من النبات: الحسن الطويل. ويريد خصب البلاد وكثرة الخير فيها. (٥) عوّذها: حصنها وحفظها. وإدوارد، هو إدوارد السابع ملك الإنجليز. وراش السهم يريشه: ألصق عليه الريش، وذلك ليكون أسرع فى ذهابه نحو الغرض. وقيصر: لقب ملك روسيا. وإنما خص إدوارد وقيصر لمجاورة الهند وروسيا لبلاد الأفغان. والمعنى أن هذا العام حفظ بلاد الأفغان من طمع جيرانها الأقوياء. (٦) نمت: زادت. (٧) ينضر، من النضرة، وهى الحسن والبهجة. (٨) لمعة، أى لمعة من شعاع الأمل. وبكر فلان الى الأمر: أتاه فى أول وقته وبادر إليه. (٩) يريد «بالقيود» فى هذا البيت: قيود الاستعباد والأسر التى قيدت بها فرنسا هذا الإقليم من المغرب.

وفى (تُونُس) الْخَضْـراءِ يالَيْتَه بَنَى * له أَثَرًا فى لَوْحَةِ الدَّهْرِ يُذْكَرُ

وفيه سَرَتْ فى (مِصْرَ) رُوحٌ جَدِيدَةٌ * مُبارَكَةٌ مِنْ غَيْرَةٍ تَتَسَعَّرُ

خَبَتْ زَمَنًا حتّى تَوَهَّمْتُ أَنَّها * تَجافَتْ عن الإيراءِ لولا (كُرُومَرُ) (١)

تَصَدَّى فأَوْراها وهَيْهاتَ أَنْ يَرَى * سَبِيلًا إلى إخْمادِها وهى تَزْفِرُ (٢)

مَضَى زَمَنُ التَّنْوِيمِ يانِيلُ وانْقَضَى * ففِى (مِصْرَ) أَيْقاظٌ على (مِصْرَ) تَسْهَرُ

وقد كان "مُرْفِينُ" الدَّهاءِ مُخَدِّرًا (٣) * فأَصبَحَ فى أَعْصابِنا يَتَخَدَّرُ

شَعَرْنا بحاجاتِ الحَياةِ فإنْ وَنَتْ * عَزائِمُنا عَنْ نَيْلِها كيفَ نُعْذَرُ؟

شَعَرْنا وأَحْسَسْنا وباتَتْ نُفُوسُنا * من العَيْشِ إلّا فى ذَرا العِزِّ (٤) تَسْخَرُ

إذا اللهُ أَحْيا أُمَّةً لَنْ يَرُدَّها * إلى المَوْتِ قَهّارٌ ولا مُتَجَبِّرُ

رِجالَ الغَدِ المأمولِ إنّا بحاجَةٍ * إلى قادَةٍ تَبْنِى وشَعْبٍ يُعَمِّرُ

رِجالَ الغَدِ المَأمولِ إنّا بحاجَةٍ * إلى عالِمٍ يَدْعُو وداعٍ يُذَكِّرُ

رِجالَ الغَدِ المَأمولِ إنّا بحاجَةٍ * إلى عالِمٍ يَدْرِى وعِلْمٍ يُقَرَّرُ

رِجالَ الغَدِ المَأمولِ إنّا بحاجَةٍ * إلى حِكْمَةٍ تُمْلَى وكَفٍّ تُحَرِّرُ

---

(١) خبت : سكنت وخمدت . وتجافت : تباعدت . و إيراء النار : إشعالها .

(٢) تصدّى : تعرض . وتزفر، أى يسمع صوت توقدها . يقول : إن اللورد كرومر عميد الدولة الإنجليزية تصدّى لنار الوطنية فى قلوب المصريين فأشعلها بعد خمودها بما صبه عليهم من المظالم والمحن .

(٣) المرفين : مخدّر معروف؛ والمراد به هنا خداع السياسة . (٤) ذرا العز (بفتح الذال) : كنفه وظله .

رِجالَ الغَدِ المَأْمُولِ إنَّا بِحاجَةٍ * إليكُمْ فَسُدُّوا النَّقْصَ فِينَا وشَمِّرُوا (١)

رِجالَ الغَدِ المأمولِ لا تَتْرُكُوا غَدًا * يَمُرُّ مُرُورَ الأَمْسِ والعَيْشُ أَغْبَرُ

رِجالَ الغَدِ المَأْمُولِ إنَّ بِلادَكُمْ * تُناشِدُكُمْ باللهِ أَنْ تَتَذَكَّرُوا

عليكُمْ حُقُوقٌ لِلبِلادِ أَجَلُّها * تَعَهُّدُ رَوضِ العِلْمِ فالرَّوْضُ مُقْفِرُ

قُصارَى مُنَى أَوطانِكُمْ أَنْ تَرى لَكُمْ * يَدًا تَبْتَنِي مَجْدًا ورَأْسًا يُفَكِّرُ (٢)

فكُونُوا رِجالًا عامِلِينَ أَعِزَّةً * وصُونُوا حِمَى أَوْطانِكُمْ وتَحَرَّرُوا

ويا طالِبِي الدُّسْتُورِ لا تَسْكُنُوا ولَا * تَبِيتُوا على يَأْسٍ ولا تَتَضَجَّرُوا

أَعِدُّوا لَه صَدْرَ المَكانِ فإنَّنِي * أَراهُ على أَبْوابِكُمْ يَتَخَطَّرُ

فلا تَنْطِقُوا إلَّا صَوابًا فإنَّنِي * أَخافُ عليكُمْ أَنْ يُقالَ تَهَوَّرُوا (٣)

فما ضاعَ حَقٌّ لم يَنَمْ عنه أَهْلُهُ * ولا نالَه في العالَمِينَ مُقَصِّرُ

لقد ظَفِرَ الأَتْراكُ عَدْلًا بِسُؤْلِهِمْ * ونَحْنُ على الآثارِ لا شَكَّ نَظْفَرُ

هُمُ لَهُمُ العامُ القَدِيمُ مُقَدَّرٌ * ونَحْنُ لنا العامُ الجَدِيدُ مُقَدَّرُ

ثِقُوا بالأَمِيرِ القائِمِ اليومَ إنَّه * بِكُمْ وبِما تَرْجُونَ أَدْرَى وأَخْبَرُ (٤)

فلا زالَ مَحْرُوسَ الأَرِيكَةِ جالِسًا * على عَرْشِ (وادِي النِّيلِ) يَنْهَى ويَأْمُرُ

---

(١) شمر للأمر : استعد له . (٢) قصارى منى أوطانكم ، أى غاية مناها ؛ يقال : قصاراك أن تفعل كذا ، أى جهدك وغايتك وآخر أمرك .

(٣) تهوروا : وقعوا فى المكروه بقلة مبالاة ؛ والمراد هنا التكلم فى شئون السياسة بما تؤاخذهم به القوانين . (٤) الأمير هو عباس حلمى الثانى خديوى مصر السابق .

الانقلاب العثمانى

قالها فى ثورة الأتراك التى انتهت بخلع السلطان عبد الحميد (١) وتولية السلطان محمد الخامس

[نشرت فى ١٢ مايو سنة ١٩٠٩ م]

لا رَعَى اللهُ عَهْدَها مِنْ جُدُودِ (٢) * كيفَ أَمْسَيْتَ يا ابْنَ (عَبْدِ المَجِيدِ)

مُشبِعَ الحُوتِ مِنْ لُحُومِ البَرَايَا (٣) * ومُجِيعَ الجُنُودِ تحتَ البُنُودِ

كنتُ أَبْكِى بالأَمْسِ مِنْكَ فمالِى * بِتُّ أبكِى عليكَ (عبدَ الحميدِ)؟

فَرِحَ المُسْلِمُونَ قبلَ النَّصارَى * فيكَ قبلَ الدُّرُوزِ قبلَ اليَهودِ

شَمِتُوا كلُّهُمْ وليس مِنَ الهِمَّـ * ـةِ أنْ يَشْمَتَ الوَرَى فى طَرِيدِ

أنتَ (عبدُ الحميدِ) والتاجُ مَعْقُو * دٌ و(عبدُ الحميدِ) رَهْنَ القُيُودِ

خالِدٌ انتَ رَغْمَ أَنْفِ اللَّيالِى * فى كِبارِ الرجالِ أَهْلِ الخُلُودِ

لكَ فى الدَّهْرِ — والكمالُ مُحالٌ — * صَفَحاتٌ ما بينَ بِيضٍ وسُودِ

حاوَلُوا طَمْسَ ما صَنَعْتَ ووَدُّوا * لو يُطِيقُونَ طَمْسَ خَطِّ الحَدِيدِ (٤)

---

(١) ولد السلطان عبد الحميد فى ٢١ سبتمبر سنة ١٨٤٢ م ، وولى الملك فى أغسطس سنة ١٨٧٦ م ، وخلع فى ٢٧ أبريل سنة ١٩٠٩ م ، وتوفى فى ١٠ فبراير سنة ١٩١٨ م . (٢) الجدود : الحظوظ ؛ الواحد جدّ (بفتح الجيم وتشديد الدال) . (٣) يشير بقوله « مشبع الحوت » : الى من كان يأمر السلطان عبد الحميد بإغراقهم فى مضيق البسفور . والبنود : الأعلام الكبيرة ؛ الواحد بند ، وهو فارسى معرب . ويشير بقوله « ومجيع الجنود » : الى ما كان يقاسيه الجيش التركى من شظف العيش وضيق ذات اليد . (٤) يريد الخط الحديدى الحجازى بين دمشق والمدينة الذى أنشأه السلطان عبد الحميد ، وبدئ العمل فيه سنة ١٩٠٠ م ، واحتفل بافتتاحه فى سنة ١٩٠٨ م .

ذاكَ (عَبْـدَ الحميـدِ) ذُخْرُكَ عنـد اللهِ باقٍ إنْ ضـاعَ عِنْـدَ العَبيـدِ

(١)
أَكْرِمُـوهُ وراقِبُـوا اللهَ في الشَّيْـ * ـخِ ولا تُرْهِقُـوهُ بالتَّهْـديدِ

لا تخـافُوا أَذاهُ فالشَّـيْخُ هـاوٍ * ليسَ فيـه بَقِيَّـةٌ للصعودِ

وَلِيَ الأَمْرَ ثُلْثَ قَـرْنٍ يُنـادِى * باسْمِـه كلُّ مُسْـلِمٍ في ٱلْوُجـودِ

(٢)
كلَّما قامَتِ الصَّـلاةُ دَعَى الدّا * عِى (لَعَبْـدِ الحَميـدِ) بالتَّأْيِيـدِ

فاسمُ هـذا الأَسـيرِ قـد كان مَقْرُو * نًا بِذِكْرِ الرَّسُولِ والتَّوْحِيـدِ

بِتُّ أَخْشَى عليـكُمُ أَنْ يَقُـولُوا * إنْ أَثَرْتُمْ مِنْ كامِنـاتِ الحُقـودِ

(٤)
كانَ (عَبْـدُ الحَميـدِ) بالأَمْسِ فَرْدًا * فغَـدَا اليـومَ أَلْفُ (عبدِ الحَميـدِ)

(٥)
يا أَسِـيرًا في (سَنْتِ هِيلِينَ) رَحِّبْ * بأَسِـيرٍ في (سالُنِيـكَ) جَـديدِ

(٦)
قُلْ لَهُ كَيْفَ زالَ مُلْكُكَ لَمْ يَعْـ * ـصِمْكَ إعْـدادُ عُـدَّةٍ أَوْ عَـديدِ

لَمْ تَصُـنْكَ الجُنُـودُ تَفْـدِيكَ بالأَرْ * واحِ والمـالِ يا غَرامَ ٱلجُنُـودِ

قُلْ له كيفَ كُنْتَ؟ كيف امتَلَكْتَ الـ * أَرضَ؟ كيفَ ٱنفَرَدْتَ بالتَّمْجِيدِ؟

---

(١) أرهقه: أثقل عليه وظلمه. (٢) يريد «بالصلاة»: صلاة الجمعة. ويريد «بالداعى»: الخطيب. (٣) أثاره إثارة: هيجه. وكامنات الحقود: ما خفى منها. (٤) يقول لمن ولى الأمر من رجال تركيا: إن أثرتم دفائن الصدور، وأسأتم التصرف فى الأمور، تضاعف الظلم، فبدل أن كان يستبد بالأمر ويظلم الرعية فرد واحد هو عبد الحميد، يصبح مستبدا بأمركم ألف عبد الحميد.

(٥) يريد «بالأسير فى سنت هيلين»: نابليون بونابرت امبراطور فرنسا وقائدها المعروف، وقد أسر فى جزيرة سانت هيلانة، وظل بها أسيرا حتى مات، ونقلت رفاته بعد مدة إلى فرنسا. وسالونيك: مدينة معروفة بمقدونيا، وكانت من أملاك الدولة العثمانية، وهى الآن من أملاك اليونان؛ وقد اعتقل فيها السلطان عبد الحميد بعد خلعه. (٦) لم يعصمك: لم يحفظك. والعدّة: السلاح. والعديد: الكثرة.

فثَلَلْتَ العُرُوشَ عَرْشًا فعَرْشًا (١) * وصَبَغْتَ الصَّعِيدَ بَعْدَ الصَّعِيدِ

كلَّما نِلْتَ غايةً لَمْ تَنَلْها * هِمَّةُ الدَّهْرِ قلتَ : هَلْ مِنْ مَزِيدِ؟

ضاقتِ الأرضُ عَنْ مَداكَ (٢) فأَرْسَلْ * تَ بطَرْفٍ إلى السَّماءِ عَتِيدِ

قُلْ لَه : جَلَّ مَنْ له المُلْكُ لا مُلْ * كَ لغَيْرِ المُهَيْمِنِ المَعْبُودِ

أنتَ مَهْمَا شَقِيتَ أَرْفَهُ حَالًا (٣) * مِنْ أَسِيرِ الجَزِيرةِ المَكْمُودِ

وأَسيرُ الأَقْفَاصِ قد كان أَشْقَى * لو سَأَلْتَ الأَسْفارَ (٤) عَنْ (با يَزِيدِ)

كان (عبدُ الحميد) فى القَصْرِ أَشْقَى * منه فى الأَسْرِ والبَلاءِ الشَّدِيدِ

كان لا يَعْرِفُ القَرارَ بِلَيْلٍ * لا ولا يَسْتَلِذُّ طَعْمَ الهُجُودِ (٥)

حَذِرًا يَرْهَبُ الظَّلامَ ويَخْشَى * خَطْرَةَ الرِّيحِ أو بُكاءَ الوَلِيدِ

نَفَقٌ (٦) تحتَ طابقِ الأَرْضِ أَخْفَى * فى تَدَجِّيهِ مِنْ ضَمِيرِ الكَنُودِ

---

(١) ثللت العروش، أى هدمت ملكها . والصعيد : التراب . يريد أنه صبغه بدماء أعدائه .

(٢) المدى : الغاية . والعتيد : المعدّ المهيأ . (٣) أرفه حالا : أحسنها . وأسير الجزيرة : نابليون بونابرت . والجزيرة : سانت هيلانة السابق ذكرها . والمكمود : المحزون . (٤) الأسفار : الكتب؛ الواحد : سفر (بكسر فسكون) . وبايزيد، هو بايزيد الأوّل ابن السلطان مراد الأوّل، وهو السلطان الرابع من سلاطين آل عثمان ، ولد عام ٧٦١ هـ . وجلس على كرسى الملك بعد وفاة أبيه عام ٧٩١ هـ . وتوفى فى سنة ٨٠٥ هـ . ويشير الشاعر بهذا البيت الى وقوع بايزيد فى أسر تيمورلنك ملك التتار فى موقعة أنقرة سنة ٨٠٥ هـ ؛ وسجنه إياه فى قفص حتى مات كمدا بعد سجنه بثمانية أشهر .

(٥) الهجود : النوم . (٦) النفق (بالتحريك) : سرب فى الأرض له مخرج إلى مكان . ويشير إلى المواضع الخفية التى كان يختبئ فيها السلطان عبد الحميد حذرا من أعدائه . وتدجيه : إظلامه . والكنود : الكفور . شبه ظلام المسارب التى كان يختبئ فيها عبد الحميد بظلام قلب الكفور لعدم نفوذ ضوء الحق اليه .

يُعْجِزُ الوَهْمَ عن تَلَمُّسِ ذاكَ الـ * ـبابِ بابِ الخَليفةِ المَنْكُودِ (١)

أَصَحيحٌ ما قيلَ عَنْكَ وحَقٌّ * ما سَمِعْنا مِنَ الرُّواةِ الشُّهُودِ

أَنَّ (عبدَ الحَميدِ) قد هَدَمَ الشَّرْ * عَ وأَرْبَى على فِعالِ (الوَليدِ)؟ (٢)

إنْ بَريئًا وإنْ أَثيمًا سَتُجْزَى * يومَ تُجْزَى أَمامَ رَبٍّ شَهيدِ

أَصَحيحٌ بَكَيْتَ لَمّا أَتَى الوَفْـ * ـدُ ونابَتْكَ رِعْشَةُ الرِّعْديدِ؟ (٣)

وَنَسيتَ الآباءَ والمَجْدَ والسُّؤْ * دُدَ والعِزَّ يا كَريمَ الجُدُودِ؟ (٤)

ما عَهِدْنا المُلُوكَ تَبْكي ولٰكِنْ * عَلَّها نَزْوةُ الفُؤادِ الجَليدِ (٥)

عَلَّها دَمْعةُ الوَداعِ لِذاكَ الْـ * ـمُلْكِ أَوْ ذِكْرَةٌ لِتِلْكَ العُهُودِ

غَسَلَ الدَّمْعُ عنكَ حَوْبَةَ ماضِيـ * ـكَ ووَقّاكَ شَرَّ يَومِ الوَعيدِ (٦)

شَفَعَ الدَّمْعُ فيكَ عِنْدَ البَرايا * لَيْسَ ذاكَ الشَّفيعُ بالمَرْدُودِ

دَمْعُكَ اليومَ مِثْلُ أَمْرِكَ بالأَمْـ * ـسِ مُطاعٌ في سَيِّدٍ ومَسُودِ (٧)

كانَ (عبدُ العَزيزِ) أَجْمَلَ أَمْرًا * مِنْكَ في يومِ خَلْعِهِ المَشْهُودِ (٨)

---

(١) يقول : ان هذا النفق خفي وضلت سبيله على طالبه ، حتى إنه ليعجز الوهم عن تعرّف الطريق إلى بابه .

(٢) أربى : زاد . والوليد ، هو ابن يزيد بن عبد الملك الخليفة الأموى المروانى المشهور بالفسق وشرب الخمر وتهاونه بالدين . (٣) يريد الوفد المبعوث بخلعه . والرعديد : الجبان . (٤) السؤدد : السيادة والرفعة . (٥) الجليد : المتجلد الصابر . (٦) الحوبة (بفتح الحاء) : الخطيئة .

(٧) يقول : إن دمعك يوم الخلع قد بلغ من الأثر فى رعيتك ما ردهم عن الانتقام منك ، فكأنه أمر من أوامرك المطاعة يوم كنت على العرش . (٨) عبد العزيز ، هو أحد سلاطين آل عثمان ، وهو الثانى والثلاثون منهم ، وهو ابن السلطان محمود الثانى . ولد عام ١٢٤٥ هـ ، وتولى الخلافة فى سنة ١٢٧٧ هـ . وخلع فى سنة ١٢٩٣ هـ ، وتوفى فى السنة نفسها . وهو الذى زار مصر فى عهد المغفور له اسماعيل باشا الخديوى ، وسمى باسمه شارع عبد العزيز بالقاهرة .

خَافَ مَأْثُورَ قَولِهِ فتعالى * عن صَغَارٍ ومات مَوْتَ الأُسُودِ (١)

ضَمَّ مِقْراضَهُ اليه ونادى * دونَ ذُلِّ الحياةِ قَطْعُ الوَرِيدِ (٢)

حَيِّ عَهْدَ الرَّشادِ يا شَرْقُ وابلُغْ * ما تَمَنَّيْتَ مِنْ زَمانٍ بَعِيدِ (٣)

قد تولَّى (محمدُ الخامسُ) المُلْـ * ـكَ فأعْظِمْ بتاجِهِ المَعْقُودِ

وتجلَّى فى مِهْرَجانٍ تجلَّى * سيْفُ (عُثْمانَ) فيه بالتَّقْلِيدِ (٤)

وقَفَ الدهرُ خاشعًا إذ رأى السَّيْـ * ـفَيْنِ فى قَبْضَةِ العَزِيزِ المَجِيدِ (٥)

طَأْطِئِي للجلالِ يا أُمَمَ الأرْ * ضِ سُجُودًا، هذا مَقامُ السُّجُودِ (٦)

عَلِمَ اللهُ أنَّ عَهْدَ (رَشادٍ) * خيرُ فَأْلٍ بِرَدِّ عَهْدِ (الرَّشِيدِ) (٧)

---

(١) الصغار : الذل . يقول : إن هذا السلطان قد خاف فى يوم خلعه أن يأخذ الناس عليه كلمة فيها ضعف ومذلة .

(٢) المقراض : المقص .

(٣) يريد « بالرشاد » : السلطان محمد رشاد الخامس، وقد تولى الملك فى سنة ١٣٢٧ ه — سنة ١٩٠٩ م — بعد خلع السلطان عبد الحميد .

(٤) المهرجان : عيد للفرس، ويطلق على كل عيد . وعثمان، هو ابن أرطغرل مؤسس الدولة العثمانية التى تنسب اليه . (انظر التعريف به فى الحاشية رقم ١ من صفحة ١٧ من هذا الجزء) .

(٥) يريد « بالسيفين » : سيف عثمان مؤسس الدولة، وسيف الخليفة الجالس على العرش .

(٦) طأطأ رأسه : خفضه .

(٧) يريد « بالرشيد » : الخليفة العباسى هارون الرشيد الذى بلغت الأمة الإسلامية فى أيامه من الرقى أقصاه .

عيد الدستور العثمانى

أنشدها فى الحفل الذى أقيم فى حديقة الأزبكية فى مساء الجمعة ٢٣ يوليه سنة ١٩٠٩ م

(١)
أَجَلْ هٰذه أَعْلَامُهُ ومَوَاكِبُهْ * هَنِيئاً لهمْ فَلْيَسْحَبِ الذَّيْلَ ساحِبُهْ

(٢)
هَنِيئا لهمْ فالكَوْنُ فى يوم عِيدِهِمْ * مَشَارِقُهُ وُضَّاءَةٌ ومَغَارِبُهْ

(٣)
رَعَى اللهُ شَعْباً جَمَّعَ العَدْلُ شَمْلَه * وتَمَّتْ على عَهْدِ الرَّشَادِ رَغائِبُهْ

(٤)
تَحَالَفَ فى ظِلِّ الهِلالِ إمامُه * وحاخامُه ـ بَعْدَ الخِلافِ ـ وراهِبُهْ

(٥)
خُذُوا بِيَدِ الإصْلاحِ والامرُ مُقْبِلٌ * فإنِّى أَرَى الإصْلاحَ قد طَرَّ شارِبُهْ

(٦)
ورُدُّوا على المُلْكِ الشَّبابَ الَّذى ذَوَى * فإنِّى رأيتُ المُلْكَ شابَتْ ذَوائِبُهْ

فَمَنْ يَطْلُبِ الدُّسْتُورَ بالسُّوءِ بَعْدَ ما * حَمَتْه يَدُ (الفارُوقِ) فاللهُ طالِبُهْ

(٧)
اذا (شَوْكَتُ الفارُوقُ) قامَ مُنادِياً * الى الحَقِّ لَبَّاهُ (نيازِى) وصاحِبُهْ

---

(١) أجل : نعم . وأعلامه ، أى أعلام العيد . ولهم : للأتراك . وسحب الذيل : كناية عن التيه والفخر .
(٢) وضاءة (بضم الواو وتشديد الضاد) ، أى ذات حسن وبهجة ، من الوضاءة (بفتح الواو وتخفيف الضاد)
(٣) الرغائب : جمع رغيبة ، وهى ما يرغب فيه .
(٤) الهلال : شعار الدولة العثمانية . ويريد «بالإمام والحاخام والراهب» : اجتماع المسلمين واليهود والمسيحيين تحت تلك الراية .
(٥) طر شاربه : نبت وطلع ، وذلك فى أول عهد الشباب . ويريد بهذه العبارة : أن وقت الإصلاح قد حان .
(٦) ذوى : ذبل . والذوائب : الضفائر ، الواحدة ذؤابة . وشيب الذوائب ، كناية عن الضعف والانحلال .
(٧) شوكت ونيازى : بطلان من أبطال جمعية الاتحاد والترقى التركية . ويريد « بالصاحب » : أنور باشا القائد التركى المعروف . وكان هؤلاء الثلاثة بلاء حسن فى الانقلاب العثمانىّ المعروف ، وخلع السلطان عبد الحميد ، وإعادة الدستور الى الأمة التركية .

ثلاثةُ آسادٍ يُجانبُها الرَّدَى * وإنْ هِيَ لاقاها الرَّدَى لا تُجانِبُهْ (١)

يُصارِعُها صَرْفُ المَنُونِ فتلتَقِي * مخالِبُها فيه وتَنْبُو مخالبُهْ (٢)

رَوَتْ قولَ (بَشَّارٍ) فثارَتْ وأقسمَتْ * وقامت إلى (عَبْدِ الحَمِيد) تُحاسِبُهْ :

(إذا المَلِكُ الجَبّارُ صَعَّرَ خَدَّه * مَشَيْنا إليه بالسُّيُوفِ نُعاتِبُهْ) (٣)

وسارَ على أعقابِها كُلُّ سابِحٍ * على مَتْنِه بُرْجٌ مَشِيدٌ يُداعِبُهْ (٤)

يَصِيحُ به : لا رِيَّ أو نَبْلُغَ المُنَى * ولا شِبْعَ أو يَرْجِعَ الحقَّ غاصِبُهْ

هُنالِكَ فانْهَلْ واتَّخِذْ ثَمَّ مَرْبَطًا * (بيَلْدِزَ) واحْمَدْ في الوَغَى مَنْ تُصاحِبُهْ (٥)

رجالٌ من الإيمانِ مَلْأَى نُفُوسُهُمْ * وجَيْشٌ مِنَ الأتْراكِ ظَمْآى قَواضِبُهْ (٦)

صَوالِجُه سُمْرُ القَنا، وكُراتُه * رُءوسُ الأعادِي، والحُصونُ مَلاعِبُهْ (٧)

---

(١) الردى : الهلاك . (٢) المنون : الموت . وتنبو : تكل وترتد .

(٣) صعر خده : أماله عند النظر إلى الناس تهاونا بهم وكبرا . ويريد بقوله « نعاتبه » : نهدده بالسيوف ونتذره بالقتل . وفي استعمال العتاب بهذا المعنى تهكم ظاهر . وهذا البيت من قصيدة لبشار بن برد يمدح بها عمر بن هبيرة . (٤) يريد « بالسابح » : الفرس الشديد الجري . والمتن : الظهر . ويريد « بالبرج » : الفارس الذي يشبه البرج في ضخامته . (٥) انهل : اشرب ، من النهل (بالتحريك) ، وهو السقية الأولى . ويلدز : قصر الخلافة بالقسطنطينية . والوغى : الحرب . يعد الفارس فرسه بأنه سيبلغ ما يريد من النصر والظفر ، وأنه سيستبيح من حمى القصر ما كان ممتنعا ، وهناك يحمد راكبه على صدق وعده . (٦) القواضب : السيوف القواطع . ومعنى قوله « ظمآى قواضبه » : أن سيوفه عطشى إلى دماء الأعداء . (٧) الصوالج : العصي المعوجة الأطراف التي يلعبون بها الكرة ؛ الواحد صولجان ، فارسي معرب . والقنا : الرماح ؛ الواحدة قناة . وقد شبه هذا الجيش في حربه بمن يلعبون الكرة لشوقه إلى الحرب ، وقلة مبالاته بالموت فيها ، فجعل الرماح صوالجه ، ورءوس الأعداء كراته ، والحصون مواضع اللعب .

(١) إذا ثارَ دُكَّتْ أَجْبُلٌ وتَخَشَّعَتْ * بحارٌ وأَمْضَى اللهُ ما هو كاتبُهْ

(٢) وثُلَّتْ عُروشٌ واستقرَّتْ ممالكٌ * ولو أَنَّ ذا القرنَيْنِ فيها يُناصِبُهْ

(٣) فمَنْ لم يُشاهِدْ (يَلْدِزًا) بعدَ رَبِّها * وقد زالَ عنه المُلْكُ وٱنْدَكَّ جانبُهْ

(٤) وأَسْلَمَهُ أَحْبابُهُ لِقَضائه * وفَرَّ ولم يَخْشَ المَعَرَّةَ كاتبُهْ

(٥) وقَلَّمَتِ الأَقْدارُ أَظْفارَ بَطْشِه * ودَلَّ على ما تجهَلُ الجِنُّ حاجِبُهْ

(٦) فما شَهِدَ الدُّنيا تَزولُ ولا رَأى * بَلاءَ قَضاءِ اللهِ فِيمَنْ يُحارِبُهْ

(٧) أُبِيحَ حِماها وٱنْطَوى مَجْدُ رَبِّها * وقامَتْ على البَيْتِ (الحَميدِيّ) نَوائبُهْ

(٨) ولَمْ يُغْنِ عن (عَبْدِ الحَميدِ) دَهاؤُه * ولا عَصَمَتْ (عبدَ الحَميدِ) تَجارِبُهْ

(٩) ولَم يَحْمِهِ حِصْنٌ ولَم تَرْمِ دُونَه * دَنانيرُه والأَمْرُ بالأَمْرِ حازِبُهْ

(١٠) ولَم يُخْفِهِ عَنْ أَعْيُنِ الحَقِّ مُخْدَعٌ * ولا نَفَقٌ فى الأَرْضِ جَمٌّ مَسارِبُهْ

---

(١) دكت : تهدّمت . وما هو كاتبه ، أى ما هو مقدّره من النصر والظفر لهذا الجيش .

(٢) ثلت : هدمت . وذو القرنين : ملك معروف باتساع الملك وكثرة الفتوحات . و يناصبه : يعاديه . (٣) ربها : صاحبها ، وهو عبد الحميد .

(٤) يريد «بكاتبه» : عزت العابد باشا . (٥) يقال : هو مقلم الأظفار ، اذا كان أعزل بغير سلاح . و يريد « بما تجهل الجن » : السراديب والأنفاق التى كان يختبئ فيها السلطان عبد الحميد من أعدائه . (٦) فما : جواب « من » فى قوله السابق : « فمن لم يشاهد ... الخ » .

(٧) أبيح حماها ، أى صارت يلدز مفتحة النواحى لكل داخل مهما قل شأنه .

(٨) عصمت : حفظت . (٩) لم ترم دونه دنانيره ، أى أن أمواله لم تدفع عنه أعداءه . فشبه المال يحفظ صاحبه من أعدائه بمن يرمى السهام دفاعا عمن يحتمى به . وحزبه الأمر : نابه وٱشتدّ عليه وضغطه . (١٠) يشير فى هذا البيت الى المخابئ والأنفاق التى كان قد أعدّها عبد الحميد تحت الأرض ليختبئ فيها من أعدائه .

أَقامَ عليه مَهْلَكًا عند مَهْلَكٍ * يَمُرُّ به رَوْحُ الصَّبا فيُواثِبُه (١)

تَحامَاهُ حتّى الوَهْمُ خَوْفَ اغتيالِه * فلو مَسَّه طَيْفٌ لدارَتْ لَوالِبُه

وأَسْرَفَ فى حُبِّ الحَياةِ فحاطَها * بسُورٍ من الأَهْوالِ لم يَنْجُ راكِبُه

ففى كلِّ قُفْلٍ للمَنِيَّةِ مَكْمَنٌ (٢) * وفى كلِّ مِفْتاحٍ قَضاءٌ يُراقِبُه

وفى كلِّ رُكْنٍ صُورَةٌ او تَكَلَّمَتْ * لَما شَكَّ فى (عَبْدِ الحَميدِ) مُخاطِبُه

تَماثِيلُ إِيهامٍ أُقِيمَتْ وأُقْعِدَتْ * تَراءَى بها أَعْطافُه ومَناكِبُه (٣)

تُمَثِّلُه فى نَوْمِه وجُلُوسِه * وتَخْدَعُ فيه الموتَ حينَ يُقارِبُه

أَقامَ عليه أَلْفَ مَوْتٍ مُحَجَّبٍ * لِيَغْلِبَ مَوْتا واحدا عَزَّ غالِبُه

سَلُوهُ أَأَغْنَتْ عنه فى يومِ خَلْعِه (٤) * عَجائِبُه ؟ أو أَحْرَزَتْه غَرائِبُه ؟

وقد نَزَلَ المِقْدارُ بالأَمْرِ صادِعًا (٥) * فضاقَتْ على شَيْخِ المُلُوكِ مَذاهِبُه

وأَخْرَجَه مِنْ (يَلْدِزٍ) رَبُّ (يَلْدِزٍ) * وجَرَّدَه مِنْ سَيْفِ (عُثْمانَ) واهِبُه

وأَصْبَحَ فى مَنْفاهُ والجَيْشُ دُونَه (٦) * يُغالِبُ ذِكْرَى مُلْكِه وتُغالِبُه

---

(١) الروح : الريح . يقول : إن عبد الحميد قد بالغ فى المحافظة على نفسه حتى أقام حوله من أسباب الهلاك لطالبه ما لو مرت به ريح الصبا لوثب عليها ظنا منه أنها من أعداء السلطان .

(٢) يشير بهذا البيت الى ما كان يروى من العجائب التى كان يتخذها السلطان عبد الحميد فى الحذر على نفسه من أعدائه ، حتى إنه قد صنعت لخابئه وخزائن أمواله أقفال إذا حاول غيره فتحها أصابه منها ما يقتله .

(٣) تراءى ، أى تترامى . والأعطاف : الجوانب .

(٤) أحرزته : حفظته .

(٥) المقدار : القدر . وصدع بالأمر : جاهر به مصرحا .

(٦) والجيش دونه ، أى واقف دونه يمنعه من الفرار .

يُناديه صَوْتُ الحَقِّ : ذُقْ ما أَذَقْتَهم * فكلُّ امرئٍ رَهْنٌ بما هُوَ كاسِبُهْ (١)

هُمُ مَنَحوكَ اليومَ ما أنتَ مُشْتهٍ * فَرُدَّ لهم بالأمسِ ما أنتَ سالِبُهْ (٢)

ودَعْ عنكَ ما أَمَّلْتَ إنْ كنتَ حازمًا * فلَمْ يَبْقَ للآمالِ فَضْلٌ تُجاذِبُهْ (٣)

مَضَى عَهْدُ الاستبدادِ وانْدَكَّ صَرْحُه * وولَّتْ أَفاعِيهِ وماتَتْ عقارِبُهْ (٤)

لَكَ اللهُ يا (تَمُّوزُ) إنّكَ بَلْسَمٌ * لجَرْحَى الأَسَى والدَّهرُ تَعْدو نَوائِبُهْ (٥)

فكَمْ رُعْتَ جَبّارًا وأَرْهَقْتَ ظالمًا * وأَنْصَفْتَ مَظْلُوما تَوالَتْ مَصائِبُهْ (٦)

فَدَيْنَاكَ مِنْ شَهْرٍ أَغَرَّ مُحَجَّلٍ * أَوائِلُه مَيْمُونَةٌ وعَواقِبُهْ (٧)

تُقابِلُه الأَعْيادُ فى الأَرضِ كلَّما * تَجَلَّى هِلالُ الشَّهْرِ أو لاحَ حاجِبُهْ (٨)

ففى الغَرْبِ عِيدٌ يَنْظِمُ الغربُ حُسْنَه * فتَهْتَزُّ مِنْ وَقْعِ السُّرورِ جَوانِبُهْ (٩)

وفى الشَّرقِ عِيدٌ لَمْ يَرَ الشَّرْقُ مِثْلَه * تَدَفَّقُ فى دارِ السَّلامِ مَواكِبُهْ (١٠)

---

(١) رهن بما هو كاسبه ، أى مجزى بما اقترفه هو ، لا بما اقترفه غيره ؛ يقال : هو رهن بكذا ، أى مقصور عليه لا يتعداه . (٢) ما أنت مشتهٍ ، أى الحياة . وما أنت سالبه ، أى حقوق الأمة وحريتها .

(٣) شبه «الآمال» بالرداء الذى له فضول ، أى زيادات يجذب منها . يقول : إن آمالك فى الملك قد قصرت فليس فيها موضع تمسكه بيدك وتجذبها منه . (٤) الصرح : ما علا من البنيان . ويريد «بالأفاعى والعقارب» : جواسيس عبد الحميد ورسل الشر فى عهده . (٥) تموز : شهر معروف من السنة المسيحية ، ويوافق شهر يوليه ، وهو الذى نالت فيه الأمة التركية دستورها . والبلسم : دواء تضمد به الجراح . (٦) رعت : أفزعت . وأرهقت ظالما : حملته ما لا يطيق من العذاب .

(٧) يقال : يوم أو شهر أغر محجل ، اذا كان مشهورا ؛ وأصلهما من الصفات الممدوحة فى الخيل ، الأغر منها ما كان فى جبهته بياض ، والمحجل ما كان البياض فى قوائمه . (٨) تجلى : ظهر .

(٩) يريد « بالعيد الذى فى الغرب » : عيد الحرية فى فرنسا ، وهو فى شهر تموز (١٤ يوليه) .

(١٠) يريد «بالعيد الذى فى الشرق» : عيد الدستور التركى ؛ وقد نسبه إلى الشرق ، لأن الأمم الشرقية التابعة لتركيا كانت تتخذ هذا اليوم عيدا مثلها . ودار السلام : القسطنطينية .

يُطِيفُونَ بالعَرْشِ الكَرِيمِ ورَبِّه * تُطِيفُ بِهِمْ آلاؤُه ومناقِبُه (١)

لِتَهْنِئْ أميرَ المؤمِنِين مُحَمَّدا * خِلافَتُه فالعَرْشُ سَعْدٌ كَوَاكِبُه

سَتَمْلِكُ أَمْوَاجَ البِحارِ سَفِينُه * كما مَلَكَتْ شُمَّ الجِبالِ كَتائِبُه (٢)

مَمالِكُهُ مَحْرُوسَةٌ وثُغُورُه * رَكائِبُهُ مَنْصُورَةٌ ومَراكِبُه

إلى البرنس حسين كامل باشا (٣)

رئيس مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، عبر فيها عن آلام الأمة المصرية وآمالها

[نشرت فى ١٠ نوفبر سنة ١٩٠٩ م]

لَقَدْ نَصَلَ الدُّجَى فمَتَى تَنَامُ * أَهَمٌّ ذادَ نَوْمَكَ أَمْ هُيامُ (٤)

غَفَا المَحْزُونُ والشاكِى وأَغْفَى * أَخُو البَلْوَى ونامَ المُسْتَهامُ (٥)

وأنتَ تُقَلِّبُ الكَفَّينِ آنًا * وآوِنَةً يُقَلِّبُكَ السَّقامُ (٦)

تَحَدَّرَتِ المَدامِعُ مِنكَ حَتَّى * تَعَلَّمَ مِنْ مَحاجِرِكَ الغَمامُ (٧)

---

(١) الآلاء : النعم . والمناقب : الخصال الحميدة ؛ الواحدة منقبة .

(٢) شم الجبال : أعاليها ، الواحد أشم . والكتائب : فرق الجيش ؛ الواحدة كتيبة .

(٣) ولد السلطان حسين كامل فى يوم ١٩ صفر سنة ١٢٧٠ هـ — ٢١ نوفبر سنة ١٨٥٣ م . وفى يوم ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ تولى عرش مصر . وتوفى رحمه الله فى ٩ أكتوبر سنة ١٩١٧ م .

(٤) نصل الدجى : خرج من سواده وأبيض بطلوع الصباح . وذاد : منع . والهيام : العشق .

(٥) غفا وأغفى : نام . والمستهام : العاشق . (٦) تقليب الكف : كناية عن الحيرة .

(٧) المحاجر : جمع محجر (بفتح الميم وكسر الجيم وسكون ما بينهما) ، وهو ما دار حول العين . والغمام : السحاب . يقول : إن السحاب تعلم انهمال مطره من انهمال مدامعك .

وضَجَّتْ مِنْ تَقَلُّبِكَ الحَشَايَا (١) * وأَشْفَقَ مِنْ تَلَهُّفِكَ الظَّلامُ

تَبِيتُ تُساجِلُ الأَفْلاكَ سُهْدًا (٢) * وعَيْنُ الكَوْنِ رَنَّقَها المَنَامُ

وتَكْتُمُنا حَدِيثَ هَواكَ حَتَّى * أَذَاعَ الصَّمْتُ ما أَخْفَى الكَلامُ

برَبِّكَ هَلْ رَجَعْتَ إلى رَسِيسٍ (٣) * مِنَ الذِّكْرَى وهَلْ رَجَعَ الغَرامُ؟

وقد لَمَعَ المَشِيبُ وذاكَ سَيْفٌ * عَلى فَوْدَيْكَ (٤) عَلَّقَهُ الحِمَامُ

أَيَجْمُلُ بالأَدِيبِ أَدِيبِ مِصْرٍ * بُكاءُ الطِّفْلِ أَرْهَقَهُ (٥) الفِطامُ

ويَصْرِفُه الهَوَى عن ذِكْرِ مِصْرٍ * ومِصْرُ في يَدِ الباغِي (٦) تُضامُ؟

عَدِمْتُ يَراعَتِي (٧) إنْ كان ما بي * هَوًى بَيْنَ الضُّلوعِ له ضِرامُ

وما أنا والغَرامَ وشابَ رَأْسِي * وغالَ (٨) شَبابِيَ الخَطْبُ الجُسامُ

ورَبَّانِي الّذي رَبَّى (لَبِيدًا) (٩) * فعَلَّمَنِي الّذي جَهِلَ الأَنامُ

---

(١) الحشايا : الفرش المحشوة ، الواحدة حشية (بتشديد الياء) . (٢) تساجل الأفلاك سهدا ، أي تشاركها في السهر وتناوبها فيه . ورنقها : خالطها . (٣) الرسيس : البقية والأثر .

(٤) الفودان : ناحيتا الرأس . والحمام (بكسر الحاء) : الموت . ويريد «بالسيف المعلق على ناحيتي الرأس» : الشيب ، لأن كليهما قاتل .

(٥) أرهقه : آذاه وآلمه . (٦) الباغي : الظالم . (٧) اليراعة : القلم . ويريد بلاغتــه وأدبه ، لأنهما يكتبان به . وضرام النار : اشتعالها . (٨) غاله : أفناه وأهلكه . والجسام والجسيم : العظيم . (٩) يريد لبيد بن ربيعة العامري الشاعر المعروف ، صاحب المعلقة المشهورة ، التي أولها : *عفت الديار محلها فرسومها* . وكان من المعمرين ، أدرك الجاهلية والإسلام وأسلم . ويريد «بالذي ربى لبيدا» : الزمان وتطاوله . وخصه بالذكر لأنه من المعمرين ، وممن جربوا الحياة حتى سئموها ، قال :

ولقد سئمت من الحياة وطولها * وسؤال هذا الناس كيف لبيد؟

لَعَمْرُكَ ما أَرِقْتُ لغيرِ مِصْرٍ (١) * ومالى دُونَها أَمَلٌ يُرامُ

ذَكَرْتُ جَلالَها أيّامَ كانَتْ * تَصُولُ بها الفَراعِنَةُ العِظامُ

وأيّامَ الرجالُ بها رِجالٌ * وأيّامَ الزَّمانُ لها غُلامُ

فأَقْلَقَ مَضْجَعِى ما باتَ فِيها * وباتَتْ مِصْرُ فيه، فهَلْ أُلامُ؟

أَرَى شَعْبًا بمَدْرَجَةِ العَوادِى (٢) * تَمَخَّخَ عَظْمَهُ داءٌ عُقامُ

إذا ما مَرَّ بالبَأْساءِ عامٌ * أَطَلَّ عليه بالبَأْساءِ عامُ

سَرَى داءُ التَّواكُلِ فيه حَتّى * تَخَطَّفَ رِزْقَهُ ذاكَ الزِّحامُ (٣)

قد ٱستَعْصَى على الحُكَماءِ مِنّا (٤) * كما ٱستَعْصَى على الطِّبِّ ٱلجُذامُ

هَلاكُ الفَرْدِ مَنْشَؤُهُ تَوانٍ * ومَوْتُ الشَّعْبِ مَنْشَؤُهُ ٱنْقِسامُ

وإنّا قد وَنِينا وٱنقَسَمْنا * فلا سَعْىٌ هُناكَ ولا وِئامُ

فساءَ مُقامُنا فى أَرْضِ (مِصْرٍ) * وَطابَ لغَيْرِنا فيها ٱلمُقامُ

فلا عَجَبٌ إذا مُلِكَتْ علينا * مَذاهِبُنا (٥) وأكثَرُنا نِيامُ

(حُسَيْنُ حُسَيْنُ) أنتَ لها فَنَبِّهْ * رِجالًا عن طِلابِ الحَقِّ نامُوا

وكُنْ بأبِيكَ لٱبنِ أَخِيكَ عَوْنًا (٦) * فأَنْتَ بِكَفِّهِ نِعْمَ ٱلحُسامُ

---

(١) أرق أرقا (وزان فرح فرحا): سهر.
(٢) المدرجة: الطريق. والعوادى: النوائب. وتمخخ العظم، إذا أخرج مخه. والداء العقام: الذى لا يرجى البرء منه.
(٣) يريد «بالزحام»: مزاحمة الأجانب للمصريين.
(٤) الضمير فى «استعصى»: يعود على «التواكل» السابق.
(٥) المذاهب: الطرق.
(٦) يريد «بابن أخيه»: عباس الثانى خديوى مصر السابق.

أَفِضْ فى قاعَةِ الشُّورَى وِئامًا * فقَدْ أَوْدَى بِنَا وَبِها ٱلخِصامُ

وعَلِّمْهُمْ مُصادَمَةَ العَوادِى (١) * فمِثْلُكَ لا يُرَوِّعُه الصِّدامُ

ففى حِزْبِ اليَمِينِ لَدَيْكَ قَوْمٌ * وإنْ قَلُّوا فإنَّهُمُ كِرامُ

وفى حِزْبِ الشِّمالِ لَدَيْكَ أُسْدٌ * كُماةٌ (٢) لا يَطِيبُ لها ٱنهِزامُ

فكونوا للبِلادِ ولا يَفُتْكُمْ * مِنَ النُّهُزاتِ (٣) والفُرَصِ ٱغتِنامُ

فما سادُوا (٤) بمُعجِزَةٍ علينا * ولٰكِنْ فى صُفوفِهِمُ ٱنضِمامُ

فلا تَثِقُوا بوَعْدِ القَوْمِ (٥) يومًا * فإنّ سَحابَ ساسَتِهِمْ جَهامُ

وخافُوهُمْ إذا لانُوا فإنّى * أَرَى السُّوّاسَ ليس لَهُمْ ذِمَامُ (٦)

فكَمْ ضَحِكَ العَمِيدُ (٧) على لِحانَا * وغَرُّ سَراتِنا مِنْه ٱبتِسامُ

أَبَا الفَلّاحِ (٨) إنّ الأَمْرَ فَوْضَى * وجَهْلُ الشَّعْبِ والفَوْضَى لِزامُ

فَأَسْعِدْنا بنَشْرِ العِلْمِ وٱعلَمْ * بأنّ النَّقْصَ يَعْقُبُه التَّمامُ

---

(١) العوادى : النوائب . ويروّعه : يفزعه . (٢) الكماة : الشجعان ؛ الواحد كمى (بفتح الكاف وتشديد الياء) . (٣) النهزات : ما ينتهز من الفرص ، الواحدة نهزة (بضم فسكون) .

(٤) سادوا : يريد شعوب الغرب . (٥) يريد « بالقوم » : الإنجليز . و « بوعدهم » : ما وعدوا به مصر من الجلاء عنها . والجهام من السحب (بفتح الجيم) : الذى لا ماء فيه .

(٦) الذمام : الذمة والعهد . (٧) يريد عميد الدولة الإنجليزية (السير غورست) . والسراة من الناس : أهل الرفعة والمنزلة ؛ الواحد سرى (بفتح السين وتشديد الياء) .

(٨) أبو الفلاح : كنية كان يكنى بها المغفور له السلطان حسين كامل ، وذلك لما كان يظهره من العناية بالفلاحين والنظر فيما يصلحهم و يعود عليهم بالرفاهية والخصب . ولزام ، أى ان الجهل والفوضى متلازمان ، إذا وجد أحدهما وجد الآخر .

وليسَ العِلْمُ يُمْسِكُنا وَحيدًا * اذا لَمْ يَنْصُرِ العِلْمَ اعتِزامُ

(١)
وإنْ لَمْ يُدْرِكِ الدُّسْتُورُ (مِصْرًا) * فما لِحياتِها أبدًا قِوامُ

(٢)
حَمَوْنا وِرْدَ ماءِ (النِّيلِ) عَذْبًا * وقالوا : إنّهُ مَوْتٌ زُؤامُ

وما المَوْتُ الزُّؤامُ إذا عَقَلْنا * سِوَى الشَّرِكاتِ حَلَّ لها الحَرامُ

لقد سَعِدَتْ بِغَفْلَتِنا فراحَتْ * بِثَرْوَتِنا وَأَوَّلُها (الْتِزامُ)

(٣)
فياوَيْلَ القَناةِ إذا احْتَواها * (بَنُو التّامِيزِ) وانْحَسَرَ اللِّثامُ

(٤)
لقد بَقِيَتْ مِنَ الدُّنيا حُطامًا * بأَيْدِينا وقد عَزَّ الحُطامُ

(٥)
وقد كُنّا جَعَلْناها زِمامًا * فوالَهْفِي اذا قُطِعَ الزِّمامُ

(فيا قَصْرَ الدُّبارَةِ) لستُ أَدْرِي * أَحَرْبٌ في جِرابِكَ أمْ سَلامُ

(٦)
أَجِبْنا ، هل يُرادُ بنا وَراءٌ * فَنَقْضِي أَمْ يُرادُ بنا أَمامُ

ويا حِزْبَ اليَمينِ إليكَ عَنّا * لقد طاشَتْ نِبالُكَ والسِّهامُ

ويا حِزْبَ الشِّمالِ عليكَ مِنّا * ومِنْ أَبْناءِ نَجْدَتِكَ السَّلامُ

---

(١) قوام الأمر : نظامه وعماده وملاكه الذى يقوم به . (٢) يشير بهذا البيت الى شركة المياه . ويريد بقوله : « موت زؤام » : مايحمله ماء النيل الكدر من الجراثيم . (٣) القناة ، أى قناة السويس . وبنو التاميز : الإنجليز . والتاميز : نهر عندهم معروف . ويريد « بانحسار اللثام » : انكشاف الحجاب عما يضمرونه نحو مصر . (٤) بقيت ، أى القناة . (٥) يريد بهذا البيت والذى قبله أن قناة السويس قد بقيت فى يدنا تراثا عن السلف على قلة تراثنا ، وقد كنا نأمل منها أن تكون صلة بيننا وبين العالم وأخوف ما نخافه أن تنقطع هذه الصلة . (٦) نقضى : نموت . (٧) حزب اليمين : الأعضاء الذين كانوا يؤيدون الحكومة فى مجلس شورى القوانين . وحزب الشمال : المعارضون الذين كانوا يؤيدون رأى الأمة . وأبناء نجدتك ، أى الذين يناصرونك ويرون رأيك . والنجدة : الشجاعة والنصرة .

تحيـــة العام الهجـــرى

[سنة ١٣٢٨ هـ — يناير سنة ١٩١٠ م]

لى فيكَ حِينَ بَدَا سَناكَ وأَشْرَقا * أَمَــلٌ سَأَلْتُ اللهَ أَنْ يَتَحَقَّقــا (١)

أَشْرِقْ علينــا بالسُّعُودِ ولا تَكُنْ * كأَخِيــكَ مَشْــئُومَ المَنازِلِ أَخْرَقَا (٢)

قد كانَ جَرّاحَ النُّفُوسِ فَداوِها * ممّــا بِها وكُنِ الطَّبِيبَ مُوَفَّقــا

هَــلَّلْتُ حِينَ لَمَحْتُ نُورَ جَبِينِه * ورَجَوْتُ فيه الخَيْرَ حِينَ تَأَلَّقَا (٣)

وهَــزَزْتُه بقَصِيــدَةٍ لو أَنَّهــا * تُلِيَتْ على الصَّخْرِ الأَصَمِّ لأَغْــدَقَا (٤)

فنَأَى بجانِبِــه وخَصَّ بنَحْسِــه * مِصْرًا وأَسْرَفَ فى النُّحُوسِ وأَغْرَقَا (٥)

لو كُنْتُ أَعْــلَمُ ما يُخَبِّئُــه لنــا * لسأَلْتُ رَبِّى ضارِعًا أَنْ يُمْحَقــا

أَوْلَى الأَعاجِمَ مِنَّــةً مَذْكُــورَةً * وأَعادَ للأَتْراكِ ذاكَ الرَّوْنَقــا (٦)

وتَغَــيَّرَتْ فيــه الخُطُوبُ بفــارِسٍ * حتّى رأَيْتُ الشاهَ يَخْشَى البَيْــدَقَا (٧)

---

(١) السنا : الضوء . يخاطب هلال المحرم . (٢) يريد بقوله «أخيك» : هلال العام الذى قبله . والمنازل : البروج التى ينتقل فيها القمر . والأخرق : من الخرق (بضم الخاء) والخرق (بفتح الخاء والراء)، وهو القسوة والحمق . (٣) تألق : أضاء وأشرق . (٤) يقال : هزه إلى المعروف : اذا حركه اليه وشوقه الى عمله . وأغدق : تفجر بالماء الكثير . ويريد «بالقصيدة» : القصيدة السابقة التى أوّلها :

أطل على الأكوان والخلق تنظر * هــلال رآه المسلمون فكبروا

(٥) نأى : بعد . يريد أنه أعرض عن رجائنا فيه . وأغرق فى النحوس : بالغ فيها وأفرط .

(٦) أولى : أعطى . ويريد أن الأعاجم، وهم الفرس، نالوا فيه الدستور، وكذلك الترك .

(٧) الخطوب : الشئون؛ الواحد : خطب (بفتح الخاء) . والشــاه : ملك العجم . والبيــدق : الجندى . ويشير إلى الشاه والبيــدق من قطع الشطرنج . والمعنى أن الحكم فى فارس قد أصبح بيــد الأمة حتى أصبح الملك يخشى رعيته بعد أن كانت تخشاه .

وأَدالَ مِنْ (عبدِ الحميدِ) لشَعْبِه * فهوَى وحاولَ أنْ يعودَ فأَخْفَقَا (١)

أَمْسَى يُبالِي حارسًا مِنْ جُنْدِه * ولقد يكُونُ وما يُبالِي الفَيْلَقَا (٢)

ورَمَى على أَرْضِ الكِنانَةِ جِرْمَه * بالنازلاتِ السُّودِ حتّى أَرْهَقَا (٣)

حَصَدَتْ مَناجِلُه غِراسَ رَجائِنا * ولو انّها أَبْقَتْ عليه لأَوْرَقَا (٤)

فتَقَيَّدَتْ فيه الصّحافَةُ عَنْوَةً * ومَشَى الهَوَى بينَ الرَّعِيّةِ مُطْلَقَا (٥)

وأَتَى يُساوِمُ فى (القَناةِ) خَديعَةً * ولو انّها تَمَّتْ لَتَمَّ بِها الشَّقَا

إنّ البَلِيَّةَ أنْ تُباعَ وتُشْتَرَى * (مِصْرُ) وما فيها وألّا تَنْطِقَا (٦)

كانَتْ تُواسِينا على آلامِنا * صُحُفٌ إذا نَزَلَ البَلاءُ وأَطْبَقَا (٧)

فاذا دَعَوْتُ الدمْعَ فاستَعْصَى بَكَتْ * عنّا أَسًى حتّى تَغَصَّ وتَشْرَقَا

كانتْ لنا يومَ الشدائِدِ أَسْهُمًا * نَرْمِي بها وسَوابِقًا يومَ اللِّقَا (٨)

---

(١) يقال : أدال الله لك من فلان : اذا جعل الكرة والنصر لك عليه . وأخفق فى السعى : لم ينجح فيه . (٢) الضمير فى «أمسى» : لعبد الحميد . والفيلق : الجيش العظيم . (٣) رمى : الضمير فيها يعود على الهلال . وأرض الكنانة : مصر . وأرهق : أنزل على أهلها العسر والظلم والطغيان .

(٤) المناجل : جمع منجل ، وهو آلة يحصد بها الزرع ، معروفة . (٥) يشير إلى تنفيذ قانون المطبوعات الذى عمل به فى عهد وزارة بطرس غالى باشا ، فقيد حرية الرأى والكتابة فى الصحف . والعنوة : القهر . ويريد «بالهوى» : الحكم بما يشتهيه الحاكم ، لا بما يقتضيه العدل . ومطلقا ، أى لا قيد عليه .

(٦) يشير بهذا البيت والذى قبله الى ما حدث فى عهد نظارة بطرس غالى باشا من أن شركة قناة السويس كانت قد عرضت على الحكومة المصرية مد أجل امتيازها أربعين سنة أخرى تبتدئ من سنة ١٩٦٩ م الى نهاية سنة ٢٠٠٨ م وأبت ذلك الجمعية العمومية بإجماع أعضائها محتجة بأن فى ذلك غبنا فاحشا قدر بمبلغ ١٣٠,٥٩٨,٠٠٠ جنيها ، وكان ذلك فى ٧ أبريل سنة ١٩١٠ م ، وكان رأى الجمعية العمومية فى هذه المسألة قطعيا لا استشاريا . (٧) أطبق عليهم البلاء : غشيهم وغطاهم .

(٨) السوابق : من صفات الخيل ، أى إن الصحف كانت عدة لنا فى الجهاد .

كانتْ صِماماً للنُّفُوسِ إذا غلَتْ * فيها الهُمومُ وأوْشكتْ أن تَزْهَقا

كم نَفَّسَتْ عَنْ صَدْرِ حُرٍّ واجِدٍ * لولا الصِّمامُ مِنَ الأَسَى لَتَمَزَّقا (١)

مالى أَنُوحُ على الصَّحافةِ جازِعاً * ما ذا أَلَمَّ بها وماذا أَحْدَقا؟ (٢)

قَصُّوا حَواشِيَها وظَنُّوا أنّهم * أَمِنُوا صَواعِقَها فكانَتْ أَصْعَقا

وأَتَوْا بِحاذِقِهِمْ يَكِيدُ لها بِما * يَثْنِى عَزائِمَها فكانتْ أَحْذَقا (٣)

أَهْلاً بنابِتَةِ البِلادِ ومَرْحَباً * جَدَّدْتُمُ العَهْدَ الّذى قد أَخْلَقا (٤)

لا تَيْأَسُوا أَنْ تَسْتَرِدُّوا مجدَكُمْ * فَلَرُبَّ مَغْلُوبٍ هَوَى ثم ٱرْتَقَى

مَدَّتْ له الآمالُ مِنْ أَفْلاكِها * خَيْطَ الرَّجاءِ إلى العُلا فتَسَلَّقا (٥)

فتَجَشَّمُوا للمَجْدِ كُلَّ عَظِيمَةٍ * إنّى رأيْتُ المَجْدَ صَعْبَ المُرْتَقَى (٦)

مَنْ رامَ وَصْلَ الشمسِ حاكَ خُيُوطَها * سَبَباً إلى آمالِهِ وتَعَلَّقا (٧)

عارٌ على ٱبنِ النِّيلِ سَبَّاقِ الوَرَى * ـ مَهْمَا تَقَلَّبَ دَهْرُه ـ أنْ يُسْبَقا

أَوَ كُلَّما قالوا تَجَمَّعَ شَمْلُهُمْ * لَعِبَ الشِّقاقُ بِجَمْعِنا فتَفَرَّقا (٨)

---

(١) نفست : خففت . والواجد : الحزين . والأسى (بفتح الهمزة) : الحزن . و«من الأسى» متعلق بقوله «لتمزقا» . (٢) ألم : نزل . وأحدق : أحاط .

(٣) يريد «بحاذقهم» : بطرس غالى باشا رئيس النظار إذ ذاك . ويريد بقوله «فكانت أحذقا» : أنها كانت تؤدى عملها فى نقد الحكومة بمهارة ومداورة حتى لا تؤاخذ . (٤) نابتة البلاد : نشؤها وشبانها . وأخلق : بلى ورث . (٥) تسلق : صعد . (٦) تجشموا : تكلفوا .

(٧) حاك : نسج . والسبب : الحبل . يقول : إن من يريد أن يبلغ معالى الأمور تلمس الوسائل لها مهما بدا من ضعفها أو استحالتها . (٨) الشقاق : الخلاف والعداوة .

فتدفّقوا حُججاً وحُوطوا نيلكم * فلكم أفاض عليكم وتدفّقا (١)

حمَلوا علينا بالزّمان وصرفه * فتأنّقوا في سلبنا وتأنّقا (٢)

هزّوا مغاربها فهابت بأسهم * يا ويلكم إن لم تهزّوا المشرقا (٣)

فتعلّموا فالعلم مفتاح العلا * لم يبق باباً للسّعادة مغلقا

ثمّ استمدّوا منه كلّ قواكم * إنّ القوىّ بكلّ أرض يتّقى

وابنوا حوالى حوضكم من يقظة * سوراً وخُطّوا من حذارٍ خندقا (٤)

وزِنوا الكلام وسدّدوه فإنّهم * خبأوا لكم في كلّ حرف مزلقا (٥)

وامشوا على حذرٍ فإنّ طريقكم * وعرٌ أطاف به الهلاك وحلّقا (٦)

نصبوا لكم فيه الفخاخ وأرصدوا * للسّالكين بكلّ فجٍّ موبقا (٧)

الموتُ في غشيانه وطُروقه * والموتُ كلُّ الموتِ ألّا يُطرقا (٨)

فتحيّنوا فُرص الحياة كثيرةً * وتعجّلوها بالعزائم والرُّقى (٩)

---

(١) حاطه : صانه وحفظه . (٢) حملوا علينا بالزمان ، أى حاربنا المحتلون بحوادث الزمان ونوائبه . وتأنق فى الأمر : بالغ فيه . (٣) يقول : إن للإنجليز من الحول والقوة ما أرهبوا به دول الغرب ، فليكن لكم أيها المصريون بين أمم الشرق ما للإنجليز بين أمم الغرب . (٤) المراد (بالحوض) هنا : الحمى . (٥) المزلق : مكان الانزلاق ، أى الزلل والسقوط .

(٦) الوعر : الصعب . وحلق : ارتفع . يريد أن الهلاك قد غشى طريقكم من كل مكان .

(٧) الفج : الطريق . والموبق : المهلك . (٨) يريد أن طريق الأمة الى المجد والحرية مملوء بأسباب الهلاك ، على أن ما نحن فيه من استنامة ودعة ورضى بالاستعباد والذل موت أكبر ، ففى الإقدام موت ، وفى الإحجام موت أعظم ، فتحينوا الفرص ، وهو ما يقوله فى البيت الآتى .

(٩) تعجل الأمر : طلبه عاجلا . والرقى : جمع رقية ، وهى معروفة . ويريد «بالعزائم والرقى» هنا : قوة الدهاء والتلطف فى الحيلة ، وحسن التأتى إلى المقاصد .

أَو فاخلقُوها قادِرِينَ فإنَّما * فُرَصُ الحَياةِ خَلِيقَةٌ أنْ تُخْلَقا

وتفيَّئُوا ظِلَّ الأَرِيكَةِ (١) وٱقصِدُوا * مَلِكًا بأمَّتِه أَبَرَّ وأَرْفَقَا

لا زالَ تاجُ المُلْكِ فوقَ جَبِينِه * تحتَ الهِلالِ يَزِينُ ذاكَ المَفْرِقَا (٢)

تحية الأسطول العثمانى

أنشدها فى حفل أقيم بتياترو عباس فى ٩ مارس سنة ١٩١٠ م برآسة رءوف باشا المعتمد العثمانى

بالّذى أَجْراكِ يا رِيحَ الخُزامَى (٣) * بَلِّغِي البُسْفُورَ عن مِصْرَ السَّلامَا

وٱقطِفِي مِنْ كلِّ رَوْضٍ زَهْرَةً * وٱجعَلِيها لتَحايانا كِماما (٤)

وٱنْثُرِى رَيّاكِ (٥) فى ذاكَ الحِمَى * والثِمِى الأَرْضَ إذا جِئْتِ الإماما

مَلِكٌ للشَّرْقِ فى أيّامِه * هِمّةُ الغَرْبِ نُهوضًا وٱعتزاما

أَيُّها القائمُ بالأَمْرِ لقد * قُمْتَ فى النّاسِ فأَحْسَنْتَ القِياما

جَرِّدِ الرأىَ فكَمْ رَأْيٍ إذا * سُلَّ مِنْ غِمْدِ النُّهَى (٦) فَلَّ الحُساما

---

(١) تفيئوا ظل الأريكة ، يطلب إليهم أن يلتجئوا إليها و يستظلوا بها . والأريكة : سرير الملك .

(٢) مفرق الرأس : وسطه ، وهو حيث يفرق فيه الشعر .

(٣) الخزامى : نبات عطرى زهره من أطيب الأزهار نفحة ؛ وهذا النبات يقارب البنفسج ، و زهره إلى الزرقة واللازوردية . (٤) الكمام : أغطية الزهر ؛ الواحد كم (بكسر الكاف وتشديد الميم) . يقول : حوطى تحايانا بأزهار الرياض . ويشير بذلك إلى أن التحايا التى يبعث بها إلى البسفور أذكى من الأزهار ريحا ، لأن الأزهار أذكى من أكمامها وأطيب نفحة . (٥) الريا : الرائحة الطيبة . و يريد «بالإمام» : خليفة المسلمين . (٦) النهى : العقول ؛ الواحد نهية . وفل الحسام : ثلمه وكسره .

وَٱبْعَثِ الأُسْطُولَ تَرْمِى دُونَه * قُوَّةُ اللهِ وَرَاءً وأَمَامَا

يَكْلَأُ الشرقَ ويَرْعَى بُقْعَةً * رَفَعَ اللهُ بها (البَيْتَ الحَرَامَا) (١)

وثُغُوراً هِىَ أَبْهَى مَنْظَراً * مِنْ ثُغُورِ الغِيدِ يُبْدِينَ ٱبْتِسَامَا (٢)

خَصَّها اللهُ بأُفْقٍ مُشْرِقٍ * ضَمَّ فى اللَّأْلاءِ (مِصْرًا) و (الشَّآمَا) (٣)

حَىِّ يا مَشْرِقُ أُسْطُولَ الأُلَى * ضَرَبُوا الدَّهْرَ بِسَوْطٍ فاستقاما (٤)

مَلَكُوا البَرَّ فلمّا لم يَسَعْ * مَجْدَهُمْ نالُوا مِنَ البَحْرِ المَرَامَا

بِجَوَارٍ مُنْشَآتٍ كالدُّمَى * أَيْنَمَا سارَتْ صَبَا البَحْرُ وهَامَا (٥)

كلّما أَوْفَتْ على أَمْوَاجِه * سَجَدَ المَوْجُ خُشُوعًا وٱحْتِشَامَا (٦)

كانَ بالبَحْرِ إليها ظَمَأٌ * وعَجِيبٌ يَشْتَكِى البَحْرُ الأُوَامَا (٧)

فهىَ فى السِّلْمِ جَوارٍ تُجْتَلَى * تَبْهَرُ العَيْنَ رُوَاءً ونِظَامَا (٨)

وهى فى الحَرْبِ قَضاءٌ سابِحٌ * يَدَعُ الحِصْنَ تِلَالًا ورِجَامَا (٩)

---

(١) يكلأ الشرق : يحفظه ويصونه . ويريد «بالبقعة» : الحجاز . (٢) الغيد : جمع غادة ، وهى المرأة اللينة الناعمة . (٣) اللألاء : الضياء .

(٤) «ضربوا الدهر ... الخ» : يريد أنهم أخضعوه لسطوتهم وعزهم فاستقام لهم .

(٥) الجوارى المنشآت : السفن . والدمى : جمع دمية ، وهى الصورة المنقشة المزينة . شبه السفن بها فى جمالها .

(٦) أوفت : أشرفت . والاحتشام : الحياء .

(٧) الأوام : شدة العطش .

(٨) تجتلى : ينظر اليها الناس معجبين بحسنها ورونقها . والرواء (بضم الراء) : حسن المنظر .

(٩) الرجام : الحجارة ، الواحد رجمة (بضم الراء وسكون الجيم) .

ما نُجُومُ الرَّجْمِ مِنْ أَبْراجِها * إثْرَ عِفْرِيتٍ مِنَ الجِنِّ تَرَامَى (١)

مِنْ مَرَامِيها بِأَنْكَى مَوْقِعًا * لَا وَلَا أَقْوَى مِرَاسًا وعُرَاما (٢)

وهىَ بُرْكانٌ اذا ما هَاجَها * هائِجُ الشَّرِّ عِداءً وخِصاما

جَبَلَ النارِ لقد رُعْتَ الوَرَى * أَنتَ فى حالَيْكَ لا تَرْعَى ذِماما (٣)

أنتَ فى البَرِّ بَلاءٌ فإذا * رَكِبَ البَحْرَ غَدَا مَوْتًا زُؤاما (٤)

فاتَّقُوا الطَّوْدَ مَكِينًا راسِيًا * واتَّقُوا الطَّوْدَ اذا ما الطَّوْدُ عامَا (٥)

حَمَلَتْ حَرْبًا فكانَتْ حِقْبَةً * نُذُرًا لِلْمَوْتِ تَجْتاحُ الأَناما (٦)

خافَها العالَمُ حتى أَصْبَحَتْ * رُسُلًا تَحْمِلُ أَمْنًا وسَلاما (٧)

بُعِثَ المَشْرِقُ مِنْ مَرْقَدِه * بعدَ حِينٍ ، جَلَّ مَنْ يُحْيِي العِظاما

أيُّها الشَّرْقُ تَشَمَّرْ لا تَنَمْ * وانْفُضِ العَجْزَ فإنَّ الجِدَّ قاما

---

(١) ترامى ، أى تترامى وتتساقط . ويشير الى أن الجن كانوا قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم يسترقون السمع من السماء ، فلما بعث صلى الله عليه وسلم صار يرجم بالشهب كل من يريد منهم الدنو من السماء واستراق السمع ؛ وقد حكى الله تعالى ذلك فى القرآن فى سورة الجن .

(٢) أنكى : خبر «لما» فى قوله السابق : «ما نجوم» . والعرام : الشراسة والأذى والحدّة . يريد أن الشهب التى يرجم بها الجن المسترقون السمع من السماء ليست أشدّ وقعا ولا أنكى عذابا من قذائف هذه السفن فى الحرب .

(٣) رعت : أفزعت . والذمام : الحرمة والعهد .

(٤) يشير بقوله «أنت فى البر» : الى البراكين المعروفة . وبقوله « فاذا ركب البحر » : إلى الأسطول ، تشبيها له بالبراكين . جعل للبركان مظهرين : مظهره الحقيق فى البر ، ومظهره المجازى فى الأسطول .

(٥) الطود : الجبل العظيم .

(٦) الحقبة من الدهر : مدة لاحدّ لها . وتجتاح الأنام : تهلكهم .

(٧) يريد بهذا البيت والذى قبله : أن هذه السفن خدمت الحرب والسلم معا ، فكانت فى الحرب رسل موت تحصد الأرواح ، وهى لقوتها وكمال استعدادها أخافت الأعداء فتجنبوا حربها ، فكانت مبعث سلم أيضا .

وامتطِ العَزْمَ جَوادًا لِلعُلا * واْجعَلِ الحِكْمَةَ للعَزْمِ زِمَاما (١)

وإذا حاوَلْتَ فى الأُفْقِ مُنًى * فارْكَبِ البَرْقَ ولا تَرْضَ الغَمامَا (٢)

لا تَضِقْ ذَرْعًا بما قال العِدا * رُبَّ ذى لُبٍّ عن الحَقِّ تَعامَى

سابِقِ الغَرْبِىَّ واْسبِقْ واعتَصِمْ * بالمُرُوءاتِ وبالبَأْسِ اْعتِصاما

جانِبِ الأَطْماعَ وانْهَجْ نَهْجَه * واْجعَلِ الرَّحْمَةَ والتَّقْوَى لِزاما

طَلَبُوا مِنْ عِلْمِهِمْ أَنْ يُعْجِزُوا * قادِرَ المَوْتِ وأَنْ يَثْنُوا الحِماما (٣)

وأَرادُوا منه أَنْ يَرْفَعَهُمْ * فوقَ هامِ الشُّهْبِ فى الغَيْبِ مَقاما (٤)

(قُتِلَ الإنْسانُ ما أَكْفَرَه) * طاوَلَ الخالِقَ فى الكَوْنِ وسامَى (٥)

أَحْرَجَ الغَيْبَ إلى أَنْ بَزَّهُ * سِرَّه بَزًّا ولَم يَخْشَ اْنتِقاما (٦)

قُوَّةَ الرَّحْمنِ زِيدِينَا قُوًى * وأَفِيضِى فى بَنِى الشَّرْقِ الوِئاما

أَفْرِغِى مِنْ كُلِّ صَدْرٍ حِقْدَهُ * أَمْلإِ التارِيخَ والدُّنْيا كَلاما

أَسْأَلُ اللهَ الذى أَلْهَمَنا * خِدْمَةَ الأَوْطانِ شَيْخًا وغُلاما

أَنْ أَرَى فى البَحْرِ والبَرِّ لنا * فى الوَغَى أَندادَ (طُوجُو) و(أُيَاما) (٧)

---

(١) الزمام : ما تقاد به الدابة . (٢) يريد « بركوب البرق » : شدة السرعة ، لأن بطء الغمام لا يصلح مطية للجدّ . (٣) قادر الموت : مقدّره ، وهو الله تعالى .

(٤) الهام : الرءوس ، الواحدة هامة . والشهب : النجوم . (٥) طاول : غالب . وساماه مساماة : باراه فى السمو . (٦) بزه : سلبه . (٧) الوغى : الحرب . والأنداد : الأشباه . وطوجو وأياما : قائدان يابانيان معروفان .

حرب طرابلس (١)

[في سنة ١٩١٢ م]

طَمِعَ الْقَوْمُ عن الغربِ اللِّثاما (٢) * فاستفِقْ يا شرقُ واحذرْ أنْ تناما

واحملِي أيتها الشمسُ الى * كلِّ مَنْ يسكُنُ في الشرقِ السَّلاما

واشهدِي يومَ التنادي (٣) أننا * في سبيلِ الحقِّ قد متْنا كِراما

مادتِ الأرضُ (٤) بنا حينَ انتشتْ * مِنْ دمِ القتلى حلالاً وحراما

عجزَ الطِّلْيانُ عنْ أبطالنا * فأعلُّوا (٥) مِنْ ذرارينا الحُساما

كبّلوهمْ، قتلوهمْ، مثّلوا * بذواتِ الخِدرِ، طاحوا (٦) باليتامى

ذبحوا الأشياخَ والزَّمْنى (٧) ولمْ * يرحموا طفلاً ولمْ يبقوا غلاما

أحرقوا الدُّورَ، استحلُّوا كلَّ ما * حرَّمتْ (لاهاي) (٨) في العهدِ احتراما

بارَكَ المَطْرانُ (٩) في أعمالِهمْ * فسلُوه باركَ القومَ علاما؟

---

(١) ترجع أطماع إيطاليا في طرابلس منذ بدأت أوربا تنشط في اقتسام افريقيا . ولما رأت إيطاليا أن إنجلترا وفرنسا صارتا صاحبتي النفوذ في مصر وتونس ، قويت أطماعها في طرابلس . ولم تأت سنة ١٩١٢ م حتى أغارت إيطاليا على طرابلس تريد انتزاعها من تركيا ، وفي هذه الحرب يقول الشاعر قصيدته .

(٢) اللثام (بالكسر) : النقاب . أي إن أمم الغرب قد كشفوا عما يضمرون للشرق من اقتسامه بينهم . (٣) يوم التنادي : يوم القيامة . (٤) مادت الأرض : اضطربت . وانتشت : سكرت . (٥) أعلوا ، أي سقوا . وأصل الإعلال : السقي بعد السقي . (٦) طاح به : ذهب به وأهلكه . (٧) الزمنى : ذوو العاهات ؛ الواحد : زمن (بفتح الأول وكسر الثاني) .

(٨) يشير الى مؤتمر لاهاي الذي عقد في سنة ١٨٩٩ م بدعوة من نقولا الثاني قيصر روسيا للقضاء على أسباب الحرب ، بتقليل السلاح ، وتفويض المشاكل التي تقع بين الدول الى هيئة تحكيم يختار أعضاؤها من بين الدول . (٩) المطران (بالفتح ويكسر) : رئيس الكهنة ، وهو دون البطرق وفوق الأسقف .

أبِهذا جاءهم إنجيلُهم * آمِرًا يُلْقِي على الأرض سلاما؟

كَشَفُوا عن نِيّةِ الغَرْبِ لنا * وجَلَوْا عن أُفُقِ الشَّرْقِ الظَّلاما

فقرأناها سُطُورا مِنْ دَمٍ * أَقْسَمَتْ تَلْتَهِمُ الشَّرْقَ التهاما

أَطْلَقُوا الأُسْطُولَ فى البَحْرِ كما * يُطْلِقُ الزَّاجِلُ (١) فى الجَوِّ الحماما

فمضى غيرَ بَعيدٍ وٱنْثَنَى * يَحْمِلُ الأَنْبَاءَ شُؤْمًا وٱنهزاما

قد مَلأْنَا البَرَّ مِنْ أَشْلائِهِمْ (٢) * فدَعُوهُمْ يَمْلَئُوا الدُّنيا كَلاما

أَعْلَنُوا الحَرْبَ واضْمَرْنا لهمْ * أَيْنَما حَلُّوا هَلاكًا وٱخترامًا (٣)

خَبِّرُوا (فِكْتُورَ) (٤) عنّا أنّه * أَدْهَشَ العالَمَ حَرْبًا ونِظاما

أَدْهَشَ العالَمَ لمّا أَنْ رَأَوْا * جَيْشَه يَسْبِقُ فى الجَرْيِ النَّعاما

لَمْ يَقِفْ فى البَرِّ إلّا رَيْثَما * يُسْلِمُ الأَرْواحَ أو يُلْقِي الزِّماما

حاتِمَ الطُّلْيانِ (٥) قد قَلَّدْتَنا * مِنّةً نَذْكُرُها عامًا فعاما

أنتَ أَهْدَيْتَ إلينا عُدّةً * ولِباسًا وشَرابًا وطَعاما

وسِلاحًا كانَ فى أَيْديكُمُ * ذا كَلالٍ (٦) فغَدا يَفْرِي العِظاما

---

(١) الزاجل : الذى يرسل الحمام .

(٢) الأشلاء : الأعضاء وبقايا الأجساد ؛ الواحد شلو .

(٣) اخترم القوم : استأصلهم . (٤) فكتور عمانوئيل ، هو ملك إيطاليا .

(٥) شبه ملك الطليان فيما تخلى عنه جيشه للأتراك فى هذه الحرب من الأشياء المذكورة بعد بحاتم الطائى الذى يضرب به المثل فى الكرم ، ولا يخفى ما فى هذا من التهكم .

(٦) كل السيف كلالا : لم يقطع . و يفرى : يشق .

أَكثِرُوا النُّزهَةَ فى أَحيائِنا * ورُبانا إنّها تَشفِى السَّقاما

وأَقِيمُوا كلَّ عامٍ مَوسِمًا * يُشبِع الأَيتامَ مِنّا والأَيامَى (١)

لستُ أَدرِى بِتَّ تَرعَى أُمّةً * مِن بَنِي (التّليانِ) أم تَرعَى سَواما (٢)

ما لَهُمْ — والنّصرُ مِن عاداتِهِم — * لَزِمُوا الساحِلَ خَوفًا وٱعتِصاما

أَفلَتُوا مِن نارِ (فِيزُوفَ) إلى * نارِ حَربٍ لم تَكُن أدنَى ضِراما (٣)

لم يَكُن (فِيزُوفُ) أَدهَى حُمَمًا * مِن كُراتٍ تَنفُثُ الموتَ الزُّؤاما (٤)

إيهِ يا (فِيزُوفُ) نَم عنهم فقد * نَفَضَت إفريقيا عنها المَناما

فهى بُركانٌ لهم سَخَّرَهُ * مالِكُ المُلكِ جَزاءً وٱنتِقاما

لو دَرَوا ما خَبَأَ الشّرقُ لهم * آثَرُوا (فِيزُوفَ) وٱختارُوا ٱلمُقاما

تِلكَ عُقبَى أُمّةٍ غادِرَةٍ * تَنكُثُ العَهدَ ولا تَرعَى الذِّماما (٥)

تِلكَ عُقبَى كُلِّ جَبّارٍ طَغَى * أو تَعالَى أو عَنِ الحَقِّ تَعامَى

لَو دَرَت (رُومَةُ) ما قَد نابَها * فى (طَرابُلُس) أَبَت إلّا ٱنقِساما

وأَبَى كُلُّ ٱشتِراكِيٍّ بها * أن يَرَى التاجَ على رَأسٍ أَقاما

أَعلَنُوا ضَمَّ مَغانِينا إلى * مُلكِ (فِكتُورَ) ولَم يَخشَوا مَلاما (٦)

(١) الأيامى : جمع أيم (بتشديد الياء)، وهى من لا زوج لها . (٢) السوام : الإبل الراعية .
(٣) فيزوف : بركان فى جنوبى إيطاليا معروف . (٤) الحمم : جمع حممة، وهى كل ما احترق من النار . يريد ما يقذفه بركان فيزوف . ويريد «بالكرات» : قذائف المدافع . والزؤام : الكريه .
(٥) الذمام : الحق والحرمة . (٦) المغانى : المنازل؛ الواحد مغنى (بفتح فسكون) .

أَعْلَنُوا الضَّمَّ ولمَّا يَفْتَحُوا * قِيدَ أُظْفُورٍ وَرَاءً أو أَمَامَا (١)

فَٱعْجَبُوا مِنْ فاتحٍ ذِى مِرَّةٍ * يَحْسَبُ النُّزْهَةَ فى البَحْرِ صِدَامَا (٢)

ويَرَى الفَتْحَ ٱدِّعَاءً باطِلاً * وٱفتراءً وٱحتِجاجًا وٱحتِكامَا

أيُّها الحائِرُ فى البَحْرِ ٱقتَرِبْ * مِنْ حِمَى (البُسْفُورِ) إنْ كنتَ هُمامَا

كم سَمِعْنا عَنْ لِسانِ البَرْقِ ما * يُزْعِجُ الدُّنْيا إذَا الأُسْطُولُ عَامَا

عامَ شَهْرَيْنِ ولَمْ يَفْتَحْ سِوَى * هُوَّةٍ فيها المَلايِينُ تَرامَى (٣)

دَفَنُوا تارِيخَهُمْ فى قاعِها * ورَمَوْا فى إثْرِهِ المجدَ غُلامَا

فاطمئِنِّى أُمَّمَ الشَّرْقِ ولا * تَقْنَطِى اليومَ فإنّ الجَدَّ قامَا (٤)

إنّ فى أَضْلاعِنا أفئدةً * تَعْشَقُ المجدَ وتَأْبَى أنْ تُضامَا (٥)

منظومة تمثيليّة

قالها الشاعر عقب ضرب الأسطول الطليانى لمدينة بيروت انتقاما من الأتراك؛ وذلك فى عهد نشوب الحرب الطرابلسية التى وقعت بين الإيطاليين والترك فى سنة ١٩١٢م. وقد فرض الشاعر هذه الرواية بين جريح من أهل بيروت، وزوج له اسمها (ليلى)، وطبيب، ورجل عربى

الجريح :

(لَيْلاىَ) ما أنا حَىٌّ * يُرْجَى ولا أنا مَيْتُ

لَمْ أَقْضِ حَقَّ بِلادِى * وهأنَا قَدْ قَضَيْتُ (٦)

---

(١) قيد أظفور (بفتح القاف وكسرها)، أى مقدار ظفر. (٢) المرة (بالكسر): القوة والشدة.

(٣) ترامى: تترامى. (٤) الجد (بالفتح): الحظ. والمراد «بقيامه»: انتعاشه.

(٥) تضام: تظلم. (٦) قضيت: مت.

شَفَيْتُ نَفْسِى لَوَ أَنِّى * لَمَّا رُمِيتُ رَمَيْتُ

(بَيْرُوتُ) لو أنّ خَصْمًا * مَشَى إِلَىَّ مَشَيْتُ

أو داسَ أَرْضَكِ باغٍ * لَدُسْتُه وبَغَيْتُ

أَو حَلَّ فيكِ عَدُوٌّ * مُنازِلٌ ما ٱتَّقَيْتُ

لكنْ رَماكِ جَبانٌ * لو بان لى لٱشْتَفَيْتُ (١)

(لَيْلاىَ) لا تَحْسَبِينِى * على الحياةِ بَكَيْتُ

ولا تَظُنِّى شَكاتِى * مِنْ مَصْرَعِى إن شَكَوْتُ (٢)

ولا يُخِيفَنْكِ ذِكْرِى * (بَيْرُوتَ) أَنِّى سَلَوْتُ (٣)

(بَيْرُوتُ) مَهْدُ غَرامِى * فيها وفيكِ صَبَوْتُ (٤)

جَرَرْتُ ذَيْلَ شَبابِى * لَهْوًا وفيها جَرَيْتُ

فيها عَرَفْتُكِ طِفْلًا * ومِنْ هَواكِ ٱنْتَشَيْتُ (٥)

ومِنْ عُيونِ رُباها * وعَذْبِ فيكِ ٱرْتَوَيْتُ (٦)

فيها (لِلَيْلَى) كِناسٌ * ولِى مِنَ العِزِّ بَيْتُ (٧)

---

(١) اشتفى : أخذ بثأره فشفى بذلك نفسه . (٢) الشكاة : الشكوى .

(٣) أى لا تخشى ياليلاى من سلوتى إياك حينًا أذكر بيروت ، فكلاكما فى الحب عندى سواء ، كما يتبين ذلك من الأبيات الآتية . (٤) صبا : مال . أى إن شوقى وغرامى وميلى فيك وفيها .

(٥) انتشى : سكر . (٦) الربا : ما ارتفع من الأرض ؛ الواحدة ربوة . وعذب فيك ، أى ريقك العذب . (٧) الكناس : بيت الظبى الذى يأوى إليه .

فيها بنى لى مجدًا * أوائلى وبنيتُ

(ليلى) سراجُ حياتى[1] * خبا فما فيه زيتُ

قد أطفأته كُراتٌ[2] * ما مِنْ لظاهُنَّ فوتُ

رمى بهن بغاةٌ * أصبننى فتويتُ[3]

ليلى :

لو تُفتدى بحياتى * من الردى لفديتُ

ولو وقاك وقىٌّ * بمهجةٍ لوقيتُ

إنْ عشتَ أو متَّ إنّى * كما نويتَ نويتُ[4]

الجريح :

(ليلاىَ) عيشِى وقَرِّى * إذا الحِمامُ دعانى

(ليلاىَ) ساعاتُ عُمْرِى * معدودةٌ بالثوانى

فكفكفى من دموعٍ * تفرى حُشاشةَ فانى[5]

ومهّدى لىَ قبرًا * على ذُرا (لُبنانِ)

ثم اكتبى فوق لوحٍ * لكلِّ قاصٍ ودانى :

---

(١) خبا : خمد وطفئ . (٢) يريد « بالكرات » : قذائف المدافع المعروفة بالقنابل . واللظى : النار ، أو لهبها . والفوت : الافلات . (٣) تويت : أى هلكت . (٤) كما نويت نويت ، أى أنى جعلت حياتى وموتى تبعا لحياتك وموتك . (٥) تفرى : تقطع . والحشاشة : بقية الروح فى المريض .

هُنا الّذى ماتَ غَدْرًا * هُنا فَتَى الفِتْيانِ

رَمَتْهُ أَيدِى جُناةٍ * مِنْ جِيرَةِ النِّيرانِ (١)

قُرْصانُ بَحْرٍ تَوَلَّوا * مِنْ حَوْمَةِ المَيْدانِ (٢)

لَم يَخْرُجوا قِيدَ شِبْرٍ * عَنْ مَسْبَحِ الحِيتانِ

ولَم يُطِيقُوا ثَباتًا * فى أَوْجُهِ الفُرْسانِ

فَشَمَّرُوا لانتِقامٍ * مِنْ غافِلٍ فى أَمانِ

وسَوَّدُوا وَجْهَ (رُوما) * بالكَيْدِ لِلجيرانِ

تَبًّا لَهُمْ مِنْ بُغاثٍ * فَرُّوا مِنَ العِقْبانِ (٣)

لو أَنَّهم نازَلُونا * فى الشَّامِ يومَ طِعانِ

رَأَوْا طَرابُلُسَ تَبْدُو * لهم بكُلِّ مَكانِ

يا لَيْتَنى لَم أُعاجَلْ * بالموتِ قَبْلَ الأَوانِ

حتّى أَرَى الشَّرْقَ يَسْمُو * رَغْمَ اعتِداءِ الزَّمانِ

ويَسْتَرِدُّ جَلالًا * له ورِفْعَةَ شانِ

ولْيَعْلَمِ الغَرْبُ أَنّا * كأُمَّةِ (اليابانِ)

---

(١) يريد « بجيرة النيران » : الإيطاليين ، لوجود البراكين فى بلادهم .

(٢) قرصان البحر : لصوصه . وحومة الميدان : موضع القتال . يريد ميدان طرابلس .

(٣) البغاث ، طيور يضرب بها المثل فى الضعف . والعقبان : جمع عقاب ، وهو من الطيور الجوارح ، والعرب تسميه (الكاسر) .

لا نَرْتَضِى العَيْشَ يَجْرِى * فى ذِلَّةٍ وهَوانِ
أَرَاهُمُ أَنْزَلُونا * منازِلَ الحَيَوانِ
وأَخْرَجُونا جَمِيعًا * عَنْ رُتْبَةِ الإنْسانِ
وسَوْفَ تَقْضِى عليهم * طَبائِعُ العُمْرانِ (١)
فيُصْبِحُ الشَّرْقُ غَرْبًا * ويَسْتَوِى الخافِقانِ (٢)
لاهُمَّ جَدِّدْ قُوانا * لخِدْمَةِ الأَوْطانِ (٣)
فنَحْنُ فى كُلِّ صُقْعٍ (٤) * نَشْكُو بكلِّ لِسانِ
يا قومَ إنجيلِ (عِيسَى) * وأُمَّةَ القُرآنِ
لا تَقْتُلوا الدهرَ حِقْدًا * فالمُلْكُ للدَّيَّانِ

ليلى :

إنِّى أَرَى مِنْ بَعِيدٍ * جَماعَةً مُقْبِلِينَا
لَعَلَّ فيهِمْ نَصِيرًا * لَعَلَّ فيهِمْ مُعِينا

العربىّ :

هَوِّنْ عليكَ، تَماسَكْ (٥) * إنِّى سَمِعْتُ أَنِينا
أَظُنُّ هٰذا جَرِيحًا * يَشْكُو الأَسَى أَوْ طَعِينا
باللهِ ماذا دَهاهُ * يا هَذه خَبِّرِينا؟

---

(١) يريد « بطبائع العمران » : سننه فى الترقى من حسن إلى أحسن ، كما يدل عليه البيت الآتى .
(٢) الخافقان : المشرق والمغرب . (٣) لاهم ، أى اللهم .
(٤) الصقع (بالضم) : الناحية ، والجمع أصقاع . (٥) تماسك : تمالك .

ليلى :

لقد دهته المنايا * من غارة الخائنينا

صبوا علينا الرزايا * لم يتقوا الله فينا

خففوا من أذاه * إن كنتم فاعلينا

العربي :

لا تيأسي، وتجلد * أراك شهماً ركينا(١)

أبشر فإنك ناج * واصبر مع الصابرينا

الطبيب :

أواه إني أراه * بالموت أمسى رهينا

جراحه بالغات * تعيي الطبيب الفطينا

وعن قريب سيقضي(٢) * غض الشباب حزينا

العربي :

أف لقوم جياع * قد أزعجوا العالمينا

قراهم أين حلوا * ضرب يقد المتونا(٣)

عقوا المروءة هدوا * مفاخر الأولينا

عاثوا فساداً وفروا * يستعجلون السفينا(٤)

---

(١) الركين : الرزين . (٢) يقضي يموت . (٣) القرى : ما يقدم للضيف . ويقد : يقطع . والمتون : الظهور ؛ الواحد : متن . (٤) السفين : السفن ؛ الواحدة سفينة .

وأَلْبَسُوا الغَـرْبَ خِزْيًا * فى قَـرْنِهِ العِشْـرِينَـا

وأَلْجَمُـوا كلَّ داعٍ * وأَحْرَجُوا المُصْلِحِينـا

فَيَـا (أُرُبَّةُ) مَهْـلاً * أينَ الّذى تَدَّعِينـا

ما ذا تُرِيدِينَ مِنَّـا * والداءُ أَمْسَى دَفِيـنا

أينَ الحَضـارَةُ إنَّا * بعَيْشِـنا قـد رَضِينـا

لَمْ نُؤْذِ فى الدَّهْرِ جارًا * ولَمْ نُخـاتِلْ خَـدِينا (١)

(مَسَـرَّةَ) الشـامِ إنّا * إخـوانُكُمْ ما حَيِينـا (٢)

ثِقُـوا فإنّا وَثِقْـنا * بكُمْ وجِئْنا قَطِينـا (٣)

إنّا نَرَى فيـك (عيسَى) * يَدْعو إلى الخَيْرِ فِينـا

قَرَّبتَ بين قُـلوبٍ * قد أَوْشَكَتْ أَن تَبِينـا (٤)

فأنت فَخْـرُ النَّصـارَى * وصـاحِبُ المُسْلِمِينـا

الجـريح :

رأيتُ يَأْسَ طَبِيـبِى * وهَمْسَـه فى فُـؤادِى

لا تَنْـدُبِينِى فإنِّى * أَقْضِى وتَحْيَـا بِلادِى

---

(١) لم نخاتل : لم نخادع . والخدين : الصاحب .

(٢) مسرة الشام : مطران كبير لطائفة الروم الأرثوذكس من أسرة مسرة المعروفة ببيروت ، وكان يعنى بالجرحى فى هذه الحادثة . (٣) القطين : أهل الدار المقيمون بها . يريد أن المسلمين والنصارى أهل وطن واحد فى تلك البلاد . (٤) تبين : تنفصل .

العربى :

أستودعُ اللهَ شهمًا * ندبًا طويلَ النجادِ (١)

أستودعُ اللهَ روحًا * كانتْ رجاءَ البلادِ

فيا شهيدًا رمتْهُ * غدرًا كُراتُ الأعادِى

نمْ هانئًا مطمئنًا * فلمْ تنمْ أحقادِى

فسوفَ يرضيكَ ثأرٌ * يذيبُ قلبَ الجمادِ

استقبال الطيار العثمانى فتحى بك

نشرت فى سنة ١٩١٤ م ويلاحظ أن هذه القصيدة كانت قد أعدت لاستقبال الطيار المذكور، فسقطت به طائرته، ومات قبل إتمام رحلته الى مصر، فرأى حافظ من الوفاء نشر هذه القصيدة بعد موته لتكون له حيا وميتا

أهلًا بأولِ مسلمٍ * فى المشرقينِ علا وطارْ

النيلُ والبسفورُ فيـ * ـكَ تجاذبا ذيلَ الفخارْ (٢)

يومَ امتطيتَ براقكَ الـ * ـميمونَ واجترتَ القفارْ (٣)

تلهو وتعبثُ بالريا * حِ على المفاوزِ والبحارْ (٤)

(١) الندب : الذى اذا ندب إلى الحاجة خف لقضائها . والنجاد : حمائل السيف ، وطول النجاد : كناية عن طول القامة . (٢) كنى «بالنيل والبسفور» عن مصر وتركيا . (٣) البراق : الدابة التى ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج . شبه الشاعر طائرة فتحى بك بها فى سرعتها ويمنها .

(٤) المفاوز : جمع مفازة ، وهى الفلاة الواسعة التى لا ماء فيها .

لو سابَقَتْكَ سَوابِقُ الْـ * ـأفكارِ أَدْرَكَها العِثارْ (١)

حَسَدَتْكَ فى الأُفقِ البُرو * قُ وغارَ فى الأرضِ البُخارْ (٢)

تَجْرِى بسابِحَةٍ تَشُـ * ـقُّ سَبِيلَها شَقَّ الإزارْ (٣)

وتَكادُ تَقْدَحُ فى الأَثِيـ * ـرِ فَيَسْتَحِيلُ الى شَرارْ

مِثلَ الشِّهابِ انقَضَّ فى * آثارِ عِفْرِيتٍ وَثارْ (٤)

فإذا علَتْ فكَدَعْوَةِ الْـ * ـمُضْطَرِّ تَخْتَرِقُ السِّتارْ (٥)

و إذا هَوَتْ فكما هَوَتْ * أُنْثَى العُقابِ على الهَزارْ (٦)

وتُسِفُّ آوِنَةً وآ * وِنَةً يَحِيدُ بها ازْوِرارْ (٧)

فَيخالُها الرَّاءُونَ قد * قَرَّتْ وليس بها قَرارْ

لَعِبَ الجَوادِ أَقَلَّ لَيْـ * ـثًا مِنْ قُضاعَةَ أو نِزارْ (٨)

---

(١) يصفه فى هذا البيت بالسرعة حتى إنه يسبق الفكر فيما يخطر به من خواطر .

(٢) كنى «بالبخار» عن القواطر البخارية .

(٣) يريد بالسابحة : الطائرة ، شبهها بالسفينة السابحة فوق الماء ، وشبه اختراقها للفضاء بشق الثياب .

(٤) شبه الطائرة فى سرعتها بالشهاب الذى كان يرسل على كل من يحاول استراق السمع من الجن .

(٥) شبهها بدعوة المضطر، لما روى فى الآثار من أنها ليس بينها و بين الله حجاب ، فهى تخترق الآفاق من غير أن يحول بينها و بين الصعود حائل . و يريد «بالستار» : حجاب السماء . (٦) هوت : هبطت . والعقاب : طائر من الجوارح تسميه العرب الكاسر . والهزار (بالفتح) : عصفور صغير متنوع الصوت ؛ و يقال له : العندليب . (٧) تسف : تدنو من الأرض ؛ يقال : أسف الطائر إذا دنا من الأرض حتى كادت رجلاه تصيبانها . والازورار : الانحراف .

(٨) أقل : حمل . وكنى بقوله : «ليثا من قضاعة أو نزار» عن كون الفارس عربيا . يقول : إن هذه الطائرة تلعب فى سيرها فرحا ونشاطا كما يلعب الجواد بفارسه العربى . وقضاعة ونزار : قبيلتان معروفتان .

أو كاللُّعُوبِ من الدُّمَى * ئِمِ فَوقَ مَلْعَبِه آستطارْ

وكأنها في الأُفْقِ حِيـ * ـنَ يَميلُ ميزانُ النهارْ (١)

والشمسُ تُلْقِي فوقها * حُلَلَ آحمرارٍ وآصفرارْ

مَلِكٌ تُمَثِّلُه لنا (السِّيما) فيأخُذُنا آنبهارْ

(فتحي) بربِّكَ ما رأَيْـ * ـتَ بذلكَ الفلَكِ المُدارْ

أَبلغتَ تسبيحَ الملا * ئِكِ أو دنوتَ من السِّرارْ (٢)

أَمْ خِفتَ تلكَ الراصِدا * تِ هُناكَ مِنْ شُهُبٍ ونارْ (٣)

أرأيتَ سُكّانَ النُّجو * مِ وأنتَ في ذاكَ الجِوارْ

أهُناكَ في (المِرِّيخِ) ما * في الأرضِ من عِلَلِ الشِّجارْ (٤)

أهُناكَ يَستعْدِي الضَّعيـ * ـفُ على القويِّ فلا يُجارْ (٥)

ما لابنِ آدمَ زادَ في * غُلَوائِه فطَغَى وجارْ (٦)

ياليتَ شِعْرِي هل له * في عالَمِ المَلَكوتِ ثارْ (٧)

---

(١) ميلان ميزان النهار : كناية عن زوال الشمس عن وسط السماء وميلها الى جهة المغرب .

(٢) السرار (بالكسر) : مصدر سارّه (بتشديد الراء) . ويريد به هنا : مناجاة سكان السماء . يقال : سارّ فلان فلانا يساره : اذا ناجاه وأعلمه بسره . يسأل الطيار هل بلغ بطائرته من العلو إلى حيث يسمع مناجاة الملائكة في السماء .

(٣) الراصدات : الشهب التي أعدّها الله للجن حين كانت تسترق السمع من السماء ؛ قال تعالى حكاية عن الجن : (وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) .

(٤) الشجار : النزاع والخصام .

(٥) يقال : استعديت الأمير على فلان فأعداني ، أي استعنت به عليه فأعانني وأنصفني منه .

(٦) الغلواء (وتسكن اللام) : التغالي . والمراد هنا : التغالي في الأمل والطموح .

(٧) الثار : الثأر ، وسهلت الهمزة للشعر .

أم لاذَ مُعْتَصِماً بكُرْ * سِيِّ المُهَيْمِنِ واستجارْ

فاستلَّ مِنْ قلبِ الجما (١) * دِ الصُّلْبِ أَجْنِحَةً وطارْ

وتَسلَّقَ الأَجْواءَ يُمْ * تَطِيًا عَواصِفَها وسارْ

يَرْجُو النَّجاءَ مِن المَظا (٢) * لِمِ والمَغارِمِ والدَّمارْ

يأيُّها الطَّيَّارُ طِرْ (٣) * فإذا بَلَغتَ مَدَى المَطارْ

فزُرِ السُّهَا والفَرْقَدَيْـ (٤) * ـنِ إذا أُتيحَ لكَ المَزارْ

وسَلِ النُّجومَ عنِ الحَيا * ةِ ففِى السُّؤالِ لكَ اعتبارْ

هُمْ يُنْبِئُونَكَ أنَّ (٥) * كُلَّ الكائناتِ إلى بَوارْ

والظُّلْمُ مِنْ طَبعِ النِّظا (٦) * مِ فإنْ ظُلِمْتَ فلا تُمارْ

إنّ الذى بَرَأَ السَّدِيـ (٧) * ـمَ هو الذى بَرَأَ الغُبارْ

فى العالَمِ العُلْوِىِّ والسُّـ * ـفْلِىِّ أحكامٌ تُدارْ

خُلِقَ الضَّعيفُ لِخدمةِ الْـ * أَقْوَى وليس له خِيارْ

فتَقَوَّ يَرْهَبْكَ القَوِىُّ (٨) * وهُنْ يُلازِمْكَ الصَّغارْ

---

(١) استل : انتزع . (٢) الدمار : الهلاك . (٣) مدى المطار : غايته .

(٤) السها : كوكب خفى لبعده ، وهو فى بنات نعش الصغرى . والفرقدان : نجمان يهتدى بهما .

(٥) البوار : الهلاك والدمار . (٦) ماراه يماريه مماراة : جادله ونازعه . يقول لا تنازع فى ظلم وقع عليك ولا تبرم به ، فان تدبير العالم ونظامه يقتضيان وجود ظالم ومظلوم وقوى وضعيف .

(٧) برأ : خلق . والسديم : الضباب الرقيق .

(٨) هان يهون : ذل . والصغار : الذل .

فى الأَرضِ ما تَبْغُون مِنْ * عِــزٍّ وآمالٍ كِبارْ

فيهـا الحَـديدُ وفيــه بَأْ * سٌ يومَ يُمْتَهَنُ الذِّمارْ (١)

فيهـا الكُنوزُ الحافِلا * تُ لمِنْ تَبَصَّرَ وٱستَنارْ

منهـا ٱستَمَدَّ قُواهُ مَنْ * قَهَــرَ المَمـالكَ وٱسـتَعارْ (٢)

وبِمـا ٱحتَوَتْ رَدَّ الحَصِيـ * فُ الرَّأْيِ غارةَ مَنْ أَغارْ (٣)

فى ذِمَّــةِ الآفاقِ سِــرْ * وٱرجِــعْ إلى تلكَ الدِّيارْ (٤)

وٱجعَــلْ تحِيَّتَنـا إلى * بَــلَد به للمُــلْكِ دارْ (٥)

دارٌ عليْــهَا للخِــلا * فَةِ والهُدَى رُفِعَ المَنـارْ

دارُ الغُــزاةِ الفـاتِحيـ * نَ الصَّفْوةِ الغُـرِّ الخِيـارْ

فى كلِّ حاضِرَةٍ لهـــمْ * غَزْوٌ ففَتْـــحٌ فٱنتِصـارْ

ضَربُوا الزَّمانَ بِسَــوْطِ عِــزَّتِهِــمْ فَلانَ لهمْ فَــدارْ (٦)

يَمْشُونَ فى غَابِ القَنا * مَشْىَ المُــرَنَّحِ بالعُقـارْ (٧)

---

(١) الذمار (بالكسر) : ما يلزمك حفظه وحمايته . يقول : إن فى الأرض من الحديد ما تتخذ منه أسلحة نعتز بها وندفع كل من يحاول أن يعتدى علينا و ينتهك من حرماتنا . (٢) « استعار » : معطوف على « استمد » ؛ أى استعار منها قوته و بأسه . (٣) حصيف الرأى : جيده ومحكمه وسديده . (٤) يريد « بالديار » : بلاد تركيا موطن الطيار . (٥) يريد « بالبلد » : الآستانة مقر الخلافة .

(٦) دار ، أى دار الزمان لهم بما يشتهون . يقول : إنهم بما لديهم من عزة ومنعة قهروا الزمان على أن يواتيهم بما شاءوا . (٧) القنا : الرماح ؛ الواحدة قناة . شبهها بالغاب فى كثرتها واشتباك بعضها ببعض . والعقار (بالضم) : الخمر . والمرنح بها : الذى يتمايل فى مشيته سكرا ، شبه الجنود وقد ملئوا بنشوة الفرح بالقتال ، بشارب الخمر المترنح سكرا .

مِنْ كلِّ أَرْوَعَ فاتِكٍ * لا يَسْتَشِيرُ سِوَى الغِرارْ (١)

ذِى مِرَّةٍ تُشْجِيه ذا * تُ النَّقْعِ لا ذاتُ الخِمار (٢)

يَغْشَى المَعامِعَ ضارِباً * بِحَياته ضَرْبَ القِمَار (٣)

لا يَنْثَنِى أو تَخْرُجَ الـ * أَجْرامُ عَنْ فَلَكِ المَدار (٤)

عَبَسَتْ لهم أيامُهُمْ * والعَبْسُ يَعْقُبُه آفترار (٥)

ما عابَهُمْ أنّ الصُّعُو * دَ يَلِيه فى الدَّهْرِ آنحدار

فَلِكُلِّ غادٍ رَوْحَةٌ * ولكلِّ وُضّاءٍ سِرار (٦)

ولَسَوْفَ يَعْلُو نَجْمُهُمْ * ويَسُودُ ذَيّاكَ الشِّعار (٧)

(١) الأروع : هو الذى يعجبك بشجاعته ومنظره . والغرار (بالكسر) : حدّ السهم والرمح والسيف .

(٢) المرة : قوة الخلق (بفتح الخاء) وشدّته واستحكامه . وذات النقع : الحرب لما تثيره من النقع ، وهو الغبار . والخمار (بالكسر) : ما تغطى به المرأة وجهها . يقول : إن الحرب تطرب هذا الفارس وتشوقه أكثر مما تشوقه النساء بجمالهن .

(٣) المعامع : الحروب ؛ الواحدة : معمعة . يقول : إن هذا الفارس يدخل الحرب مقامرا بحياته وسواء لديه أخسرها أم كسبها .

(٤) يصفه بالثبات والإقدام وأنه لا يرجع عن غايته حتى تخرج الكواكب عن أفلاكها فى الدوران .

(٥) العبس : العبوس . والافترار : التبسم والضحك الحسن .

(٦) الوضاء (بضم الواو وتشديد الضاد) : البهيج الحسن ؛ يريد البدر . والسرار (بكسر السين) : الليلة التى يستسر فيها القمر، أى يختفى ، وذلك لا يكون إلا فى آخر الشهر ، وربما كان ليلة ، وربما كان ليلتين . وكنى بذلك عما ينتهى اليه كل نضرة وجمال من بلى وذهاب .

(٧) يريد « بالشعار » : الهلال ، وكان شعار الدولة العثمانية .

إلى معتمد بريطانيا فى مصر

قالها عند تعيين معتمد جديد لبريطانيا، وهو السير مكماهون

[نشرت فى يناير سنة ١٩١٥ م]

أىْ (مَكْمَهُونُ) قَدِمْتَ بالْ * قَصْدِ الحَمِيدِ وبالرِّعايَهْ

ما ذا حَمَلْتَ لنا عَنِ الْ * مَلِكِ الكَبِيرِ وعن (غِرايَهْ)[1]؟

أَوْضِحْ (لِمِصْرَ) الفَرْقَ ما * بَيْنَ السِّيادَةِ والحِمايَهْ

وأَزِلْ شُكُوكًا بالنُّفُو * سِ تَعَلَّقَتْ مُنْذُ البِدايَهْ

ودعِ الوُعُودَ فإنَّها * فيما مَضَى كانتْ رِوايَهْ

أَضْحَتْ رُبُوعُ النِّيلِ سَلْ * طَنَةً وقد كانَتْ وِلايَهْ

فتَعَهَّدُوها بالصَّلا * حِ وأَحْسِنُوا فيها الوِصايَهْ

إنّا لَنَشْكُو واثِقِيـ * ـنَ بعَدْلِ مَنْ يُشْكِي الشِّكايَهْ[2]

نَرْجُو حَياةً حُرَّةً * مَضْمُونَةً فى ظِلِّ رايَهْ

ونَرُومُ تَعْلِيمًا يَكُو * نُ له مِنَ الفَوْضَى وِقايَهْ

ونَوَدُّ أَلّا تَسْمَعُوا * فِينا السِّعايَةَ والوِشايَهْ

أنتمْ أَطِبّاءُ الشُّعُو * بِ وأَنْبَلُ الأَقْوامِ غايَهْ

(١) غرايه، يريد السير إدوارد غراى، وزير خارجية إنجلترا إذ ذاك .

(٢) يقال: أشكيت فلانا، إذا قبلت شكواه وأرضيته وأزلت شكايته .

أنّى حَلَلْتُمْ فى البـلا * دِ لكمْ مِنَ الإصْلاحِ آيَهْ

رَسَخَتْ بِنَايَةُ مَجْدِكُمْ[1] * فَوْقَ الرَّوِيَّةِ والهِدايَه

وعَدَلْتُمُ فَمَلَكْتُمُ الـ * دُّنْيَا وفى العَدْلِ الكِفايَهْ

إنْ تَنْصُروا المُسْتَضْعَفِيـ * ـنَ فنَحْنُ أَضْعَفُهُمْ نِكايَهْ

أو تَعْمَلُوا لصَلاحِنا * فتَدارَكُوه إلى النِّهايَهْ

إنّا بَلَغْنا رُشْدَنا * والرُّشْدُ تَسْبِقُه الغَوايَهْ

لا تَأخُذُونا بالكَلا * مِ فلَيْسَ فى الشَّكْوَى جِنايَهْ

هَذا (حُسَيْنٌ) فَوْقَ عَرْ * شِ (النِّيلِ) تَحْرُسُه العِنايَهْ

هُوَ خَيْرُ مَنْ يَبْنِى لنا * فدَعُوه يَنْهَضْ بالبِنايَهْ

إلى غليوم الثانى امبراطور ألمانيا

قالها ينكر عليه إثارته الحرب العظمى وما ارتكبه فيها من الفظائع

[نشرت فى يناير سنة ١٩١٥ م]

لِلّهِ آثارٌ هُناكَ كَرِيمَةٌ[2] * حَسَدَتْ رَوائِعَ حُسْنِها (بِرْلِينُ)

طاحَتْ بِها تِلْكَ المَدافِعُ تارَةً * لَمّا أَمَرْتَ وتارَةً (زِبْلِينُ)[3]

---

(١) يصف فى هذا البيت الانجليز بأنهم أسسوا مجدهم على التأنى فى الأمور، واتباع سواء السبيل .

(٢) يريد آثار الحضارة فى فرنسا وغيرها من الممالك التى خربها الألمان فى الحرب العظمى .

(٣) طاحت بها ، أى محتها . وزبلين : يريد نوعا من الطائرات سمى باسم مخترعه ، وهو الكونت زبلين الألمانى .

ما ذا رَأَيْتَ مِنَ النَّبَالة والعُلَا * فى عُدْمِهِنّ وكُلُّهُنَّ عيونُ (١)

لو أنّ فى (بِرْلِينَ) عِنْدَكَ مِثْلَها * لعَرَفْتَ كيف تُجِلُّها وتَصُونُ

إنْ كنتَ أنتَ هَدَمْتَ (رِمْسَ) فإنّه * أَوْدَى بمَجْدِكَ رُكْنُها المَوْهُونُ (٢)

لم يُغْنِ عنها مَعْبَدٌ خَرَّبْتَه * ظُلْمًا ولم يُمْسِكْ عِنانَكَ دِينُ

لا تَحْسَبَنّ الفَخْرَ ما أَحْرَزْتَه * الفَخْرُ بالذِّكْرِ الجَمِيلِ رَهِينُ

هل شِدْتَ فى (بِرْلِينَ) غيرَ مُعَسْكَرٍ * قامَتْ عليه مَعاقِلٌ وحُصُونُ

وجَمَعْتَ شَعْبَكَ كلَّه فى قَبْضَةٍ * إنْ لم تَكُنْ لانَتْ فسَوْفَ تَلِينُ

نَظَمَتْ تجارَتُكَ المَدائنَ والقُرَى * (فالنِّيلُ) ناءَ بِها وناءَ (السِّينُ) (٣)

فبكُلِّ أَرْضٍ مِنْ رِجالِكَ عُصْبَةٌ * وبكُلِّ بَحْرٍ مِنْ لَدُنْكَ سَفِينُ

تَسْرِى ونَسْرُكَ أَيْنَ حَلَّ يُظِلُّها * لا اللَّيْثُ يُزْعِجُها ولا التِّنِّينُ (٤)

فالأَمْرُ أَمْرُكَ والمُهَنَّدُ مُغْمَدٌ * والنَّهْىُ نَهْيُكَ والسُّرَى مَأْمُونُ (٥)

---

(١) عدمهن، أى فقدانهنّ وذهابهن .

(٢) رمس : مدينة فرنسية مشهورة بكنيستها التاريخية، وقد خربها الألمان بمدافعهم فى الحرب الأخيرة، ثم جدّدت بعد انتهائها . والموهون : الذى أدركه الوهن، وهو الضعف والانحلال . يقول : إن اعتداءك على هذا البلد أظهرك بمظهر المخرب فانهدم بذلك ما بنيته من مجد وفخر .

(٣) يقال : ناء بالحمل، إذا أثقله ولم يقدر على حمله . والسين : نهر بفرنسا معروف .

(٤) يريد « بالنسر » : الراية الألمانية . والليث : إشارة إلى بريطانيا . والتنين : إشارة إلى اليابان . والمعنى أن سفن التجارة الألمانية تسير مظللة براية دولتها، فلا تقدر أية دولة مهما عظمت أن تعوقها عن سبيلها .

(٥) المهند : السيف . والمعنى أن الأمر والنهى كلاهما لك فى أيام السلم .

قد كان فى (بِرْلِينَ) شَعْبُكَ وادِعاً * يستعمر الأَسْواقَ وهِىَ سُكُونُ (١)

فُتِحَتْ له أَبْوابُها فسَبِيلُها * وَقْفٌ عليه ورِزْقُه مَضْمُونُ

فعَلامَ أَرْهَقْتَ الوَرَى وأَثَرْتَها * شَعْواءَ فيها لِلهَلاكِ فُنُونُ ؟ (٢)

تاللهِ لو نُصِرَتْ جُيُوشُكَ لانْطَوَى * أَجَلُ السَّلامِ وأَقْفَرَ المَسْكُونُ

سَبْعُونَ مِلْيُوناً إذا وَزَّعْتَها * بَيْنَ الحَواضِرِ نالَنَا مِلْيُونُ

وَيْلٌ لِمَنْ يستعمرون بِلادَه * القَحْطُ أَيْسَرُ خَطْبِه والهُونُ (٣)

أَكْثَرْتَ مِنْ ذِكْرِ الإلٰهِ تَوَرُّعاً * وزَعَمْتَ أَنَّكَ مُرْسَلٌ وأَمِينُ

عَجَباً أَتَذْكُرُه وتَمْلأُ كَوْنَه * وَيْلاً لِيَنْعَمَ شَعْبُكَ المَغْبُونُ

وكذٰلِكَ القَصّابُ يَذْكُرُ رَبَّه * والنَّصْلُ فى عُنُقِ الذَّبِيحِ دَفِينُ

---

(١) الوادع : الساكن المطمئن . ويستعمر، يريد : يعمر . والذى وجدناه فى كتب اللغة أنه يقال : أعمره المكان واستعمره فيه ، أى جعله يعمره . وفى التنزيل العزيز : (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها)، أى أذن لكم فى عمارتها . ولم نجد فى كتب اللغة ما شاع استعماله بين كتاب العصر من قولهم : استعمرت المكان (بالبناء للفاعل) بمعنى عمرته .

(٢) أرهقت الورى : ظلمتهم وحملتهم ما لا يطيقون . وشعواء، يريد غارة شعواء أى عامة شاملة .

(٣) الهون (بضم الهاء) : الذل .

الحرب العظمى

[نشرت فى ١٥ يوليه سنة ١٩١٥ م]

لاهُمَّ إنّ الغَرْبَ أَصْبَحَ شُعْلَةً (١) * مِنْ هَوْلِها أُمُّ الصَّواعِقِ تَفْرَقُ

العِلْمُ يُذْكِى نارَها وتُثِيرُها (٢) * مَدَنِيّةٌ خَرْقاءُ لا تَتَرفَّقُ

ولقد حَسِبْتُ العِلْمَ فينا نِعمةً (٣) * تَأْسو الضَّعِيفَ ورَحْمَةً تَتَدَفَّقُ

فإذا بِنِعْمَتِهِ بَلاءٌ مُرْهِقٌ (٤) * وإذا بِرَحْمَتِهِ قَضاءٌ مُطْبِقُ

عَجَزَ الرُّماةُ عن الرُّماةِ فأَرْسَلُوا (٥) * كِسَفاً يَمُوجُ بها دُخانٌ يَخْنُقُ

تتعوّذُ الآفاقُ منه وتَنْثَنِى (٦) * عَنْهُ الرِّياحُ ويَتَّقِيه الفَيْلَقُ

وتَنابَلُوا بالكِيمِياءِ فأَسْرَفُوا (٧) * وتَساجَلُوا بالكَهْرَباءِ فأَغْرَقُوا

وتَنازَلُوا فى الجَوِّ حِينَ بَدَا لَهُمْ * أنّ البَسِيطَةَ عَنْ مَداهُمْ أَضْيَقُ

نَفِسُوا على الحِيتانِ واسِعَ مُلْكِها (٨) * فتَفَنَّنُوا فى سَلْبِه وتَأَنَّقُوا

مَلَكُوا مَسابِحَها عليها بَعْدَ ما (٩) * غَلَبُوا النُّسُورَ على الجِواءِ وحَلَّقُوا

إنْ كانَ عَهْدُ العِلْمِ هَذا شأْنُه * فِينا فعَهْدُ الجاهِلِيّةِ أَرْفَقُ

(١) لاهمّ، أى اللهمّ . وتفرق : تخاف وتفزع . (٢) يذكى نارها : يشعلها . والخرقاء : الحمقاء . ويشير الى أثر العلم فيما أوجد من مخترعات مهلكة فى الحرب . (٣) تأسو الضعيف، أى تعمل على تقويته وتعالج ضعفه . (٤) مطبق : عام شامل . (٥) يريد «بالكسف» : قطع الدخان من الغازات السامة التى استعملت فى الحرب أخيرا، شبهها بكسف السحاب، أى قطعه؛ الواحدة كسفة . (٦) الفيلق : الجيش العظيم . (٧) التنابل : الترامى بالنبل . يشير إلى استعمال المواد الكيمائية وتسخير الكهرباء فى الإهلاك والتدمير . (٨) نفس عليه الشىء : حسده عليه ولم يره أهلا له . (٩) الجواء : جمع جو . ويشير بهذا البيت والبيتين اللذين قبله إلى استخدام الغواصات والطائرات فى الحروب .

مظاهرة السيدات

قالها فى مظاهرة قامت بها السيدات فى الثورة الوطنية فى سنة ١٩١٩ م

ونشرت إذ ذاك فى منشورات وطنية ، وتأخر نشرها فى الصحف إلى ١٢ مارس سنة ١٩٢٩ م

خَرَجَ الغَوانِى يَحْتَجِجْـ * ـنَ ورُحْتُ أَرْقُبُ جَمْعَهُنَّهْ

فإذا بِهِنَّ تَخِذْنَ مِنْ * سُودِ الثِّيابِ شِعارَهُنَّهْ

فطَلَعْنَ مِثْلَ كَواكِبٍ * يَسْطَعْنَ فى وَسَطِ الدُّجُنَّهْ (١)

وأَخَذْنَ يَجْتَزْنَ الطَّرِيـ * ـقَ ودارُ (سَعْدٍ) قَصْدُهُنَّهْ

يَمْشِينَ فى كَنَفِ الوَقا * رِ وقد أَبَنَّ شُعُورَهُنَّهْ

وإذا بجَيْشٍ مُقْبِلٍ * والخَيْلُ مُطْلَقَةُ الأَعِنَّهْ

وإذا الجُنودُ سُيُوفُها * قد صُوِّبَتْ لِنُحُورِهِنَّهْ

وإذا المَدافِعُ والبَنا * دِقُ والصَّوارِمُ والأَسِنَّهْ (٢)

والخَيْلُ والفُرْسانُ قَدْ * ضَرَبَتْ نِطاقًا حَوْلَهُنَّهْ

والوَرْدُ والرَّيْحانُ فى * ذاكَ النَّهارِ سِلاحُهُنَّهْ

فتَطاحَنَ الجَيْشانِ سا * عاتٍ تَشِيبُ لها الأَجِنَّهْ

فتَضَعْضَعَ النِّسْوانُ والنِّـ * ـسْوانُ ليسَ لَهُنَّ مُنَّهْ (٣)

ثم انْهَزَمْنَ مُشَتَّتا * تِ الشَّمْلِ نَحْوَ قُصُورِهِنَّهْ

---

(١) الدجنة : الظلمة . (٢) الصوارم : السيوف القواطع . (٣) المنة : القوّة .

فليَهْنأ الجَيْشُ الفَخُــو * رُ بنَصْــرِه وبكَسْرِهِنّهْ

فكأنّما الألمانُ قـد * لَبِسُوا البَرَاقِـعَ بَيْنَهُنّهْ

وأتَوا (بهِنْدِنْبُرْجَ)[1] مُخْـ * ـتَفِيًا بِمِصْرَ يَقُودُهُنّهْ

فلذاكَ خافُوا بَأْسَهُنَّ * وأشْفَقُوا مِنْ كَيْدِهِنّهْ

أياصوفيا[2]

قالها حين خيف على الآستانة أن تمتلكها دول الحلفاء وتنزعها من يد الأتراك وذلك عقب الحرب العظمى، وكانت جيوش تلك الدول قد احتلت هذه المدينة

[وتأخر نشر هذه القصيدة الى سنة ١٩٣٢ م]

(أياصُوفيا)[3] حانَ التَّفَرُّقُ فاذكُرِى * عُهُودَ كِرامٍ فيكِ صَلُّوا وَسَلَّمُوا

اذا عُدْتِ يوما للصَّليبِ وأَهْلِه * وحَلَّى نَواحِيكِ المَسِيحُ ومَرْيَمُ[4]

ودُقَّتْ نَواقِيسٌ وقام مُزَمِّرٌ * مِنَ الرُّومِ فى مِحْرابِه يَتَرنَّمُ

فلا تُنْكِرِى عَهْدَ المَآذِنِ إنّه * على اللهِ مِن عَهْدِ النَّواقِيسِ أكْرَمُ

---

(١) هندنبرج، هو القائد الألمانى المعروف فى الحرب العظمى .

(٢) يلاحظ أننا راعينا فى وضع هذه القصيدة تاريخ قولها لا تاريخ نشرها، لأن مراعاة ذلك أجدى على مؤرخ الأدب .

(٣) أياصوفيا : أعظم مسجد فى القسطنطينية، وكان قبل الفتح العثمانى الكنيسة الأولى فى الشرق فحوّلها العثمانيون مسجدا .

(٤) يريد صورتى عيسى ومريم اللتين توضعان فى الكنائس عادة .

تَبارَكْتَ، (بَيْتُ القُدْسِ)[1] جَذْلَانُ آمِنٌ * ولا يَأْمَنُ (البَيْتُ العَتِيقُ) المُحَرَّمُ

أَيُرْضِيكَ أَنْ تَغْشَى سَنابِكُ خَيْلِهِمْ[2] * حِماكَ وأَنْ يُمْنَى (الحَطِيمُ) و(زَمْزَمُ)؟

وكيف يَذِلُّ المُسْلِمُون وبَيْنَهُمْ * كِتابُكَ يُتْلَى كُلَّ يَوْمٍ ويُكْرَمُ؟

نَبِيُّكَ مَحْزُونٌ وبَيْتُكَ مُطْرِقٌ * حَياءً وأَنْصارُ الحَقِيقَةِ نُوَّمُ

عَصَيْنا وخالَفْنا فعاقَبْتَ عادِلًا * وحَكَّمْتَ فِينا اليومَ مَنْ لَيْسَ يَرْحَمُ

مصر

أنشدها فى الحفل الذى أقيم بفندق الكونتننتال لتكريم المرحوم عدلى يكن باشا بعد عودته من أوربا قاطعا المفاوضة مع الانجليز ومستقيلا من الوزارة . نشرت فى ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢١م

وهذه القصيدة على لسان مصر تتحدّث عن نفسها

وَقَفَ الخَلْقُ يَنْظُرونَ جَمِيعًا * كيفَ أَبْنِي قَواعِدَ المَجْدِ وَحْدِي

وبُناةُ الأَهْرامِ فى سالِفِ الدَّهْـ * ـرِ كَفَوْنِي الكَلامَ عِنْدَ التَّحَدِّي

أَنا تاجُ العَلاءِ[3] فى مَفْرِقِ الشَّرْ * قِ ودُرَّاتُهُ فَرائِدُ عِقْدِي

أَيُّ شَيْءٍ فى الغَرْبِ قَدْ بَهَرَ النّا * سَ جَمالًا ولَمْ يَكُنْ مِنْهُ عِنْدِي؟

---

(١) كنى «ببيت القدس والبيت العتيق» : عن معابد النصارى ومعابد المسلمين . يقول : إن معابد النصارى فى فرح وأمن ، ومعابد المسلمين فى خوف وفزع . (٢) سنابك الخيل : أطراف حوافرها ؛ الواحد سنبك . ويمنى : يبتلى ويصاب . والحطيم : ما بين الركن وزمزم والمقام . جعل سقوط الآستانة فى يد الإفرنج خطرا يخشى أن يمتد إلى البيت الحرام ، لأن فى سقوط الدولة العثمانية سقوطا لولاياتها . (٣) العلاء (بالفتح والمدّ) : الرفعة والشرف . والمفرق (كمقعد ومجلس) : وسط الرأس . والفرائد : الجواهر التى لا توائم لها لنفاستها ؛ الواحدة فريدة . ويريد «بدراته» : ممالك الشرق التى كان لمصر الزعامة عليها .

فتُرابي تِبرٌ ونَهري فُراتٌ * وسَمائي مَصقولةٌ كالفِرِنْدِ (١)

أينَما سِرتَ جَدوَلٌ عِندَ كَرْمٍ * عِندَ زَهرٍ مُدَنَّرٍ عِندَ رَنْدِ (٢)

ورِجالي لو أنصَفوهُم لسادُوا * مِنْ كُهولٍ مِلءِ العيونِ ومُرْدِ (٣)

لو أصابُوا لَهُم مَجالاً لأبْدَوا * مُعجِزاتِ الذَّكاءِ في كُلِّ قَصْدِ

إنّهُمْ كالظُّبا ألَحَّ عليها * صَدَأُ الدَّهرِ مِنْ ثَواءٍ وغِمْدِ (٤)

فإذا صَيْقَلُ القَضاءِ جَلاها * كُنَّ كالمَوْتِ ما لَهُ مِنْ مَرَدِّ (٥)

أنا إنْ قَدَّرَ الإلهُ مَماتي * لا تَرَى الشَّرقَ يَرفَعُ الرّأسَ بَعْدي

ما رَماني رامٍ وَراحَ سَليماً * مِنْ قَديمٍ عِنايَةُ اللهِ جُنْدي

كم بَغَتْ دَولَةٌ عَلَيَّ وجارَتْ * ثُمّ زالَتْ وتِلْكَ عُقْبَى التَّعَدِّي

إنّني حُرّةٌ كَسَرْتُ قُيودي * رَغْمَ رُقْبَى العِدَا وقَطَّعْتُ قِدِّي (٦)

وتَماثَلْتُ للشِّفاءِ وقَد دا * نَيْتُ حَيْني وهَيَّأَ القَومُ لَحْدي (٧)

قُلْ لِمَنْ أنكَرُوا مَفاخِرَ قَوْمي * مِثْلَ ما أنْكَرُوا مآثِرَ وُلْدي

هَلْ وَقَفْتُمْ بِقِمّةِ الهَرَمِ الأكْـ * ـبَرِ يَوماً فَرَيْتُمُ بَعضَ جُهْدي؟ (٨)

---

(١) الفرات: العذب. والفرند: السيف. (٢) مدنر، أي مختلف الألوان، أو مشرق متلألئ. والرند: شجر طيب الرائحة، وله حب يقال له: الغار. (٣) ملء العيون، أي تعجبك مناظرهم. والمرد: جمع أمرد، وهو الشاب نبت شاربه ولم تنبت لحيته. (٤) الظبا: جمع ظبة؛ وهي حدّ السيف والسنان ونحوهما. والثواء: طول المكث. (٥) الصيقل: شاحذ السيوف وجاليها؛ والجمع صياقل وصياقلة. (٦) رقبى العدا، أي مراقبتهم لي. والقد: القيد يقدّ من جلد. (٧) الحين (بالفتح): الهلاك. (٨) فريتم، أي فرأيتم.

هَــلْ رَأَيْتُمْ تلك النُّقُوشَ اللَّواتِى * أَعْجَـزَتْ طَـوْقَ صَنْعَةِ المُتَحَدِّى؟[1]

حالَ لَوْنُ النَّهـارِ مِنْ قِـدَمِ العَهْـ * ـدِ وما مَسَّ لونَهـا طُولُ عَهْـدِ[2]

هــل فَهِمْتُمْ أَسرارَ ما كان عِنْدِى * مِنْ عُلُومٍ مَخْبُـوءَةٍ طَىَّ بَرْدِى؟[3]

ذاكَ فَنُّ التَّحْنِيطِ قد غَلَبَ الدهْـ * ـرَ وأَبْـلَى البِـلَى وأَعْجَـزَ نِـدِّى

قد عَقَدْتُ العُهودَ مِنْ عَهْدِ فِرْعَوْ * نَ ففِى (مِصْرَ) كان أولُ عَقْـدِ[4]

إنَّ مَجْـدِى فى الأُولَيـاتِ عَرِيقٌ * مَن له مِثْـلُ أُولَيـاتِى ومَجْـدِى؟[5]

أنا أُمُّ التَّشْـرِيعِ قـد أَخَـذَ الرُّو * مانُ عَنِّى الأُصـولَ فى كلِّ حَـدِّ[6]

ورَصَدْتُ النُّجومَ مُنْـذُ أَضاءَتْ * فى سَماءِ الدُّجَى فأَحْكَمْتُ رَصْدِى[7]

وشَـدا (بنتئـور) فَـوْقَ رُبوعِى * قَبْـلَ عَهْدِ اليُونانِ أو عَهْدِ (نَجْدِ)[8]

---

(١) الطوق : الطاقة والجهد . والمتحدى : المعارض الذى ينازعك الغلبة والفخر .

(٢) حال : تغير وتحوّل . (٣) البردى (بالتشديد وخفف للشعر) : نبات تعمل منه الحصر وكان يصنع منه الورق قديما . (٤) يشير إلى المحالفة التى عقدت بين رمسيس الثانى وملك الحثيين سنة ١٢٥٠ ق م على أن يمسكا عن الحروب ، وأن يكونا صديقين الى الأبد . وقد حدّدا فى تلك المحالفة حدود أملاكهما ، وهى أقدم محالفة عرفت فى التاريخ .

(٥) الأوليات ، أى السنين الأولى . (٦) يشير الى ما هو معروف من أن المصريين قديما كانوا مصدر القوانين الإدارية ، وعنهم أخذت الأمم المجاورة لهم ، وقد وفد اليهم من واضعى القوانين ليكرغ وصولون اليونانيان ، وعن اليونان أخذ الرومان .

(٧) كان المصريون من أقدم الأمم التى اشتغلت بعلم الفلك ، وقد ذكر مؤرّخو اليونان أن أمتهم أخذت هذا العلم عن المصريين ، وقد عثر فى بعض المقابر على آلات للرصد ومصوّرات لشكل السماء ومواقع نجومها . (٨) بنتاءور : أقدم شاعر عرفه التاريخ ، وهو مصرى . و« قبل عهد اليونان » ... الخ ، أى قبل شعراء اليونان وشعراء العرب .

وقديما بَنى الأَساطِيلَ قَومِى ＊ فَفَرقْنَ البِحارَ يَحْمِلْنَ بَنْدِى (١)

قَبْلَ أُسْطولِ (نِلسن) كان أُسْطو ＊ لِى سَرِيًّا وطالِعِى غيرَ نَكْدِ (٢)

فَسَلُوا البَحْرَ عن بَلاءِ سَفِينِى ＊ وسَلُوا البَرَّ عن مَواقِعِ جُرْدِى (٣)

أَتُرانِى وقد طَوَيْتُ حَياتِى ＊ فى مِراسٍ لَمْ أَبْلُغِ اليَوْمَ رُشْدِى ؟

أىُّ شَعْبٍ أَحَقُّ مِنِّى بعَيْشٍ ＊ وارِفِ الظِّلِّ أخضرِ اللَّوْنِ رَغْدِ ؟ (٤)

أَمِنَ العَدْلِ أَنَّهُمْ يَرِدُونَ الْ ＊ ـماءَ صَفْوًا وأَنْ يُكَدَّرَ وِرْدِى ؟

أَمِنَ الحَقِّ أنهمْ يُطْلِقُونَ الْ ＊ ـأُسْدَ منهمْ وأَنْ تُقَيَّدَ أُسْدِى ؟

نِصْفُ قَرْنٍ إلَّا قليلا أُعانِى ＊ ما يُعانِى هَوانَه كلُّ عَبْدِ

نَظَرَ اللهُ لى فأَرْشَدَ أَبْنا ＊ ءِى فشَدُّوا إلى العُلَا أىَّ شَدِّ

إنَّما الحَقُّ قُوَّةٌ مِنْ قُوَى الدَّ ＊ يانِ أَمْضَى مِنْ كلِّ أبيَضَ هِنْدِى (٥)

قد وَعَدْتُ العُلا بكلِّ أَبِىٍّ ＊ مِن رِجالِى فأَنْجِزُوا اليومَ وَعْدِى

أَمْهِرُوها بالرُّوحِ فهىَ عَرُوسٌ ＊ تَشْنَأُ المَهْرَ مِنْ عُرُوضٍ ونَقْدِ (٦)

---

(١) فرقن البحار : شققنها . والبند : العلم الكبير . وقد ذكر المؤرخون أن نخاو من ملوك مصر القدماء ، كان قد أرسل عددا من الملاحين للطواف بسفنهم حول إفريقية ، فأتموا سياحتهم فى ثلاث سنين .

(٢) نلسن ، هو أمير البحر الإنجليزى الذى أحرق أسطول نابليون بونابرت فى موقعة أبى قير المعروفة . والنكد : الشؤم .

(٣) الجرد : الخيل . ويريد الجيوش البرية .

(٤) الوارف من الظلال : الواسع الممتد .

(٥) الأبيض الهندى : السيف .

(٦) تشنأ : تكره . والعروض : جمع عرض (بالتحريك) ، وهو كل شىء سوى الدراهم والدنانير .

وَرِدُوا بى مَناهِلَ العِزِّ حتّى * يَخْطُبَ النجمُ فى المَجَرَّةِ وُدِّى [1]

وَارْفَعُوا دَوْلَتِى على العِلْمِ والأَخْـ * ـلاقِ فالعِلْمُ وَحْدَه ليس يُجْدِى [2]

وتَواصَوْا بالصَّبْرِ فالصبرُ إنْ فا * رَقَ قوماً فما لَه مِنْ مَسَدِّ [3]

خُلُقُ الصَّبْرِ وَحْدَه نَصَرَ القَوْ * مَ وأَغْنَى عن اخْتِراعٍ وعَدِّ [4]

شَهِدُوا حَوْمَةَ الوَغَى بنُفُوسٍ * صابِراتٍ وأَوْجُهٍ غيرِ رُبْدِ [5]

فَمَحا الصَّبْرُ آيةَ العِلْمِ فى الحَرْ * بِ وأَنْحَى على القَوِىِّ الأَشَدِّ [6]

إنّ فى الغَرْبِ أَعْيُناً راصِداتٍ * كَحَلَتْها الأَطْماعُ فيكُمْ بسُهْدِ [7]

فَوْقَها مِجْهَرٌ يُرِيها خَفايَا * كُمْ ويَطْوِى شُعاعُه كلَّ بُعْدِ [8]

فاتّقُوها بجُنَّةٍ مِنْ وِئامٍ * غيرِ رَثِّ العُرَا وسَعْىٍ وكَدِّ [9]

وَاصْفَحُوا عن هَناتِ مَنْ كان منكمْ * رُبَّ هافٍ هَفَا على غيرِ عَمْدِ [10]

---

(١) «يخطب النجم ... الخ» : كناية عن العلوّ والرفعة . (٢) يجدى : ينفع .

(٣) من مسدّ ، أى من شىء يقوم مقامه . (٤) يريد «بالقوم» : الإنجليز ، وذلك لما اشتهروا به من الصبر والأناة . (٥) الوغى : الحرب ، لما فيها من الجلبة والصوت . وحومتها : ساحتها . وربد : عابسة متجهمة ؛ الواحد أربد . (٦) يريد «بآية العلم» : ما اخترعه العلم من أسلحة . وأنحى عليه : أقبل عليه بالإضعاف والإهلاك . ويريد «بالقوى الأشد» : الألمان .

(٧) «كحلتها الأطماع ... الخ» ، أى إن طمع الغربيين فيكم جعل أعينهم يقظة لا تذوق النوم ، تتحين بكم الفرص . (٨) المجهر : المنظار . (٩) الجنة (بالضم) : ما وقاك فى الحرب . والرث : البالى . ويريد «بالعرا» : الصلات والروابط ؛ الواحدة عروة . (١٠) الهنات : جمع هنة ، وهى اليسير المحتمل من الزلات . ويشير بهذا البيت إلى اختلاف الزعماء الذى بدأت بوادره فى ذاك الحين على رآسة المفاوضات الرسمية .

نَحْنُ نَجْتَازُ مَوْقِفًا تَعْثُرُ الآ (١) ❊ راءُ فيه وعَثْرَةُ الرأْيِ تُرْدِى

ونُثِيرُ الأَهْواءَ حَرْبًا عَوانًا (٢) ❊ مِنْ خلافٍ والخُلْفُ كالسِّلِّ يُعْدِى

ويُثِيرُ الفَوْضَى على جانِبَيْهِ (٣) ❊ فيُعِيدُ الجَهولُ فيها ويُبْدِى

ويَظُنُّ الغَوِىُّ أَنْ لا نِظامٌ ❊ ويَقُولُ القَوِىُّ قد جَدَّ جِدِّى

فقِفُوا فيه وَقْفَةَ الحَزْمِ وارْمُوا ❊ جانِبَيْهِ بعَزْمَةِ المُسْتَعِدِّ

إنّنا عند فَجْرِ لَيْلٍ طَوِيلٍ ❊ قد قَطَعْناهُ بَيْنَ سُهْدٍ ووَجْدِ

غَمَرَتْنا سُودُ الأَهَاوِيلِ فيه (٤) ❊ والأَمانِىُّ بَيْنَ جَزْرٍ ومَدِّ

وتَجَلَّى ضِياؤُه بَعْدَ لأْيٍ (٥) ❊ وهو رَمْزٌ لعَهْدِىَ المُسْتَرَدِّ

فاسْتَبِينوا قَصْدَ السَّبِيلِ وجِدُّوا (٦) ❊ فالمَعالِى مَخْطُوبَةٌ لِلْمُجِدِّ

تصريح ٢٨ فبراير

[نشرت فى أول ابريل سنة ١٩٢٢ م]

مالِى أَرَى الأَكْمامَ لا تُفَتَّحُ (٧) ❊ والرَّوْضَ لا يَذْكُو ولا يَنْفَحُ

والطَّيْرَ لا تَلْهُو بتَدْوِيمِها (٨) ❊ فى مُلْكِها الواسِعِ أو تَصْدَحُ

---

(١) تردى : تهلك . (٢) الحرب العوان : التى قوتل فيها مرة بعد أخرى ، كأنهم جعلوا الأولى بكرا ، وهى أشد الحروب . (٣) الضمير فى قوله « جانبيه » يعود على قوله « موقفا » المتقدم ذكره . (٤) الأهاويل : جمع أهوال . (٥) بعد لأى ، أى بعد إبطاء واحتباس ومشقة . (٦) قصد السبيل : الطريق المستقيم . (٧) الأكمام : جمع كم (بكسر الكاف) ، وهو غطاء الزهر . ويذكو : تسطع رائحته . وينفح : يفوح طيبه . ويلاحظ أننا لم نجد فى كتب اللغة « نفح » بتشديد الفاء ، فلعل حافظا رأى هذه الصيغة فى كلام بعض المولدين . (٨) تدويم الطائر : تحليقه فى الهواء . وتصدح : ترفع صوتها بالغناء .

والنيلَ لا ترقص أمواهه * فرحى ولا يجرى بها الأبطح (١)

والشمسَ لا تُشرِق وضّاءةً * تجلو هموم الصدر أو تنزح (٢)

والبدرَ لا يبدو على ثغره * من بسمات اليُمن ما يشرح

والنجمَ لا يزهر فى أفقه * كأنه فى غمرة يسبح (٣)

ألم يجئها نبأ جاءنا * بأن مصرًا حرّة تمرح؟ (٤)

أصبحتُ لا أدرى على خبرةٍ * أجدّت الأيامُ أم تمزح؟

أموقفٌ للجِدّ نجتازه * أم ذاك لِلّاهى بنا مسرح؟

ألمحُ لاستقلالنا لمعةً * فى حالك الشكّ فأسترْوِح (٥)

وتطمس الظلمةُ آثارها * فأنثنى أُنكِرُ ما ألمح

قد حارت الأفهام فى أمرهم * إن لمّحوا بالقصد أو صرّحوا (٦)

فقائلٌ لا تعجلوا إنكم * مكانكم بالأمس لم تبرحوا (٧)

وقائلٌ أوسع بها خطوةً * وراءها الغايةُ والمطمح

وقائلٌ أسرف فى قوله : * هذا هو استقلالكم فافرحوا

---

(١) الأمواه : جمع ماء . والأبطح : المسيل الواسع للماء . (٢) وضاءة : ذات حسن وبهجة . وتنزح (من بابى منع وضرب) ، أى تنزح الهم وتفنيه وتذهبه ، وأصله من نزح البئر ، وهو الاستقاء من مائها حتى ينفد أو يقل . (٣) يزهر : يضىء ويتلألأ . ويريد «بالغمرة» : الماء الكثير . (٤) تمرح : من المرح (بالتحريك) ، وهو شدّة الفرح . (٥) الحالك : الشديد السواد . واسترْوح إلى الشىء : سكن إليه واطمأن . (٦) الضمير فى «أمرهم» للإنجليز . (٧) لا تعجلوا ، أى لا تعجلوا بالفرح وتهنئة بعضكم بعضا بهذا الاستقلال المزعوم ، فإن حالتكم لم يغيرها هذا التصريح .

إنْ تَسْأَلوا العَقْلَ يَقُلْ عاهِدُوا * واسْتَوْثِقوا فى عَهْدِكُمْ تَرْبَحوا

وأَسِّسُوا دارًا لنُوّابِكُمْ * للرَّأْيِ فيها والحِجا أفْسِحوا (١)

ولْتَذْكُرِ الأُمَّةُ ميثاقَها * ألَّا تَرَى عِزَّتَها تُجْرَحُ

وتَنْتَخِبْ صَفْوَةَ أَبْنائِها * فَمِنْهُمُ المُخْلِصُ والمُصْلِحُ

ولْيَتَّقِ اللهَ أُولُو أَمْرِها * أَنْ يُسْكِتوا الأَصْواتَ أَوْ يُرْفِحوا (٢)

* * *

أو تَسْأَلُوا القَلْبَ يَقُلْ حاذِرُوا * وصابِرُوا أَعْداءَكُمْ تُفْلِحُوا (٣)

إنِّى أرى قَيْدًا فلا تُسْلِمُوا * أَيْدِيَكُمْ فالقَيْدُ لا يُسْجِحُ (٤)

إنْ هَيَّأُوهُ مِنْ حَرِيرٍ لَكُمْ * فهو على لِينٍ به أَفْدَحُ

حَتّامَ — والصَّبْرُ له غايَةٌ — * لِغَيْرِنا مِنْ بِئْرِنا نَمْتَحُ؟ (٥)

حَتّامَ — والأَمْوالُ مَشْفُوهَةٌ — * نَمْنَعُ إلّا (مِصْرَ) ما نَمْنَحُ؟ (٦)

حَتّامَ يُمْضِى أَمْرَنا غَيْرُنا * وذاكَ بالأَحْرارِ لا يَمْلُحُ؟

(١) يلاحظ أننا لم نجد فيما بين أيدينا من كتب اللغة أنه يقال : أفسحت له فى المكان (بالهمز فى أوله) ، والذى وجدناه أنه يقال : فسحت له فيه . قال تعالى : (فافسحوا يفسح الله لكم) .

(٢) يريد بقوله «يرفحوا» : أنهم ينفون من خالفهم فى سياستهم إلى رفح (بالتحريك)، وهى مدينة على ساحل البحر الأبيض المتوسط معروفة ، كما كانوا يفعلون قبل هذا التصريح .

(٣) صابروا أعداءكم ، أى غالبوهم فى الصبر .

(٤) لا يسجح ، أى لا يفرج عمن تقيد به ولا يفلته .

(٥) متح الماء من البئر يمتحه متحا : استخرجه منها .

(٦) المشفوه : الذى كثرت عليه الأيدى حتى استنفد .

أَسَاءَ بَعْضُ النّاسِ فى بَعْضِهِمْ * ظنا وقد أَمْسَوْا وقَدْ أَصْبَحُوا (١)

فَانْتَهَزَتْ أَعْداؤُنا نُهْزَةً * فينا وما كانت لهم تَسْنَحُ (٢)

فالرأْيُ كُلُّ الرَّأْيِ أَنْ تُجْمِعُوا * فإنّما إجْماعُكُمْ أَرْجَحُ

وكُلُّ مَنْ يَطْمَعُ فى صَدْعِكُمْ * فإنّه فى صَخْرَةٍ يَنْطَحُ (٣)

أَخْشَى إذا ٱستَكْثَرْتُمُ بَيْنَكُمْ * مِنْ قَادَةِ الآراءِ أَنْ تُفْضَحُوا

فَلْتَقْتَصِدُوا ما ٱسْتَطَعْتُمْ فيهِمُ * فإنّما فى القِلّةِ المَنْجَحُ

عيد الاستقلال

[نشرت فى ١٥ مارس سنة ١٩٢٣ م تحت عنوان : (بين اليقظة والمنام)]

أَشْرِقْ فَدَتْكَ مَشارِقُ الإصْباحِ * وأَمِطْ لِثامَكَ عن نَهارٍ ضاحِى (٤)

بُورِكْتَ يا يَوْمَ الخَلاصِ ولا وَنَتْ * عنكَ السُّعودُ بِغُدْوَةٍ ورَواحِ

باللهِ كُنْ يُمْنًا وكُنْ بُشْرَى لنا * فى رَدِّ مُغْتَرِبٍ وفَكِّ سَراحِ (٥)

---

(١) يشير بهذا البيت إلى اختلاف الأحزاب السياسية . وخبر « أمسوا » « وأصبحوا » محذوف للعلم به ؛ أى أمسوا وأصبحوا يتبادلون سوء الظن واتهام بعضهم بعضا بالخيانة .

(٢) النهزة : الفرصة . وتسنح : تلوح . (٣) يقال : نطح فى صخرة ، إذا صعب عليه ما يريد من صدع وانشقاق . وأصله من قول الأعشى :

كناطح صخرة يوما ليوهنها * فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

(٤) أمط لثامك ، أى اكشف قناعك ؛ يخاطب عيد الاستقلال . والنهار الضاحى : المشرق .

(٥) يشير بقوله « فى رد مغترب ... الخ » : الى المغفور له سعد زغلول باشا وكان منفيا إذ ذاك فى جبل طارق بعد أن كان مع صحبه فى جزيرة سيشل .

أَقْبَلْتَ والأيَّامُ حَوْلَكَ مُثَّلٌ (١) * صَفَّيْنِ تَخْطِرُ خَطْرَةَ المَيَّاحِ

وَخَرَجْتَ مِنْ حُجُبِ الغُيُوبِ مُحَجَّلاً (٢) * فى كلِّ لَحْظٍ مِنكَ أَلْفُ صَبَاحِ

لو صَحَّ فى هٰذا الوُجودِ تَنَاسُخٌ * لَرَأَيْتُ فيكَ تَناسُخَ الأرْوَاحِ

وَلَكُنْتَ يومَ (اللّابرنت) بعَيْنِهِ (٣) * فى عِزَّةٍ وجَلالَةٍ وسَمَاحِ

يومٌ يُرِيكَ جَلالُهُ ورُواؤُه * فى الحُسْنِ قُدْرَةَ فالِقِ الإصْبَاحِ (٤)

خَلَعَتْ عليه الشَّمْسُ حُلَّةَ عَسْجَدٍ (٥) * وحَبَاهُ (آذارٌ) أَرَقَّ وِشَاحِ

اللهُ أَثْبَتَهُ لنا فى لَوْحِهِ * أَبَدَ الأَبِيدِ فما لَه مِنْ ماحِى (٦)

حَيِّيهِ عَنَّا يا أَزاهِرُ وٱمْلَئِى * أَرْجاءَه بأَرِيجِكِ الفَوَّاحِ (٧)

وٱنفَحْهُ عنَّا يا رَبِيعُ بِكُلِّ ما * أَطْلَعْتَ مِنْ رَنْدٍ ونَوْرِ أَقَاحِ (٨)

تِهْ يا (فُؤادُ) فَحَوْلَ عَرْشِكَ أُمَّةٌ * عَقَدَتْ خَنَاصِرَها على الإصْلاحِ (٩)

أَبناؤُنا ـ وهُمُ أَحاديثُ النَّدَى ـ (١٠) * لَيْسُوا على أوْطانِهِمْ بِشِحَاحِ

صَبَرُوا على مُرِّ الخُطوبِ فأَدْرَكُوا * حُلْوَ المُنَى مَعْسُولَةَ الأَقْدَاحِ

---

(١) المياح : المتبختر فى مشيته ، وهو ضرب حسن من المشى . (٢) محجلا : مضيئا وأصله من التحجيل فى الخيل ، وهو بياض فى قوائمها . (٣) اللابرنت : قصر أمنمحتب الثانى الذى اشتهر فى قديم الزمان بعظمته ، وكان مقرا للحكومة . و يريد « بيومه » : أيام أمنمحتب التى كانت كلها خيرا و بركة على مصر . (٤) فالق الإصباح ، هو الله تعالى . (٥) العسجد : الذهب . وآذار : شهر من شهور السنة المسيحية معروف ، تكثر فيه الأزهار . (٦) أبد الأبيد : كناية عن الدوام . (٧) أريج الزهر : رائحته . (٨) الرند : شجر طيب الرائحة من شجر البادية . والأقاحى : جمع أقحوان ، وهو نبات له زهر أبيض ، وأوراق زهره صغيرة مفلجة ؛ وتشبه به الثغور . (٩) عقد الخناصر على الأمر : كناية عن الإجماع على القيام به . (١٠) الندى : الجود . وشحاح : بخلاء .

شاكي سلاحِ الصَّبْرِ ليس بأَعْزَلٍ (١) * يَغْزُوه رَبُّ عَواملٍ وصِفاحِ

الصبرُ ـ إنْ فكَّرْتَ ـ أعظمُ عُدّةٍ * والحقُّ ـ لو يَدْرُون ـ خيرُ سِلاحِ

قد أنكروا حَقَّ الضَّعيفِ فهلْ أتى * إنكارُ ذاكَ الحقِّ في إصْحاحِ (٢) ؟

كم خَدَّرَتْ أعصابَ مصرَ نوافِحٌ * لوُعودِهِمْ كنوافِحِ التُّفّاحِ (٣)

فتعلَّلَ المِصْريُّ مُغْتَبِطًا بها * أرأَيْتَ طِفْلًا عَلَّلوه بِداحِ (٤) ؟

وتأَنَّقُوا في الخُلْفِ حتى أصبحتْ * أقوالُهُمْ تُذْرَى بغيرِ رِياحِ (٥)

لمَّا تنبَّه بالكِنانةِ نائمٌ * وأَصاتَ بالشَّكْوَى الأليمةِ صاحِ (٦)

وتكشَّفَتْ تلكَ الغَياهِبُ وانطوَتْ * وبَدَتْ شُموسُ الحقِّ وهي ضَواحِي (٧)

عَلِمُوا بحَمْدِ اللهِ أنّ قَرارَنا * في ظِلِّ غيرِ اللهِ غيرُ مُتاحِ (٨)

فاليومَ قَرِّي يا كِنانةُ واهْدَئِي * حَرَمُ الكِنانةِ لم يَكُنْ بمُباحِ

مَنْ ذا يُغِيرُ على الأُسُودِ بِغابِها * أوْ مَنْ يَعُومُ بمَسْبَحِ التِّمْساحِ ؟

---

(١) شاكي سلاح الصبر، أي المتسلح به . والعوامل : هي صدور الرماح مما يلي أسنتها ؛ الواحد عامل وعاملة . والصفاح : السيوف . يقول : إن الصبور متسلح ليس بأعزل يطمع فيه ذو الرمح والسيف .

(٢) الإصحاح : من الأقسام التي تنقسم اليها أسفار التوراة والانجيل . يقول : هل أحل لكم إنكار حق الضعيف في كتاب سماوي ؟

(٣) نوافح التفاح : روائحه . وكان الشاعر يعتقد أن نفحة التفاح منومة ، فكان هذا يكثر من شمه وأكله ، نقل ذلك عنه أحد من اتصلوا به .

(٤) الداح : نقش بلوح به للصبيان يعللون به .

(٥) تأنقوا في الخلف ، أي أتقنوه . وتذرى : تطير وتنتثر . (٦) أصات : صوت وصاح .

(٧) الغياهب : الظلمات ؛ الواحد غيهب . والضواحي : المشرقة . (٨) غير متاح : غير ممكن .

للنِّيلِ مَجْدٌ فى الزّمانِ مُؤَثَّلٌ (١) ＊ مِنْ عَهْدِ (آمُونٍ) وعَهْدِ (فَتاحِ)

فَسَلِ العُصُورَ به وسَلْ آثارَه ＊ فى (مِصْرَ) كمْ شَهِدَتْ مِنَ السُّيّاحِ

يا صاحِبَ القُطْرَيْنِ (٢) غَيرَ مُدافَعٍ ＊ ما مِثْلُ ساحِكَ فى العُلا مِنْ ساحِ

لَمْ يَبْدُ نُورٌ فَوْقَ نُورٍ يُجْتَلَى (٣) ＊ كالتَّاجِ فَوْقَ جَبِينِكَ الوَضّاحِ

ذَكَرَتْ بعَرْشِكَ (مِصْرُ) يَوْمَ وَلِيتَه (٤) ＊ عَرْشَ (المُعِزِّ) بِها وعَرْشَ (صَلاحِ)

فى كُلِّ قُطْرٍ مِنْ جَلالِكَ رَوْعَةٌ (٥) ＊ ولِكُلِّ قُطْرٍ منكَ ظِلُّ جَناحِ

لكَ (مِصْرُ) و(السُّودانُ) والنَّهرُ الّذى ＊ يَخْتالُ بينَ رُبًى وبَيْنَ بِطاحِ

وبَواسِقُ (٦) (السُّودانِ) تَشْهَدُ أنّها ＊ غُرِسَتْ بعَهْدِ جُدودِكَ الفُتّاحِ

لا غَرْوَ إنْ غَنَّى بمَدْحِكَ صائحٌ ＊ أو مُسْجِحٌ (٧) فى حَلْبَةِ المُدّاحِ

حُسْنُ الغِناءِ مع الصِّياحِ كحُسْنِه ＊ عِنْدَ الخَبِيرِ به مع الإسْجاحِ (٨)

(١) المؤثل : المؤصل الثابت . وآمون : كان أجل معبود لقدماء المصريين حتى عهد اخناتون ، وكان اسمه يدمج فى أسماء الملوك ، فيقال : أمينحتب . وفتاح : يريد به منفتاح بن رمسيس الثانى .

(٢) صاحب القطرين : ملك مصر والسودان . (٣) يجتلى : يرى .

(٤) يريد « بالمعز » : المعز لدين الله الخليفة الفاطمى المعروف . و « بصلاح » : السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب .

(٥) يشير بهذا البيت الى عطف المغفور له (الملك فؤاد) على أقطار الشرق .

(٦) البواسق : الأشجار المرتفعة ، الواحدة : باسقة .

(٧) مسجح ، الصواب فيها : ساجع ، أى ساجع فى غنائه كما تسجع الحمامة ، اذ المستعمل فى هذا المعنى « سجح » لا « أسجح » . يقول : سيان من رفع صوته بمدحك ، أو من أرسله فى هدوء ولين .

(٨) يريد بالإسجاح : السجع بالغناء ، وقد تقدم التنبيه على خطأ هذا الاستعمال فى الحاشية التى قبل هذه .

أو لم يكن لك مُلْكُ مِصْرَ ونيلُها * يَنْسابُ بين مُرُوجِها الأَفْياحِ؟(١)

مَنْضُورَةَ الجَنَّاتِ حالِيَةَ الرُّبا * مَطْلُولَةَ السَّرَحاتِ والأَرْواحِ(٢)

قد قال (عَمْرٌو) في ثَراها آيةً * مَأْثُورةً نُقِشَتْ على الأَلْواحِ:(٣)

بَيْنا تَراهُ لآلِئًا وكأنَّما * نُثِرَتْ بتُرْبَتِه عُقُودُ مِلاحِ

وإذا به للنّاظِرِين زُمُرُّدٌ * يَشْفِيكَ أَخْضَرُه مِن الأَتْراحِ

وإذا به مِسْكٌ تَشُقُّ سَوادَه * شَقَّ الأَدِيمِ مَحارِثُ الفَلّاحِ(٤)

البَرْلَمانُ تَهَيَّأَتْ أَسْبابُهُ * لَم يَبْقَ مِنْ سَبَبٍ سِوَى المِفْتاحِ

هُوَ في يَدَيْكَ وَدِيعَةٌ لِرَعِيَّةٍ * تُثْنِي بأَلْسِنَةٍ عليكَ فِصاحِ

رُدَّ الوَدِيعَةَ يا (فُؤادُ) فإنَّما * رَدُّ الوَدِيعَةِ شِيمَةُ المِسْماحِ(٥)

وانْهَضْ بشَعْبِكَ يا (فُؤادُ) إلى العُلا * وإلى مَكانٍ في الوُجُودِ بَراحِ(٦)

---

(١) المروج: الأراضى الواسعة فيها نبت كثير. والأفياح، أى الواسعة.

(٢) منضورة: حسنة بهيجة. وحالية الربا، أى مكسوة المرتفعات بأنواع الزهر والنبات. ومطلولة، أى أصابها الطل، وهو المطر الضعيف الخفيف. والسرحات: جمع سرحة، وهى الشجرة العظيمة. والأرواح: الرياح. (٣) يريد "بعمرو": عمرو بن العاص فاتح مصر. ويشير "بالآية": الى ما روى من أن عمرا وصف مصر لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب وصفا ممتعا معروفا جاء منه هذه المعانى التى يضمنها الشاعر الأبيات الثلاثة الآتية بعد. (٤) يشير بهذا البيت والبيتين اللذين قبله الى أحوال ثلاث: حال تربة مصر أيام الفيضان والماء يغمرها، ثم حالها وقد تكشفت عنها المياه وكسا النبات الأخضر أرضها، ثم حالها بعد الحصاد وقد باتت الأرض جرداء سوداء، فشبهها فى الحالة الأولى باللؤلؤ فى بياضه، وفى الثانية بالزمرد فى خضرته، وفى الثالثة بالمسك فى سواده. وقد وردت هذه المعانى فى وصف عمرو لمصر. (٥) المسماح: الكثير السماح. (٦) البراح: المكان الذى لاسترة فيه من شجر وغيره؛ يريد مكانا ظاهرا للعالم.

فاللهُ يَشهَدُ والخلائقُ أنّنا * طُلّابُ حَقٍّ فى الحياةِ صِراحِ (١)

هذا منارُ البرلمانِ أمامَكُمْ * لهُدَى السَّبيلِ كإبْرَةِ المَلّاحِ (٢)

فتيمّمُوه مُخْلِصين فما لَكُمْ * مِنْ دُونِه مِنْ غِبْطَةٍ وفَلاحِ (٣)

الفَضْلُ للشُّورَى وتلكَ هى التى * تَزَعُ الهَوَى وتَرُدُّ كلَّ جِماحِ (٤)

هى لا تَضِلُّ سَبِيلَها فكأنّما * خُلِقَ السَّبِيلُ لها بغَيْرِ نَواحِى

هى —لا بَراحَ— تَرُدُّ كَيْدَ عَدُوِّكُمْ * وتَفُلُّ غَرْبَ الغاصِبِ المُجْتاحِ (٥)

فتَكَنَّفُوا الشُّورَى على استِقْلالِكُمْ * فى الرأىِ لا تُوحِيهِ نَزْعَةُ واحِى (٦)

ويَدُ الإلهِ مع الجَماعةِ فاضْرِبُوا * بعَصا الجَماعةِ تَظْفَرُوا بنَجاحِ

كُونُوا رِجالًا عامِلِين وكَذِّبوا * والصُّبْحُ أَبْلَجُ حامِلَ المِصْباحِ (٧)

ودَعُوا التّخاذُلَ فى الأُمورِ فإنّما * شَبَحُ التّخاذُلِ أنْكَرُ الأشْباحِ

---

(١) الصراح (بالكسر) وهو أفصح من (الضم والفتح) : المحض الخالص الذى لا شائبة فيه .

(٢) إبرة الملاح : هى التى يتبين بها الجهات ويهتدى بها فى السير .

(٣) تيمموه ، أى اقصدوا إليه .

(٤) تزع الهوى : تكفه وتزجره .

(٥) لا براح ، أى لا ريب . وتفل : تثلم وتكسر . والغرب : الحدّ .

(٦) تكنفوا الشورى : أحيطوا بها والزموها . وقوله « لا توحيه نزعة واحى » ، أى اصدروا عن رأيكم ولا تتلقوا الأمر عن غيركم . والواحى : من وحيت إليه الكلام ، بمعنى أوحيته إليه .

(٧) يريد « بحامل المصباح » : الفيلسوف اليونانى ديوجينيس المولود سنة ٤١٢ ق م والمتوفى سنة ٣٢٣ ق م . وكان قد خرج يوما فى رائعة النهار يحمل مصباحا يبحث عن رجل . يقول : كذبوا هذا الفيلسوف الذى ينكر وجود رجل يعتد به و يعتمد عليه .

وَاللهِ ما بَلَغَ الشَّقَاءُ بِنَا المَدَى * بِسِوَى خِلافٍ بينَنا وتَلاحِى (١)

قُمْ يابنَ (مِصْرَ) فأنتَ حُرٌّ واسْتَعِدْ * مَجْدَ الجُدودِ ولا تَعُدْ لِمَرَاحِ (٢)

شَمِّرْ وكافِحْ في الحَيَاةِ فهذه * دُنْياكَ دارُ تَنَاحُرٍ وكِفاحِ

وانْهَلْ مع النُّهَّالِ مِنْ عَذْبِ الحَيَا * فإذا رَقَا فامْتَحْ مع المُتَّاحِ (٣)

وإذا أَلَحَّ عليكَ خَطْبٌ لا تَهُنْ * واضْرِبْ على الإلحاحِ بالإلْحاحِ (٤)

وخُضِ الحياةَ وإنْ تلاطَمَ مَوْجُها * خَوْضُ البِحارِ رِياضَةُ السَّبَّاحِ

واجْعَلْ عِيانَكَ قبلَ خَطْوِكَ رائِدًا * لا تَحْسَبَنَّ الغَمْرَ كالضَّحْضَاحِ (٥)

وإذا اجتَوَتْكَ مَحَلَّةٌ وتَنَكَّرَتْ * لكَ فاعْدُها وانْزَحْ مع النُّزَّاحِ (٦)

في البَحْرِ لا تَثْنِيكَ نارُ بَوارِجٍ * في البَرِّ لا يَلْوِيكَ غابُ رِماحِ

وانظُرْ إلى الغَرْبِيِّ كيفَ سَمَتْ به * بينَ الشعوبِ طَبِيعَةُ الكَدَّاحِ (٧)

واللهِ ما بَلَغَتْ بَنُو الغَرْبِ المُنَى * إلا بِنِيَّاتٍ هُنَاكَ صِحاحِ

رَكِبُوا البِحارَ وقد تَجَمَّدَ ماؤُها * والجَوَّ بينَ تَنَاوُحِ الأرْواحِ (٨)

---

(١) التلاحى : التخاصم . (٢) يريد «بالمراح» : الأخذ فى أسباب الفرح واللهو .

(٣) انهل : اشرب ، من النهل (بالتحريك) ، وهو السقية الأولى . والحيا : المطر . ورقا (مسهل من رقأ بالهمز) ، بمعنى جف وانقطع . والمتح : نزح الماء من البئر . ينصح المصرى بأن يرد موارد الحياة سهلها وصعبها . (٤) لا تهن ، أى لا تذل ولا تضعف . (٥) الغمر : الماء الكثير . والضحضاح : الماء القريب الغور . (٦) اجتواه : كرهه . يقول : إذا نبا بك منزل ، وتعذرت عليك الإقامة به فاهجره إلى غيره وارتحل عنه مع المرتحلين . (٧) الكداح : الجادّ المجتهد فى العمل .

(٨) تناوح الأرواح : اختلاف مهاب الرياح .

والبَرُّ مَصْهورُ الحَصَى مُتأجِّجًا * يَرْمِى بِنَزّاعِ الشَّوَى لَوّاحِ (١)

يَلْقَى فَتِيُّهُمُ الزَّمانَ بِهِمَّةٍ * عَجَبٍ ووَجْهٍ فى الخُطُوبِ وَقاحِ (٢)

ويَشُقُّ أَجْوازَ القِفارِ مُغامِرًا * وَعْرُ الطَّرِيقِ لَدَيْهِ كالصَّحْصاحِ (٣)

وابْنُ الكِنانَةِ فى الكِنانَةِ راكِدٌ * يَرْنُو بِعَيْنٍ غَيرِ ذاتِ طِماحِ (٤)

لا يَسْتَغِلُّ — كما عَلِمْتَ — ذَكاءَهُ * وذَكاؤُه كالخاطِفِ اللَّمّاحِ (٥)

أَمْسَى كماءِ النَّهْرِ ضاعَ فُراتُه * فى البَحْرِ بَيْنَ أُجاجِهِ المُنْداحِ (٦)

فانْهَضْ ودَعْ شَكْوَى الزَّمانِ ولا تَنُحْ * فى فادِحِ البُؤْسَى مَعَ الأَنْواحِ (٧)

وارْبَحْ لِمِصْرَ بِرَأْسِ مالِكَ عِزَّةً * إنَّ الذَّكاءَ حُبالَةُ الأَرْباحِ (٨)

وإذا رُزِقْتَ رَآسَةً فانْسُجْ لها * بُرْدَيْنِ مِنْ حَزْمٍ ومِنْ إِسْجاحِ (٩)

واشْرَبْ من الماءِ القَراحِ مُنَعَّمًا * فلَكَمْ وَرَدْتَ الماءَ غيرَ قَراحِ (١٠)

---

(١) المصهور : الذى أصابه الحرّ وحمى عليه . والمتأجج : الملتهب . والشوى : اليدان والرجلان وقحف الرأس . يصف البر بأنه يقذف بحرّ شديد ينزع الشوى . وفى القرآن فى وصف النار : (كلا إنها لظى نزاعة للشوى) . ولواح، أى حرّ مغير للألوان . (٢) وقاح : مجترئ .

(٣) أجواز القفار : أوساطها ؛ الواحد جوز . والصحصاح : ما استوى من الأرض .

(٤) يرنو : ينظر . والطماح : الطموح والتطلع إلى المجد .

(٥) الخاطف اللماح : البرق .

(٦) الفرات : العذب . والأجاج : الشديد الملوحة . والمنداح : المنبسط المتسع .

(٧) يقال : فدحه الأمر، إذا أثقله و بهظه . والأنواح : النائحات .

(٨) حبالة الصائد : الشرك الذى يصيد به .

(٩) الإسجاح : حسن العفو .

(١٠) الماء القراح : الصافى الخالص . يريد العيش الصافى من الأكدار .

من قصيدة فى شؤون مصر السياسية

قالها فى عهد وزارة إسماعيل صدقى باشا

وقد نظمها حافظ بعد إحالته الى المعاش فى سنة ١٩٣٢ م وكانت تبلغ نحو مائتى بيت

لم نعثر منها إلا على هذه الأبيات

قَدْ مَرَّ عامٌ يا سُعادُ وعامُ * وابنُ الكِنانةِ فى حِماهُ يُضامُ

صَبُّوا البَلاءَ على العِبادِ فنِصفُهُمْ * يَجْبى البِلادَ ونِصفُهُمْ حُكّامُ

أَشْكُو الى (قَصْرِ الدُّبارةِ) ما جَنَى * (صِدْقِى الوَزِيرُ) وما جَبَى (عَلّامُ)(١)

ومنها فى الإنجليز :

قُلْ للمُحايِدِ هَلْ شَهِدْتَ دِماءَنا * تَجْرِى وهَلْ بَعْدَ الدِّماءِ سَلامُ؟(٢)

سُفِكَتْ مَوَدَّتُنا لَكُمْ وبَدا لَنا * أَنَّ الحِيادَ على الخِصامِ لِثامُ

إنَّ المَراجِلَ شَرُّها لا يُتَّقَى * حتّى يُنَفِّسَ كَرْبَهُنَّ صِمامُ(٣)

لَمْ يَبْقَ فِينا مَنْ يُمَنِّى نَفْسَهُ * بِوِدادِكُمْ فَوِدادُكُمْ أَحْلامُ

أَمِنَ السِّياسَةِ والمُرُوءَةِ أَنّنا * نَشْقَى بِكُمْ فى أَرْضِنا ونُضامُ؟

إنّا جَمَعْنا لِلجِهادِ صُفُوفَنا * سَنَمُوتُ أو نَحْيا ونَحْنُ كِرامُ

ومنها فى مخاطبة إسماعيل صدقى باشا :

ودَعا عليكَ اللهَ فى مِحْرابِهِ * الشَّيخُ والقِسِّيسُ والحاخامُ

لا هُمَّ أَحْيِ ضَمِيرَهُ لِيَذُوقَها * غُصَصًا وتَنْسِفَ نَفْسَهُ الآلامُ

---

(١) يريد محمد علام باشا وزير الزراعة إذ ذاك ووكيل حزب الشعب . ويشير بقوله «وما جبى علام» : إلى ما كانوا يجبونه من الأموال إعانة لحزب الشعب . (٢) أشار بقوله «المحايد» : إلى أن الانجليز فى هذه الفترة التى قيلت فيها هذه الأبيات كانوا يدّعون الحياد فى الشؤون المصرية . (٣) المراجل : القدور .

إلى الإنجليز :

[نشرت فى ٩ مارس سنة ١٩٣٢ م]

بَنَيْتُمْ على الأَخْلَاقِ آساسَ مُلْكِكُمْ * فكانَ لَكُمْ بينَ الشُّعُوبِ ذِمامُ (١)

فمالِى أَرَى الأَخلاقَ قد شابَ قَرْنُها * وحَلَّ بِها ضَعْفٌ ودَبَّ سَقامُ (٢)

أَخافُ عليكُمْ عَثْرَةً بَعْدَ نَهْضَةٍ * فليسَ لِمُلْكِ الظَّالِمِينَ دَوامُ

أَضَعْتُمْ وِدادًا لو رَعَيْتُمْ عُهُودَهُ * لَمَا قامَ بَيْنَ الأُمَّتَيْنِ خِصامُ

أَبَعْدَ حِيادٍ لا رَعَى اللهُ عَهْدَهُ * وبَعْدَ الجُرُوحِ النّاغِراتِ وِئامُ (٣)

اذا كانَ فى حُسْنِ التَّفاهُمِ مَوْتُنا * فليسَ على باغِى الحَياةِ مَلامُ (٤)

الى المندوب السامى

[نشرت فى ١١ مارس سنة ١٩٣٢ م]

أَلَمْ تَرَ فى الطَّرِيقِ الى (كِيادِ) * تَصِيدُ البَطَّ بُؤْسَ العالَمِينا؟ (٥)

أَلَمْ تَلْمَحْ دُمُوعَ النّاسِ تَجْرِى * مِنَ البَلْوَى أَلَمْ تَسْمَعْ أَنِينا؟

أَلَمْ تُخْبِرْ بَنِى التّامِيزِ عَنّا * وقد بَعَثُوكَ مَنْدُوبًا أَمِينا

بأَنّا قد لَمَسْنا الغَدْرَ لَمْسًا * وأَصْبَحَ ظَنُّنا فيكُمْ يَقِينا؟

---

(١) الذمام : الحق والحرمة . (٢) القرن : الذؤابة من الشعر .

(٣) الناغرات : الداميات . (٤) يقول : إذا كان حسن التفاهم بيننا و بينكم يجلب لنا الموت بالذل والاستعباد كان سوء التفاهم خيرا لنا ، لأن فيه حياتنا . (٥) كياد : بركة بإقليم الشرقية اعتاد أن يذهب اليها المندوب السامى وحاشيته لاصطياد بعض أنواع الطيور .

كَشَفْنَا عَنْ نَوَايَاكُمْ فَلَسْتُمْ (١) * وقد بَرِحَ الخَفاءُ مُحايِدِينَا

سَنُجْمِعُ أَمْرَنا وتَرَوْنَ مِنَّا (٢) * لَدَى الجُلَّى كِراماً صابِرِينا

ونَأْخُذُ حَقَّنا رَغْمَ العَوادِي (٣) * تُطِيفُ بِنا ورَغْمَ القاسِطِينا

ضَرَبْتُمْ حَوْلَ قادَتِنا نِطاقاً (٤) * مِنَ النِّيرانِ يَعْيِي الدَّارِعِينا

على رَغْمِ المُرُوءَةِ قد ظَفِرْتُمْ (٥) * ولكِنْ بالأُسُودِ مُصَفَّدِينا

الأخلاق والحياد

قالها وكان الإنجليز إذ ذاك يدّعون الحياد فى الشؤون المصرية

[نشرا فى ٤ إبريل سنة ١٩٣٢ م]

لا تَذْكُروا الأَخْلاقَ بَعْدَ حِيادِكُمْ (٦) * فَمُصابُكُمْ ومُصابُنا سِيَّانِ

حارَبْتُمُ أَخْلاقَكُمْ لِتُحارِبُوا (٧) * أَخْلاقَنا فتَأَلَّمَ الشَّعْبانِ

---

(١) لم نجد فى كتب اللغة (النوايا) جمع نية ، كما استعمله الشاعر هنا ، وهو جمع شائع فى كلام أهل العصر ، وهو من غلطاتهم ؛ والقياس : نيات . و برح الخفاء ، أى وضح الأمر وتبين . (٢) الجلى : النازلة الشديدة . (٣) القاسطون : الظالمون . (٤) الدارعون : لابسو الدروع . يشير بهذا البيت وما بعده الى ما كان يصبه الإنجليز على زعماء النهضة الوطنية المصرية من أنواع العذاب من سجن ونفى واعتقال ومحاصرة بيوتهم بالجنود . (٥) المصفد : المقيد .

(٦) يخاطب الإنجليز فى هذا البيت و يقول : إنكم بهذا الحياد المكذوب تضيعون ما عرفتم به من الأخلاق الفاضلة ، فلا تدّعوها لكم بعد ، فمصابكم فى الأخلاق بهذا الطمع والظلم كمصابنا باحتلالكم .

(٧) يشير (بالأخلاق) المضافة إلى الإنجليز فى هذا البيت إلى ما عرفوا به من الصبر والأناة وعدم الأخذ بالقسوة والعنف . و بالأخلاق المضافة الينا ، الى ما أظهرناه فى نهضتنا الوطنية من صبر على الجهاد واستمساك بحقوق البلاد . يقول . إنكم أيها الإنجليز بقسوتكم على المصريين تحاربون أخلاقكم السالفة الذكر فى سبيل محاربة أخلاقنا ، فكلا الشعبين متألم ، لأنه يحارب فيما طبع عليه .

ثمن الجياد

[نشرت فى ٤ إبريل سنة ١٩٣٢ م]

لقد طَالَ الجِيادُ ولَمْ تَكُفُّوا * أَمَا أَرْضَاكُمُ ثَمَنُ الجِيادِ ؟

أَخَـذْتُمْ كلَّ ما تَبْغُونَ مِنَّا * فما هٰذا التَّحَكُّمُ فى العِبادِ ؟

بَلَوْنَا شِـدَّةً منكم ولِينـا * فكانَ كِلاهُمَـا ذَرَّ الرَّمَادِ

وسالَمْـتُمْ وعادَيْـتُمْ زَمانًا * فلَمْ يُغْنِ المُسـالِمُ والمُعادِى

فلَيْسَ وراءَكُمْ غيرُ التَّجَنِّى * ولَيْسَ أَمامَنَا غَـيْرُ الجِهادِ

إلى الإنجليـز

[نشرت فى ٢٨ إبريل سنة ١٩٣٢ م]

حَوِّلُوا النِّيلَ واحْجُبُوا الضَّـوءَ عَنَّا * واطْمِسُوا النَّجْمَ واحرِمُونَا النَّسِيمَا

وامْلَئُـوا البَحْرَ إنْ أَرَدْتُمْ سَـفِينًا * وامْلَئُـوا الجَـوَّ إنْ أَرَدْتُمْ رُجُومَا

وأَقِيمُوا لِلعَسْـفِ فى كلِّ شِـبْرٍ * (كُنْسْتَبْلاً) بالسَّوْطِ يَفْرِى الأَدِيمَا (١)

إنَّنا لَنْ نَحُولَ عن عَهْدِ مِصْرٍ * أو تَرَوْنَا فى التُّـرْبِ عَظْمًا رَمِيمَا

عاصِفٌ صانَ مُلْكَكُمْ وحَمَاكُمْ * وكَفَاكُمْ بالأَمْسِ خَطْبًا جَسِيمَا

(١) العسف : الظلم والأخذ بالقوة . و يفرى الأديم : يشق الجلد .

غالَ (أَرْمادَةَ) العَـدُوَّ فَفُزْتُمْ * وبَلَغْتُمْ فى الشَّرْقِ شَأْوًا عَظِيما (١)

فعَدَلْتُمْ هُنَيْهَةً وبَغَيْتُمْ * وتَرَكْتُمْ فى النِّيلِ عَهْدًا ذَمِيما

فشَهِدْنا ظُلْمًا يُقالُ له العَدْ * لُ ووُدًّا يَسْقِى الحَمِيمَ الحَمِيما (٢)

فاتَّقُوا غَضْبَةَ العَوَاصِفِ إِنِّى * قد رَأَيْتُ المَصِيرَ أَمْسَى وَخِيما

الحياد الكاذب

[نشرت فى سنة ١٩٣٢ م]

(قَصْرَ الدُّبارَةِ) قَدْ نَقَضْـ * ـتَ العَهْدَ نَقْضَ الغاصِبِ

أَخْفَيْتَ ما أَضْمَرْتَه * وأَبَنْتَ وُدَّ الصاحِبِ

الحَرْبُ أَرْوَحُ للنُّفُو * سِ مِنَ الحِيادِ الكاذِبِ

جلاء الإنجليز عن مصر

قالها تنديدا بكاتب فرنسى كان قد زعم أن جلاء الانجليز عن مصر سيكون فى أكتوبر

كم حَدَّدُوا يومَ الجَلاءِ الّذى * أَصْبَحَ فى الإبْهامِ كالمَحْشَرِ

وسَنَّ قَوْمُ الطَّيْشِ مِنْ جَهْلِهِمْ * كِذْبَةَ (إبريلَ لأُكْتُوبَرِ)

(١) غال : أهلك . وأرمادة : هى الأسطول الأسبانى الذى كان يريد مهاجمة الأسطول الانجليزى فى القرن السادس عشر ، فتحطم بعاصفة شديدة حالت بينه وبين مهاجمته . وإلى هذه القصة يشير الشاعر بهذا البيت والذى قبله . ويشير بقوله « وبلغتم فى الشرق » : إلى كثرة مستعمرات الانجليز فيه .

(٢) يريد «بالحميم» الأوّل : الصديق . و «بالحميم» الثانى : الشراب الشديد الحرارة .

الامتيازات الأجنبية

سَكَتُّ فَأَصْغَرُوا أَدَبِى * وقُلْتُ فَأَكْبَرُوا أَرَبِى (١)

وما أَرْجُـوهُ مِنْ بَلَدٍ * به ضَـاقَ الرَّجاءُ وَبِى؟

وهَلْ (فى مِصْرَ) مَفْخَرَةٌ * سِوَى الأَلْقابِ والرُّتَبِ؟

وذِى إِرْثٍ يُكَاثِرُنا * بمَـالٍ غيرِ مُكْتَسَبِ (٢)

وفى الرُّومِىِّ مَوْعِظَـةٌ * لشَعْبٍ جَدَّ فى اللَّعِبِ (٣)

يُقَتِّلُنـا بلا قَــوَدٍ * ولا دِيَةٍ ولا رَهَبِ (٤)

ويَمْشِى نَحْـوَ رايَتِــه * فتَحْمِيـه مِن العَطَبِ (٥)

فقُلْ للفـاخِرِين : أَمَا * لِهٰذا الفَخْرِ مِنْ سَبَبِ؟

أَرُونِى بَيْنَكُمْ رَجُــلًا * رَكِينًا واضِحَ الحَسَبِ (٦)

أَرُونِى نِصْفَ مُخْتَرِعٍ * أَرُونِى رُبْعَ مُحْتَسِبِ؟ (٧)

أَرُونِى نادِيًا حَفْــلًا * بأَهْلِ الفَضْلِ والأَدَبِ؟

وماذا فى مَدَارِسِــكُمْ * مِن التَّعْلــيمِ والكُتُبِ؟

---

(١) الأرب : العقل . (٢) كاثره بماله : فاخره بكثرته .

(٣) يريد « بالشعب » : الشعب المصرى . وجدّ فى اللعب : أى آستمرّ عليه وواظب .

(٤) القود : القصاص . والرهب (بالتحريك) : الخوف . (٥) العطب : الهلاك .

(٦) الركين : الرزين . (٧) يريد « بالمحتسب » : العالم بتدبير الأموال والتصرف فيها على أحسن وجه ؛ ومنه قولهم : « فلان محتسب البلد » .

وماذا فى مَساجِدِكُمْ * مِنَ التِّبْيانِ وٱلخُطَبِ؟

وماذا فى صَحائِفِكُمْ * سِوَى التَّمْوِيهِ والكَذِبِ؟

حَصائِدُ أَلْسُنٍ جَرَّتْ[1] * إلى الوَيْلاتِ وٱلحَرَبِ

فَهُبُّوا مِنْ مَرَاقِدِكُمْ * فإنَّ ٱلوَقْتَ مِنْ ذَهَبِ

فهٰذى أمّةُ (اليابا * نِ) جازَتْ دارةَ[2] الشُّهُبِ

فهامَتْ بالعُلا شَغَفًا * وهِمْنا بآبنَةِ ٱلعِنَبِ[3]

---

(١) حصائد الألسنة : ما تقتطعه من الكلام الذى لا خير فيه ، الواحدة حصيدة ، تشبيها له بما يحصد من الزرع إذا جذ . وفى حديث معاذ : « وهل يكب الناس على مناخرهم فى النار إلا حصائد ألسنتهم » . والحرب (بالتحريك) : الهلاك .

(٢) الدارة : المنزل .

(٣) ابنة العنب : الخمر .

الشكوى

الى محمد الشيمى بك المحامى بطنطا

قال حافظ هذين البيتين وكان يعمل بمكتبه فى أوّل شبابه قبل انتظامه فى سلك المدرسة الحربية، ثم تركه لخلاف وقع بينهما

جِرابُ حَظِّى قد أفرغتُهُ طَمَعاً * بباب أستاذِنا (الشِّيمى) ولا عَجَبا

فعادَ لى وهو مَمْلوءٌ فقلتُ له : * مِمّا؟ فقال مِن الحَسْراتِ والحَرَبا (١)

الى آدم أبى البَشَر

سَليلَ الطِّينِ كم نِلْنا شَقاءً * وكَمْ خَطَّتْ أنامِلُنا ضَريحا (٢)

وكم أزْرَتْ بنا الأيّامُ حتّى * فَدَتْ بالكَبْشِ (إسْحاقَ) الذَّبيحا (٣)

---

(١) سكن السين فى «الحسرات» لضرورة الوزن، والحرب بالتحريك : الهلاك .

(٢) سليل الطين، يريد آدم أبا البشر عليه السلام . وخط القبر : حفره . يقول لآدم : تركت بنيك يعبث بهم الشقاء والفناء .

(٣) أزرت بنا الأيام، أى تهاونت بنا، ووضعت من شأننا . وإسحاق الذبيح، هو نبى الله إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهما السلام؛ وقد اختلف العلماء فى الذبيح من ولدى إبراهيم، فقيل : هو إسحاق كما هنا، وقيل : هو إسماعيل . وقصة هذا الذبح والفداء مشهورة؛ وقد قصها الله تعالى فى القرآن، إذ قال تعالى فى سورة الصافات : (فلما بلغ معه السعى قال يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى) الآيات .

وباعَتْ (يُوسُفًا) بَيْعَ الموَالِي * وأَلْقَتْ فى يَدِ القَوْمِ (المَسِيحَا) (١)

ويا(نُوحًا) جَنَيْتَ على البَرَايَا * ولَم تَمْنَحْهُمُ الوُدَّ الصَّحِيحَا (٢)

عَلامَ حَمَلْتَهُمْ فى الفُلْكِ هَلَّا * تَرَكْتَهُمُ فكُنْتَ لهُمْ مُرِيحَا

أَصابَ رِفاقِيَ القِدْحَ المُعَلَّى * وصادَفَ سَهْمِيَ القِدْحَ المَنِيحَا (٣)

فلو ساقَ القَضاءُ إِلىَّ نَفْعًا * لقَامَ أَخُوهُ مُعْتَرِضًا شَحِيحَا (٤)

---

(١) يوسف ، هو ابن يعقوب عليهما السلام ، وأمره مع إخوته من إلقائه فى الجب ، والتقاط بعض السيارة له ، و بيعهم إياه بيع العبيد مشهور ، وقد قص الله ذلك فى القرآن فى سورة يوسف . والموالى : العبيد؛ الواحد مولى . و يريد « بالقوم » : جماعة اليهود الذين أرادوا صلب عيسى عليه السلام؛ وقد قص الله تعالى ذلك فى القرآن .

(٢) يشير الى قصة نبى الله نوح عليه السلام، وأمره مع قومه والطوفان الذى أرسله الله عليهم ونجاته بمن معه فى السفينة مشهور، وقد قص الله تعالى ذلك فى القرآن .

(٣) القدح (بكسر القاف وسكون الدال) : واحد القداح، وهى سهام الميسر . والقدح المعلى، هو السهم السابع منها ، وهو أفضلها ، لأنه اذا خرج حاز سبعة أنصباء . والمنيح : سهم من سهام الميسر لا نصيب له ولا فرض، وهو الثالث من القداح الغفل التى ليس لها فرض ولا أنصباء .

(٤) أخوه، أى أخو القضاء، وهو القدر .

النفس الحزينة

بيتان مترجمان عن (چان چاك[1] روسو)

[نشرا فى ٢٣ نوفبر سنة ١٩٠٠ م]

خَلَقْتَ لى نَفْسًا فأَرْصَدْتَهَا * لِلحُزْنِ والبَلْوَى وهٰذا الشَّقاءْ[2]

فَآمُنُنْ بنَفْسٍ لَمْ يَشُبْها الأَسَى * لَعَلَّها تَعْرِفُ طَعْمَ الهَنَاءْ[3]

سعىٌ بلا جدوى

يصف سعيه المتواصل وبؤسه وإباءه ، ويتمنى الراحة من ذلك بالموت

[نشرت فى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٠٠ م]

سَعَيْتُ إلى أَنْ كِدْتُ أَنْتَعِلُ الدَّما * وعُدْتُ وما أَعْقَبْتُ إلّا التَّنَدُّمَا[4]

لَحَى اللهُ عَهْدَ القاسِطِين الّذى به * تَهَدَّمَ مِنْ بُنْيانِنا ما تَهَدَّمَا[5]

إذا شِئْتَ أَنْ تَلْقَى السَّعادَةَ بينهمْ * فلا تَكُ مِصْرِيًّا ولا تَكُ مُسْلِمَا

سَلامٌ على الدُّنيا سَلامَ مُوَدِّعٍ * رَأَى فى ظَلامِ القَبْرِ أُنْسًا ومَغْنَمَا

---

(١) روسو، هو الكاتب الفرنسى المعروف، بطل الحرية وزعيم المساواة . ولد سنة ١٧١٢ م ، وكانت وفاته فى ٣ يوليه سنة ١٧٧٠ م . وله عدة تآليف ، منها كتاب الاتفاق الجمهورى ، وكتاب إميل ، وقاموس فى الموسيقى ، وآخر فى علم النبات ، وغيرها .

(٢) أرصدتها للحزن : حبستها عليه .

(٣) لم يشبها : لم يخالطها . أى آمنن على بنفس أخرى لم تخالطها الأحزان .

(٤) يقول : إنه تقرحت قدماه من كثرة السعى على الرزق حتى صار دم قدميه أشبه بالنعل لهما ، وما عاد بعد كل هذا إلا بالندم .

(٥) القاسطون : الجائرون المائلون عن الحق ؛ ويريد بهم المحتلين وصنائعهم .

أَضَرَّتْ به الأولى فهامَ بأُخْتِها (١) * فإنْ ساءَتِ الأُخْرى فوَيْلاهُ مِنْهُما

فهُبِّي رِياحَ الموتِ نُكْبًا وأَطْفِئِي (٢) * سِراجَ حَياتى قَبْلَ أنْ يَتَحَطَّما

فما عَصَمَتْنِى مِنْ زمانى فَضائلى (٣) * ولكنْ رأيتُ الموتَ للحُرِّ أَعْصَما

فيا قلبُ لا تَجْزَعْ إذا عَضَّكَ الأَسَى (٤) * فإنَّكَ بَعْدَ اليَوْمِ لن تتألَّمَا

ويا عَيْنُ قد آنَ الجُمُودُ لمَدْمَعي (٥) * فلا سَيْلَ دَمْعٍ تَسْكُبِين ولا دَمَا

ويا يَدُ ما كَلَّفْتُكِ البَسْطَ مَرَّةً * لِذى مِنَّةٍ أَوْلَى الجَمِيلَ وأَنْعَمَا

فلِلَّهِ ما أَحْلاكِ فى أَنْمُلِ البِلَى (٦) * وإنْ كنتِ أَحْلَى فى الطُّرُوسِ وأَكْرَما

ويا قَدَمِي ما سِرْتِ بى لِمَذَلَّةٍ * ولَمْ تَرْتَقِي إلّا إلى العِزِّ سُلَّما

فلا تُبْطِئِى سَيْرًا الى الموتِ وٱعْلَمِي * بأنَّ كَرِيمَ ٱلقَوْمِ مَن مات مُكْرَما

ويا نفسُ كم جَشَّمْتُكِ الصبرَ والرضا (٧) * وجَشَّمْتِنِى أن أَلْبَسَ ٱلمجدَ مُعْلَما

فما ٱسطَعْتِ أنْ تَسْتَمْرِئى مُرَّ طَعْمِه (٨) * وما ٱسطَعتُ بين القومِ أنْ أتَقَدَّما

---

(١) يريد «بالأولى» : الدنيا . و «بالأخرى» : الآخرة؛ فإن شقى فيها كما شقى فى دنياه فويلاه .

(٢) النكب : جمع نكباء ، وهى الريح اذا انحرفت عن وجهها ووقعت بين ريحين ، وهى ريح مهلكة للزرع والمواشى ، حابسة للقطر . ويتحطم : يتكسر .

(٣) عصمتنى : حفظتنى .

(٤) يشير بقوله «بعد اليوم» : إلى الموت .

(٥) جمود الدمع : انقطاعه أو قلته . فقدّر الشاعر فى هذا البيت أن ما تمناه من الموت قد وقع ، وانقطعت عنه أسباب الحزن المجرية للدموع .

(٦) فى أنمل البلى ، أى فى يد الفناء . والطروس : جمع طرس (بكسر الطاء وسكون الراء) ، وهو الصحيفة يكتب فيها .

(٧) جشمتك : كلفتك . والمعلم من الثياب : الذى فيه أعلام من طراز أو غيره . شبه المجد به فى وضوحه وظهوره .

(٨) استمرأ الطعام : استطابه واستساغه . ويشير بالشطر الأول من هذا البيت إلى الصبر والرضا الواردين فى البيت السابق . وبقوله «وما اسطعت بين القوم ... الخ» إلى المجد ، فى البيت السابق أيضا . يقول لنفسه : إن كلينا لم يستطع القيام بما كلف به .

فهٰذا فِراقٌ بيننا فتَجَمَّلِي * فإنَّ الرَّدَى أَحْلَى مَذاقا ومَطْعَما (١)

ويا صَدْرُ كم حَلَّت بذاتِكَ ضِيقةٌ * وكم جالَ في أنحائكَ الهَمُّ وارتَمَى

فهَلَّا تَرَى في ضِيقةِ القَبْرِ فُسْحَةً * تُنَفِّسُ عنكَ الكَرْبَ إنْ بِتَّ مُبْرَما؟ (٢)

ويا قَبْرُ لا تَبْخَلْ بِرَدِّ تَحِيَّةٍ * على صاحبٍ أَوْفَى علينا وسَلَّما (٣)

وهيهاتَ يأتي الحَيُّ للمَيْتِ زائرًا * فإنِّي رأيتُ الوُدَّ في الحَيِّ أَسْقَما

ويأيُّها النَّجمُ الذي طال سُهْدُه * وقد أَخَذَتْ منه السُّرَى أينَ يَمَّما (٤)

لَعَلَّكَ لا تَنْسَى عُهودَ مُنادِمٍ * تَعَلَّمَ منكَ السُّهْدَ والأَيْنَ كُلَّما (٥)

الإخفاق بعد الكدّ

وفيها ينعى مجد الترك والعرب، ويشير الى معان أخرى في الشكوى

[نشرت سنة ١٣١٨ هـ — سنة ١٩٠٠ م]

ماذا أَصَبْتَ مِنَ الأَسفارِ والنَّصَبِ * وطَيِّكَ العُمْرَ بينَ الوَخْدِ والخَبَبِ؟ (٦)

تَراكَ تَطْلُبُ لا هَوْنًا ولا كَثَبًا * ولا نَرَى لكَ مِنْ مالٍ ولا نَشَبِ (٧)

---

(١) تجملى : لاتظهرى الجزع . (٢) المبرم : المتضجر . (٣) أوفى، أى أشرف علينا زائرا . (٤) السرى (بضم السين) : السير ليلا . ويمم : قصد . (٥) الأين : التعب والإعياء . وفي هذا البيت والذى قبله ينادى الشاعر النجم الذى أخذ منه السهر والسرى كل مأخذ، ويطلب إليه أن يذكر عهود أليف له في سهره وسيره . وقوله «كلما»، أى كلما سهرت أيها النجم وتعبت من السرى .

(٦) النصب (بالتحريك) : التعب . والوخد : الإسراع في المشى . والخبب (بالتحريك) : أن ينقل الفرس أيامنه جميعا وأياسره جميعا إذا عدا . (٧) الهون : الهين . والكثب (بالتحريك) : القرب . والهون والكثب : صفتان لموصوف محذوف، أى لا طلبا هينا ولا قريبا . والنشب : المال الأصيل .

لا تُطْعِمانِيَ أَنْيابَ ٱلمَلامِ عَلَى * هٰذا ٱلعِثارِ فإنِّى مَهْبِطُ العَجَبِ (١)

وَدِدْتُ لو طَرَحُوا بِي يومَ جِئْتُهُمُ * فى مَسْبَحِ ٱلحُوتِ أو فى مَسْرَحِ ٱلعَطَبِ (٢)

لعلَّ (مانِىَ) لاقَى ما أُكابِدُه * فوَدَّ تَعْجِيلَنا من عالَمِ الشَّجَبِ (٣)

إنِّى ٱحتَسَبْتُ شَباباً بِتُّ أُنْفِقُه * وعَزْمَةً شابَتِ الدُّنيا ولَمْ تَشِبِ (٤)

كم هِمْتُ فى ٱلبِيدِ والآرامُ قائِلَةٌ * والشَّمسُ تَرْمِي أَدِيمَ الأَرْضِ باللَّهَبِ (٥)

وكم لَبِسْتُ الدُّجَى والتُّرْبُ ناعِسَةٌ * واللَّيْلُ أَهْدَأُ مِنْ جَأْشِي لَدَى النُّوَبِ (٦)

والنَّجمُ يَعْجَبُ مِنْ أَمْرِي ويَحْسَبُنِى * لَدَى السُّرَى ثامِناً للسَّبْعَةِ الشُّهُبِ (٧)

لٰكنَّنى غيرُ مَجْدُودٍ وما فَتِئَتْ * يَدُ ٱلمَقادِيرِ تُقْصِينِى عن الأَرَبِ (٨)

---

(١) «لا تطعمانى ... الخ»، أى لاتجعلانى طعمة. وقد شبه الملام، بالاسد ذى الأنياب؛ ونفسه بالفريسة. (٢) تمنى لوطرحه أهله يوم ولادته فى قاع البحر أو فى أى طريق من طرق الهلاك.

(٣) مانى، هو مانى الثنوى صاحب مذهب المانوية المشهور. ويشير الشاعر بهذا البيت إلى ما كان يراه مانى من وجوب تعجيل الفناء للبشر بقطع النسل، وقد ظهر مانى فى أيام سابور بن أردشير، وقتل فى زمن بهرام بن سابور. والشجب: الحزن والعنت يصيب الإنسان من مرض ونحوه. (٤) يريد أنه لم يستفد من شبابه ولا عزمته فى أيام الحياة شيئا، فاحتسبهما عند الله وعدهما فيما يدخره له من أجر وثواب.

(٥) هام: ذهب على وجهه حائرا لا يدرى أين يتوجه. والآرام: الظباء؛ الواحد: رئم، وهو فى الأصل مخصوص بالظبى الخالص البياض. والقائلة: المستكنة وقت الظهيرة لشدة الحر؛ ويقال: إن الظباء لاتقيل إلا إذا اشتد القيظ. وأديم الأرض: وجهها وظاهرها. (٦) الترب (بضم فسكون): جمع تَرباء، بمعنى التراب؛ وهذا الجمع مطرد فى (فعلاء) مؤنث (أفعل) ويريد بكونها ناعسة، أنها مستقرة فى مكانها لقلة من يثيرها من المارة بالمشى عليها. والجأش: النفس. وقيل: القلب. يصف فى الشطر الأخير الليل بأنه أشد هدوءا من هدوء نفسه واطمئنانها عند نوائب الدهر. (٧) الشهب السبعة، هى السيارة، وهى: زحل، والمشترى، والمريخ، والشمس، والزهرة، وعطارد، والقمر. يقول: إنه مستمر على السرى استمرار هذه الكواكب، حتى كأنه واحد منها. (٨) المجدود: المحظوظ.

وقد غَدَوْتُ وآمالى مُطَرَّحَةٌ (١) * وفى أُمورىَ ما لِلضَّبِّ فى الذنَبِ

فإنْ تَكُنْ نِسبَتِى للشَّرقِ مانِعَتِى * حَظًّا فـوَاهًا لمجدِ التُّرْكِ والعَرَبِ

وقاضِباتٍ لهمْ كانت إذا اخترِطَتْ (٢) * تَدَثَّرَ الغَربُ فى ثوبٍ مِنَ الرَّهَبِ

وجَمْرةٍ لهمُ فى الشَّرقِ ما هَمَدَتْ (٣) * ولا عَلاها رَمادُ الخَتْلِ والكَذِبِ

مَتَى أرَى (النِّيلَ) لا تَحْلُو مَوارِدُه * لغيرِ مُرْتَهِبٍ لِلّهِ مُرْتَقِبِ

فقد غَدَتْ (مِصْرُ) فى حالٍ إذا ذُكِرَتْ * جادَتْ جُفونِى لها باللُّؤلُؤ الرَّطِبِ (٤)

كأنَّنِى عِندَ ذِكْرِى ما أَلَمَّ بها * قَرْمٌ تَرَدَّدَ بين المَوْتِ والهَرَبِ (٥)

إذا نَطَقْتُ فَقاعُ السِّجنِ مُتَّكَأٌ (٦) * وإنْ سَكَتُّ فإنَّ النَّفسَ لم تَطِبِ

أَيَشْتَكِى الفَقْرَ غادِينا ورائِحُنا * ونحن نَمْشِى على أرضٍ مِنَ الذَّهَبِ

والقَوْمُ فى (مِصْرَ) كالإسْفَنجِ قد ظَفِرَتْ (٧) * بالماءِ لَمْ يَتْرُكوا ضَرْعًا لمُحْتَلِبِ

---

(١) مطرحة ، ملقاة منبوذة . و يريد بقوله « وفى أمورى ... الخ » : أن أموره معقدة متعذرة الحل ، كأنها ذنب الضب الذى يضرب به المثل فى التعقيد .

(٢) القاضبات : السيوف القواطع . واخترط السيف : استله من غمده . وتدثر : التف . والرهب (بالتحريك) : الخوف والرعب . يتحسر على زمان كانت فيه للترك والعرب سطوة يخشى بأسها الغرب .

(٣) استعار «الجمرة» فى هذا البيت لقوة الدولة وشوكتها وعزها . والختل : الخداع . يصف سياستهم بالصراحة وأنها لم يغشها كذب ولا خداع كما غشى غيرها من سياسات دول الغرب .

(٤) الرطب (بسكون الطاء) معروف ، وتحريكها هنا لضرورة الوزن ؛ و يلاحظ أننا لم نجد ذلك فى شعر آخر فيما راجعنا . (٥) القرم : السيد العظيم والبطل الشجاع . (٦) يقول : إنه إذا ذكر مصر اضطرب أمره بين إقدام عاقبته العقاب ، و إحجام يعقبه لذع الضمير .

(٧) يريد « بالقوم » : الأجانب . يقول : إن هؤلاء الأجانب فى مصر امتصوا كل خيرها كالإسفنج يمتص ما فى الوعاء من ماء . والضرع للبهائم بمنزلة الثدى للمرأة ، جمعه ضروع .

(يا آلَ عُثمانَ) ما هٰـذا الجفاءُ لنـا * ونحْنُ في اللهِ إخْـوانٌ وفي الكُتُبِ[1]

تَرَكْتُمونا لأَقْـوامٍ تُخالِفُنـا * في الدِّينِ والفَضْلِ والأخلاقِ والأَدَبِ

حسرة على فائت

[نشرت في يونيه سـنة ١٩٠٢ م]

لم يَبْـقَ شيءٌ مِن الدُّنيا بأَيْدينا * إلّا بَقيّـةُ دَمْـعٍ في مآقِينا[2]

كُنّا قِلادَةَ جِيدِ الدَّهْرِ فانفَرَطَتْ * وفي يَمينِ العُـلا كُنّا رَياحِينا

كانت مَنازِلُنا في العِزِّ شامِخَـةً * لا تُشرِقُ الشَّمْسُ إلّا في مَغانِينا[3]

وكانَ أَقْصى مُـنَى نَهرِ (المَجَرَّة) لو * مِن مائِه مُزِجَتْ أَقْـداحُ ساقِينا[4]

والشُّهْبُ لو أنّها كانت مُسَخَّرةً * لِرَجْمِ من كانَ يَبْـدُو مِن أَعادِينا

فـلَمْ نَزَلْ وصُرُوفُ الدَّهْرِ تَرْمُقُنا * شَزْرًا وتَخْـدَعُنا الدّنيا وتُلْهِيـنا[5]

حـتّى غَدَوْنا ولا جاهٌ ولا نَشَـبٌ * ولا صَـدِيقٌ ولا خِلٌّ يُواسِينـا[6]

---

(١) آل عثمان: الترك.

(٢) المـآقي: جمع مؤق ومأق، وهو مجرى الدمع من العين.

(٣) المغاني: جمع مغنى، وهو المنزل الذي غنى به أهله، أي أقاموا.

(٤) المجرة: نجوم كثيرة ينتشر ضوءها فترى كأنه بقعة بيضاء؛ وتشبهها الشعراء بالنهر، كما في هذا البيت.

(٥) صروف الدهر: غيره ونوائبـه. والنظر الشزر: أن تنظر إلى غيرك بجانب عينك ولا تستقبله بوجهك معرضا عنه، أو غاضبا عليه.

(٦) النشب: المـال والعقار.

وداع الشباب

قال هذه القصيدة فى دار وسط مزارع فى الجيزة قضى فيها بعض أيام شبابه ، ثم مر بها بعد عهد طويل من تحوّله عنها فتحركت فى نفسه ذكريات ، وجاش صدره بهذه الأبيات

[نشرت فى ٢٦ فبراير سنة ١٩٣٢ م]

كم مَرَّ بِي فيكِ عَيْشٌ لَسْتُ أَذْكُرُه * ومَرَّ بِي فيكِ عَيْشٌ لَسْتُ أَنْساهُ (١)

وَدَّعْتُ فيكِ بَقايَا ما عَلِقْتُ به * مِنَ الشَّبابِ وما وَدَّعْتُ ذِكْراهُ

أَهْفُو إليه على ما أَقْرَحَتْ كَبِدِى * مِنَ التَّبارِيحِ أُولاهُ وأُخْراهُ (٢)

لَبِسْتُه ودُمُوعُ العَيْنِ طَيِّعَةٌ * والنفسُ جَيَّاشَةٌ والقَلْبُ أَوّاهُ (٣)

فكانَ عَوْنِى على وَجْدٍ أُكابِدُه * ومُرِّ عَيْشٍ على العِلّاتِ أَلْقاهُ

إِنْ خانَ وُدِّى صَدِيقٌ كنتُ أَصْحَبُه * أو خانَ عَهْدِى حَبِيبٌ كنتُ أَهْواهُ

قد أَرْخَصَ الدَّمْعَ يَنْبُوعُ الغَناءِ به * وا لَهْفَتِى ونُضُوبُ الشَّيْبِ أَغْلاهُ (٤)

كم رَوَّحَ الدمعُ عَنْ قَلْبِى وكم غَسَلَتْ * منه السَّوابِقُ حُزْناً فى حَناياهُ (٥)

---

(١) يقول : إنه مرت به فى هذا البيت شؤون وأحوال، نسى بعضها وذكر بعضها .

(٢) أهفو، أى أميل . والتباريح : ما يعانيه المحب من شدّة الشوق .

(٣) جياشة : مضطربة بمختلف العواطف . والأوّاه : الحزين .

(٤) أرخصه : جعله رخيصا . والضمير فى «به» يعود على الشباب . ونضوب الشيب ، أى ذبول العود وجفافه فى المشيب . يقول فى الشطر الأول : إن غزارة الدمع فى عهد الشباب قد جعلته رخيصا يفيض لأقل الأشياء ؛ و يتلهف فى الشطر الثانى على قلة هذا الدمع فى عهد المشيب حتى غلا وعز ، فلا يجيبه اذا دعاه . (٥) روح الدمع عن قلبى ، أى خفف من حزنه ونفس من لوعته . وسوابق الدموع : ما أسرع منها .

لَم أَدْرِ ما يَدُه حتّى تَرَشَّفه * فَمُ المَشِيبِ على رَغْمِي فأَفْناهُ (١)

قالوا تحرَّرْتَ مِنْ قَيْدِ المِلاحِ فعِشْ * حُرًّا فَفِي الأَسْرِ ذُلٌّ كُنتَ تَأْباهُ

فقُلْتُ يا لَيْتَه دامَتْ صَرامَتُه * ما كان أَرْفَقَه عندي وأَحْناهُ (٢)

بُدِّلْتُ منه بقَيْدٍ لَسْتُ أُفْلِتُه * وكيف أُفْلِتُ قَيْدًا صاغَهُ اللهُ (٣)

أَسْرَى الصَّبابَةِ أَحْياءٌ وإنْ جَهِدُوا * أَمّا المَشِيبُ فَفِي الأَمْواتِ أَسْراهُ

وقال :

كتب بها من السودان إلى بعض أصدقائه يشكو حظه و يتشوّق إلى مصر

رَمَيْتُ بِها على هٰذا التَّبابِ * وما أَوْرَدْتُها غيرَ السَّرابِ (٤)

وما حَمَّلْتُها إلّا شَقاءً * تُقاضِيني به يومَ الحِسابِ (٥)

جَنَيْتُ عليكِ يا نَفْسِي وقَبْلِي * عليكِ جَنَى أَبِي فَدَعِي عِتابِي (٦)

فَلَوْلا أَنَّهُمْ وَأَدُوا بَيانِي * بَلَغْتُ بِكِ المُنَى وشَفَيْتُ ما بِي (٧)

---

(١) يده ، أى نعمة الدمع عندى ؛ و يقال : ترشفه ، أى شربه قليلا قليلا .

(٢) ياليته ، أى ياليت هذا القيد السابق ذكره . وصرامته : شدّته و إحكامه وتعذر الإفلات منه .

(٣) المعروف أن الباء تدخل على المتروك عكس ما استعمله الشاعر هنا ؛ ولكن ورد فى عبارة بعض اللغويين ما يفيد صحة دخول الباء على المأخوذ كاستعمال الشاعر . قال أبو العباس ثعلب : يقال « بدّلت الخاتم بالحلقة » : اذا أذبته وسوّيته حلقة ؛ وبدّلت الحلقة بالخاتم : اذا أذبتها وجعلتها خاتما . والمراد بالقيد هنا : قيد المشيب . (٤) بها ، أى بالنفس . والتباب : الخسران والنقص . والسراب : هو ماتراه نصف النهار من اشتداد الحر كالماء عن بعد ؛ و يشبه به الخداع . (٥) تقاضينى : تحاسبنى عليه .

(٦) جناية أبيه عليه أنه كان سببا فى ولادته ، إشارة الى قول المعرى :

هـذا جناه أبى علىّ وما جنيت على أحد

(٧) وأده : دفنه حيا .

سَعَيْتُ وكم سَعَى قبلي أديبٌ * فآبَ بخيبةٍ بَعْدَ اغترابِ

(١)
وما أَعْذَرْتُ حتّى كان نَعْلِي * دَمًا ووِسادتي وَجْهَ التُّرابِ

(٢)
وحتّى صَيَّرَتْني الشمسُ عَبْدًا * صَبِيغًا بَعْدَ ما دَبَغَتْ إهابي

(٣)
وحتّى قَلَّمَ الإمْلاقُ ظُفْري * وحتّى حَطَّم المِقْدارُ نابي

(٤)
مَتَى أنا بالِغٌ يا (مِصْرُ) أَرْضًا * أَشَمُّ بتُرْبِها رِيحَ المَلابِ

(٥)
رأيتُ ابنَ البُخارِ على رُباها * يَمُرُّ كأنّه شَرْخُ الشَّبابِ

كأنّ بجَوْفِه أحشاءَ صَبٍّ * يُؤَجِّجُ نارَها شَوْقُ الإيابِ

(٦)
إذا ما لاحَ ساءَلْنا الدَّياجي * أَبَرْقُ الأرْضِ أمْ بَرْقُ السَّحابِ

وقال :

ما لِهَذا النَّجْمِ في السَّحَرِ * قد سَها مِنْ شِدّةِ السَّهَرِ؟

(٧)
خِلْتُه يا قَوْمُ يُؤْنِسُني * إنْ جَفاني مُؤْنِسُ السَّحَرِ

يا لِقَوْمِي إنّني رَجُلٌ * أَفْنَتِ الأيّامُ مُصْطَبَري

(٨)
أَسْهَرَتْني الحادِثاتُ وقد * نامَ حتّى هاتِفُ الشَّجَرِ

---

(١) ما أعذرت : ما قصرت . ويريد «بكون نعله دما» : كثرة السعي الى أن تقرحت قدماه فصار الدم لها كالنعل . (٢) الصبيغ : المصبوغ . وإهاب الانسان : جلده . (٣) قلمه : قطعه . والإملاق : الفقر المدقع . ويريد «بالظفر والناب» في هذا البيت : أسباب قوته . (٤) الملاب : لفظ فارسي ، وهو كل عطر سائل . (٥) ابن البخار : القطار . والربا : ما ارتفع من الأرض . وشرخ الشباب : أوله وريعانه ، شبه به القطار في السرعة . (٦) الدياجي : الظلمات ، جمع داجية . (٧) مؤنس السحر : حبيبه أو نديمه . (٨) هاتف الشجر : الطائر المغرد .

والدُّجى يَخْطو على مَهَلٍ * خَطْوَ ذى عِزٍّ وذى خَفَرِ (١)

فيه شَخْصُ اليأسِ عانَقنى * كحَبيبٍ آبَ مِنْ سَفَرِ

وأَثارتْ بى فَوادِحُــه * كامِناتِ الهَـمِّ والكَدَرِ (٢)

وكأنّ اللّيْلَ أَقْسَمَ لا * يَنْقَضِى أو يَنْقَضِى عُمُرِى

أيُّهـا الزِّنْجِىُّ ما لَكَ لَمْ * تَخْشَ فينـا خالِقَ البَشَرِ؟ (٣)

لِى حَبيبٌ هاجِــرٌ ولَهُ * صُورَةٌ مِنْ أَبْدَعِ الصُّــوَرِ

أَتَــلاشَى فى مَحبّتِــه * كَتَلاشِى الظِّلِّ فى القَمَرِ

شكوى الظلم

لَقَدْ كانَتِ الأَمْثالُ تُضْرَبُ بيْنَنا * بِجَوْرِ (سَدُومٍ) وهوَ مِنْ أَظلَمِ البَشَرْ (٤)

فلمّا بَدَتْ فى الكَوْنِ آياتُ ظُلْمِهِمْ * إذا (بِسَدُومٍ) فى حُكومَتِه (عُمَر) (٥)

---

(١) الخفر : شدّة الحياء . وقد كنى «بتمهل الدجى فى خطوه» عن طول الليل .

(٢) الفوادح : ما يثقل حمله من النوائب .

(٣) يريد «بالزنجى» : الليل ، لسواده .

(٤) سدوم (بالدال المهملة ، وقيل بالذال المعجمة) : إحدى مدائن قوم لوط الخمس التى دمرها الله لجور أهلها وكفرهم ، وكان لها قاض يضرب به المثل فى الظلم ، يقال له : (سدوم) أيضا ، فقيل : «أظلم من قاضى سدوم» .

(٥) الحكومة : الحكم . وعمر، هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه ؛ ضرب به المثل فى العدل . ويريد الشاعر بهذا البيت : أن ظلم سدوم يتضاءل حتى يصير عدلا اذا قيس بظلم حكام هذا العصر .

وقال فى مرض له :

مَرِضْنا فما عادَنا عائدٌ * ولا قيلَ: أَيْنَ الفَتَى الأَلْمَعِي؟ (١)

ولا حَنَّ طِرْسٌ إلى كاتِبٍ * ولا خَفَّ لَفْظٌ على مِسْمَعِ (٢)

سَكَتْنا فعَزَّ علينا السُّكوتُ * وهانَ الكلامُ على المُدَّعِي

فيا دَوْلَةً آذَنَتْ بالزوالِ * رَجَعْنا لعَهْدِ الهَوَى فارْجِعِي (٣)

ولا تَحسبِينا سَلَوْنا النَّسِيبَ * وبين الضُّلوعِ فؤادٌ يَعِي (٤)

سجن الفضائل

نَعِمْنَ بنَفْسِي وأَشْقَيْنَنِي * فيا لَيْتَهُنَّ ويا لَيْتَنِي (٥)

خِلالٌ نَزَلْنَ بخِصْبِ النُّفُوسِ * فَرَوَّيْنَهُنَّ وأَظْمَأْنَنِي

تَعَوَّدْنَ مِنِّي إباءَ الكَرِيمِ * وصَبْرَ الحَلِيمِ وتِيهَ الغَنِي

وعَوَّدْتُهُنَّ نِزالَ الخُطُوبِ * فما يَنْثَنِينَ وما أَنْثَنِي

إذا ما الهَوَى بلَيْلِ الشَّبابِ * أَهابَ بعَزْمِي فَنَبَّهْنَنِي (٦)

---

(١) الألمعى : الذكى المتوقد ذكاء . (٢) الطرس : الصحيفة يكتب فيها . والمسمع (بكسر الميم الأولى) : الأذن . (وبفتحها) : السمع . (٣) يريد دولة الأدب .

(٤) النسيب : التشبيب بالنساء وذكر محاسنهن فى الشعر . ويعى : يحفظ .

(٥) نعمن ، أى الخلال المذكورة فى البيت الآتى . فياليتهن و ياليتنى ، أى ياليتهن ما نعمن و ياليتنى ما شقيت . (٦) أهاب به : دعاه .

فما زِلْتُ أَمْرَحُ في قِدِّهِنَّ ⁽¹⁾ * ويَمْرَحْنَ مِنِّي بِرَوْضٍ جَنِي

إلى أَنْ تَوَلَّى زَمانُ الشَّباب * وأَوْشَكَ عُودِي أَنْ يَنْحَنِي

فيا نَفْسُ إنْ كنتِ لا تُوقِنِين * بِمَعْقُودِ أَمْرِكِ فاسْتَيْقِنِي ⁽²⁾

فهٰذِي الفضيلةُ سِجْنُ النُّفوس * وأَنتِ الجَدِيرَةُ أَنْ تُسْجَنِي

فلا تَسْأَلِيني مَتَى تَنْقَضِي * لَيالِي الإسارِ؟ ولا تَحْزَنِي

كتاب الى الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده

كتب به اليه من السودان

كتابي إلى سَيِّدِي، وأنا مِنْ وَعْدِه بين الجَنَّةِ والسَّلْسَبِيل ⁽³⁾، ومِنْ تِيهِي به فوقَ النَّثْرَةِ ⁽⁴⁾ والإكْلِيل؛ وقد تَعَجَّلْتُ السُّرور، وتَسَلَّفْتُ ⁽⁵⁾ الحُبُور؛

* وقَطَّعْتُ ما بيني و بين النَّوائب *

و بَشَّرْتُ أَهْلِي بالّذي قد نَمَتْهُ * فما مِحْنَتِي إلَّا لَيالٍ قَلائِلُ

وقلتُ لهمْ لِلشَّيخِ فِينا مَشيئةٌ * فليسَ لنا مِنْ دَهْرِنا ما نُنازِلُ ⁽⁶⁾

---

(١) القدّ (بالكسر) : السير يقدّ من جلد يقيد به الأسير؛ والضمير يعود على الخلال . وروض جنى (بتشديد الياء، وخففت للشعر)، أى أدرك ثمره وصلح للجنى . يقول : إنى فى ضيق من هذه الخلال الحميدة، وهن فى سعة من نفسى . (٢) بمعقود أمرك، أى بما هو حتم عليك من مصيرك وما لا بد لك منه، وهو الموت . (٣) السلسبيل : اسم عين ماء فى الجنة؛ قال تعالى : «عينا فيها تسمى سلسبيلا» .

(٤) النثرة : اسم كوكب تسميه العرب «نثرة الأسد»، وهى من منازل القمر . والإكليل : منزل من منازل القمر (أيضا)، وهو أربعة أنجم مصطفة . (٥) تسلفت الحبور : طلبته مقدّما قبل أوانه .

(٦) ننازل : نقاتل .

وجَمَعْتُ فيه بين ثِقَةِ الزَّبِيدِيِّ بالصَّمْصَامَة (١)، والحارِثِ بالنَّعامة (٢)، فلَمْ أَقُلْ ما قال الهُذَلِيُّ (٣) لصاحِبِه حِينَ نَسِيَ وَعْدَه، وحَجَبَ رِفْدَه (٤):

* يا دارَ عاتِكَةَ الّتي أَتَعزَّلُ (٥)

(١) الزبيدى، هو عمرو بن معد يكرب الفارس المشهور، وهو من بنى زبيد، وقد أدرك الجاهلية والإسلام، وله بلاء حسن فى المعارك التى شهدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى غيرها. والصمصامة: اسم سيفه.

(٢) الحارث، هو ابن عباد التغلبى، وهو من شيوخ العرب ورؤسائهم. والنعامة: اسم فرسه.

(٣) يريد «بالهذلى» أبا بكر، و«بصاحبه»: أبا جعفر المنصور الخليفة العباسى المعروف. ويشير الكاتب بهذا الكلام إلى ما حدث بينهما، وكان أبو بكر الهذلى هذا من جلساء المنصور وصحابته، وكان قد تعوّد ألا يكلم المنصور إلا جوابا على سؤال إجلالا له، ورهبة منه، وقد وعده المنصور ذات يوم بجائزة، ثم تثاقل عن الوفاء بوعده، فبينما هما يسيران ذات يوم إذ مرا بدار عاتكة التى يشبب بها الأحوص، فقال الهذلى للمنصور: يا أمير المؤمنين، هذا بيت عاتكة التى يقول فيه الشاعر.

* يا دار عاتكة التى أتعزل *

فعجب المنصور من صاحبه كيف بدأه بالكلام على غير عادته، وفطن إلى ما يريد الهذلى بذكر هذه الأبيات، وهو قول الشاعر فيها:

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم * مذق اللسان يقول ما لا يفعل

وتذكر وعده، فقام بوفائه لساعته. والشعر للأحوص بن محمد بن عبد الله الأنصارى من قصيدة يمدح فيها عمر بن عبد العزيز، وأولها:

يا دار عاتكة التى أتعزل * حذر العدا وبك الفؤاد موكل

إنى لأمنحك الصدود وإننى * قسما اليك مع الصدود لأميل

ويريد الكاتب بهذا الكلام: انه لا يذكر الأستاذ الإمام بوعده كما فعل الهذلى مع المنصور.

(٤) الرفد: العطاء والصلة.

(٥) أتعزل: أتجنب.

بل أناديه نداءَ الأَخيذَةِ في عَمُّورِيَّة(١)، شُجاعَ الدَّوْلةِ العَبّاسيّة؛ وأَمُدُّ صَوتى بذِكْرِ إحسانِه، مَدَّ المؤَذِّنِ صَوْتَه في أَذانِه؛ وأَعْتَمِدُ عليه في البُعْدِ والقُرْبِ، اعتمادَ المَلّاحِ على نَجْمَةِ القُطْبِ .

وقال أُصَيْحابي وقد هَالَني النَّوَى(٢) * وهالَهُمُ أَمْرِي : مَتى أَنْتَ قافِلُ ؟

فقلتُ : إذا شاءَ الإمامُ فأَوْبَتِي * قَريبٌ، ورَبْعِي بالسَّعادَةِ آهِلُ(٣)

وهأنا مُتَماسِكٌ حتّى تَنْحَسِرَ هذه الغَمْرَةُ(٤)، ويَنْطَوِيَ أَجَلُ تلكَ الفَتْرَة؛ ويَنْظُرُ لى سَيِّدى نَظْرَةً تَرفَعُنى مِنْ ذاتِ الصَّدْعِ(٥)، إلى ذاتِ الرَّجْعِ؛ وتَرُدُّنى إلى وَكْرِي(٦) الّذى فيه دَرَجْتُ رَدَّ الشّمسِ قَطْرَةَ المُزْنِ إلى أَصْلِها، وردَّ الوَفِيِّ الأَماناتِ إلى أَهلِها .

---

(١) الأخيذة : الأسيرة، فعيلة بمعنى مفعولة . وعمورية : بلد من بلاد الروم فتحه المعتصم بالله ثامن خلفاء بنى العباس فى سنة ٢٢٣ هـ . ويريد «بشجاع الدولة العباسية» : المعتصم بالله السابق ذكره . ويشير بهذا الكلام الى امرأة من نساء المسلمين أسرها الروم فى عمورية فى عهد المعتصم، وكان الروم يعذبونها، فصاحت : وامعتصماه، فقال لها بعض الحراس ساخرا بها : سيأتيك المعتصم على جواد أبلق وخلفه خيول بلق فينقذك من أيدينا . فنمى خبر هذا الكلام إلى الخليفة المعتصم، فأقسم أن يفتح بلاد الروم، ويعود بالأسيرة؛ ثم جرّد لوقته على بلاد الروم جيشا كثيفا كله خيول بلق، وتقدمه هو على جواد أبلق . فنكل بالروم وفتح عمورية، ودخل على الأسيرة فى سجنها واستخلصها وأعادها الى بلادها .

(٢) النوى : البعد . وقافل : راجع . (٣) قال : «قريب» ولم يقل : «قريبة» لأنه يستعمل فى المذكر والمؤنث كما قال الله تعالى : «إن رحمة الله قريب من المحسنين» . وآهل بالسعادة : عامر بها .

(٤) تنحسر هذه الغمرة، أى تنكشف هذه المصيبة . (٥) الصدع : الشق . ويريد «بذات الصدع» : الأرض . والرجع : المطر بعد المطر . وذات الرجع : أى السماء . قال تعالى : (والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع) . (٦) الوكر : عش الطائر؛ والمراد به هنا : وطنه . ودرجت : مشيت . والمزن (بضم فسكون) : السحاب . ويشير بهذه العبارة الى ماء المطر الذى يسقط من السماء، فتحوّله الشمس بحرّها إلى بخار، ثم يعود الى أصله سحابا .

فإنْ شاءَ فالقُرْبُ الّذى قد رَجَوْتُه * وإنْ شــاءَ فالعِــزُّ الّذى أنا آمُلُ

وإلّا فإنّى قافُ (رُؤْبَةَ)(١) لَمْ أَزَلْ * بقَيْــدِ النّوى حتّى تَغُولَ الغَوائِلُ

فلقد حَالَتُ السُّودانَ حُلولَ الكَليمِ(٢) فى التّابُوت، والمُغَاضِبِ(٣) فى جَوْفِ الحُوت، بين الضِّيقِ والشِّدّة، والوَحْشَةِ والوُحْدة(٤). لا، بل حُلول الوَزيرِ(٥) فى تَنُّورِ العَــذاب والكافِرِ فى مَوْقِفِ يومِ الحساب، بين نارَين: نارِ القَيْظ، ونارِ الغَيْظ.

فنادَيْتُ باسمِ الشّيخِ والقَيْظُ جَمْرُه * يُذِيبُ دِماغَ الضَّبِّ(٦) والعَقْلُ ذاهِلُ

فصِرتُ كأنّى بين رَوْضٍ ومَنْهَــلٍ * تَدِبُّ الصَّبا(٧) فِيــه وتَشْدُو البَلابِلُ

---

(١) رؤبة، هو ابن العجاج بن رؤبة، من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسـية. وكان هو وأبوه من رجاز الإسـلام وفصحائهم المذكورين المقدّمين منهم. ومات رؤبة فى أيام المنصور، وكان يصنع أكثر أراجيزه على روى القاف الساكنة، فضرب بقافه المثـل فى السكون وعدم الحركة؛ والمراد هنا: إن لم يدركنى الأسـتاذ الإمام بمساعيه، فإنى مستقر فى هــذه البلاد البعيدة لا أبرحها، كقاف رؤبة فى سكونها، حتى يأتى الأجل. وفى قاف رؤبة هذه يقول أبو العلاء:

مالى غدوت كقاف رؤبة قيدت * فى الدهر لم يقــدر له إجراؤها

والغوائل: الدواهى التى تأخذ الإنسان من حيث لا يدرى. (٢) الكليم: نبى الله موسى عليــه السلام؛ وقصة وضعه فى التابوت وإلقائه فى اليم وهو وليد مشهورة، وقد قصها الله تعالى فى القرآن فى غير موضع. (٣) يريد «بالمغاضب»: نبى الله يونس عليه السلام، قال تعالى فى سورة الأنبياء: (وذا النون إذ ذهب مغاضبا) الآية. وقصة التقام الحوت إياه وخروجه من جوفه مشهورة؛ وقد ذكرها الله تعالى فى القرآن. (٤) كذا ورد ضبط هذا اللفظ بضم الواو فى شرح القاموس ضبطا بالعبارة.

(٥) يريد «بالوزير»: أبا جعفر محمد بن عبد الملك الزيات، وزير الخليفتين، المعتصم بالله، وابنه الواثق بالله. ويشير بهذه العبارة إلى ما يروى من أن هذا الوزير كان لشدّة ظلمه قد صنع تنورا يدخل فيه من أمر بقتله مبالغة فى تعذيبه، فأراد الله أن يكون هو أوّل من يعذب فيه حتى يموت، وذلك بأمر الخليفة المتوكل على الله سنة ٢٣٣ هـ. (٦) يذيب دماغ الضب: كناية عن شدّة الحر. والضب: حيوان قصير الذنب، معقده، خشن الجلد، ولونه إلى غبرة مشربة بالسواد. (٧) الصبا: ريح الشمال. وتشدو، أى تغرد.

واليومَ أكتُبُ إليــه وقد قَعَدَتْ هِمّةُ النَّجْمَيْن(١)، وقَصُرَتْ يَدُ الجَدِيدَين(٢)، عن إزالَة ما فى نَفْسِ ذَلِكَ الجَبّارِ العَنِيد(٣)، فلقــد نَمَى(٤) ضِبُّ(٥) ضِــغْنِه عَلَىّ، وبَدَرَتْ(٦) بَوادِرُ السُّوءِ منه إلىّ؛ فأَصْبَحْتُ كما سَرَّ العَــدُوَّ وساءَ الحَمِيم(٧)، وآلامِى كأنّهــا جُلودُ أَهْلِ الجحِيم، كلّمــا نَضِجَ منها أَدِيمٌ تَجَــدَّد أَدِيم(٨)؛ وأَمْسَيْتُ ومُلْكُ آمالى إلى الزَّوال أَسْرَعُ مِنْ أَثَرِ الشِّهابِ فى السَّماء، ودَوْلَةُ صَــبْرِى إلى الاَضْمِحْلال أَحَثُّ(٩) مِنْ حَبابِ المــاء؛ فنَظَرْتُ فى وُجوهِ تلك العِباد، وإنّى لَفارِسُ(١٠) العَيْنِ والفُؤاد؛ فَــلَمْ تَقِفْ فِراسَتِى على غيرِ بابِك.

---

(١) يريد «بالنجمين»: المشترى والزهرة؛ وكان القدماء يعتقدون أن لهما تأثيرا فى نفوس البشر يؤلفان منها ما فترق. ويقال: قعدت همته عن كذا، أى عجز عنه.

(٢) الجديدان: الليل والنهار.

(٣) يريد «بالجبار العنيد»: كتشنر باشا سردار الجيش المصرى إذ ذاك؛ وكان بينه وبين حافظ نفور وجفوة، حتى يقال: إنه لغضبه على حافظ كتب أمام اسمه: لا يرقى ولا يرفت.

(٤) نمى ينمى وينمو: زاد.

(٥) الضب: الغيظ والحقد الخفىّ.

(٦) بدرت: أسرعت. والبوادر: جمع بادرة، وهى ما يبــدو من الإنسان عند حدّته من خطأ وسقطات، والمراد «ببوادر السوء»: أوائله.

(٧) الحميم: الصديق.

(٨) الأديم: الجــلد. ويشــير بهذه العبارة الى قوله تعــالى فى صــفة عذاب أهل النــار: (كلما نضجت جلودهم بدّلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب).

(٩) أحث: أشد سرعة. وحباب المــاء: فقاقيعه التى تكون على سطحه.

(١٠) فارس: اسم فاعل من الفراسة، وهى الاستدلال بالأمور الظاهرة على الأمور الخفية.

وإنّى أُهْدِيكَ[١] سَلاما لو ٱمتزَجَ بالسَّحاب، وٱختَلَطَ منــه باللُّعاب[٢]، لأَصْبَحَتْ تَتَهــادَى بقَطْرِه[٣] الأَكاسِرَه، وأَمْسَتْ تَدَّخِرُ منه الرُّهْبانُ فى الأَدْيِرَه[٤]، ولأَغْنَى ذاتَ الحِجاب، عن الغالِيَة[٥] والمَلاب، ولا بِدْعَ[٦] إذا جادَ السَّيِّدُ بالرَّدّ، فقد يُرَى وَجْهُ المَليــكِ فى ٱلمِرْآة، وخَيالُ ٱلقَمَر فى ٱلأَضَاة[٧]، وإن حال حائل، دون أُمْنِيَّة هــذا السائل، فهو لا يَذُمُّ يَوْمَك، ولا يَيْأَسُ مِنْ غَدِك، فأنتَ خَيْرُ ما تكونُ حِينَ لا تَظُنُّ نَفْسٌ بنَفْسٍ خَيْرا، والسَّلام .

---

(١) صوابه «أهدى لك» أو «إليك» . (٢) لعاب السحاب : مطره . (٣) قطر السحاب : ماؤه الذى يقطر منه . والأكاسرة : ملوك فارس . (٤) لم نجد هــذا الجمع «للدير» فى مدوّنات اللغة التى بين أيدينا، والذى وجدناه أن جمعه : أديار، كما فى القاموس وغيره، وديورة، كما فى المصباح، وهذا الجمع المذكور هنا شائع الاستعمال فى كلام المعاصرين، بل لا يستعملون غيره . وقد شبه المطر الممتزج بسلامه بالخمر المعتقة عنــد الرهبان، المحفوظة فى أديارهم . (٥) الغالية : نوع من الطيب مركب من أخلاط تغلى على النار . والملاب : كل عطر مائع، وهو لفظ فارسى معرب . (٦) لا بدع، أى ليس غريبا ولا أول شىء حدث . (٧) الأضاة (بفتح الهمزة وتخفيف الضاد) : الغدير، وجمعه أضوات (بالتحريك) .

المراثي

رثاء عثمان السيد أباظه بك[1]

سنة ١٨٩٦ م

رُدّا كؤوسكما عن شَجْوِ مَفْؤُودِ[2] * فليس ذلك يومَ الرّاحِ والعُودِ

ياساقِيَيَّ أراني قد سَكَنْتُ إلى[3] * ماءِ المَدامعِ عن ماءِ العَناقيدِ

وبِتُّ يَرْتاحُ سَمْعي حين يَفْتِقُه[4] * صَوْتُ النَّوادِبِ لا صَوْتُ الأغارِيدِ

فأمسِكا الرّاحَ إنّي لا أُخامِرُها[5] * وبلِّغا الغِيدَ عنِّي سَلْوَةَ الغِيدِ

ثم امضِيا ودَعاني إنني رَجُلٌ * قد آلَ أمري إلى هَمٍّ وتَسْهيدِ

أبَعْدَ (عُثْمانَ) أَبْغي مآرِبَا حَسَنًا * مِنَ الحَياةِ وحَظًّا غيرَ منكُودِ؟

---

(١) عثمان أباظه بك ، هو ابن السيد أباظه باشا ، ولد فى سنة ١٢٦٤ هـ — ١٨٤٨ م وألحقه والده بالمدرسة الخديوية ، ثم مدرسة الإدارة والألسن ، وهى مدرسة الحقوق فى أول عهدها ؛ وتولى جملة مناصب ، فكان ناظر قسم ، ثم ناظر قلم قضايا مديرية الشرقية ؛ واختاره المغفور له اسماعيل باشا الخديوى مفتشا لتفتيش (الزنكلون) وأنعم عليه بالرتبة الثانية ، وبعد أن تقلد عدّة أعمال أخرى استقال منها ، وأقام ببلده (الربعمائة) بإقليم الشرقية ؛ وكان بيته ملتقى العظماء والأدباء والشعراء ، وكان حافظ ابراهيم بك كثير التردّد عليه ، وتوفى سنة ١٨٩٦ م . وكان أبوه السيد أباظه باشا أوّل من نال لقب (باشا) من المصريين العرب .

(٢) المفؤود : مصاب الفؤاد . والراح : الخمر .

(٣) سكن الى الشيء : استراح اليه وأنس به . ويريد بماء العناقيد : الخمر .

(٤) يفتقه ، أى يشقه وينفذ فيه . والأغاريد : جمع أغرودة ، وهى الأغنية .

(٥) لا أخامرها ، أى لا أخالطها . والغيد : جمع غيداء ، وهى المرأة المتثنية لينا ونعمة .

إنِّى لَيَحْزُنُنِي أَنْ جاءَ يَنْشُدُهُ (١) * داعِى المَنُونِ وأنِّى غَيرُ مَنْشُودِ

أَمْسَتْ تُنافِسُ فيكَ الشُّهبَ مِنْ شَرَفٍ (٢) * أَرْضٌ تَوارَيْتَ فيها يافَتَى الجُودِ

لَوْ لَمْ تَكُنْ سَبَقَتْكَ الأَنْبياءُ لَها * قُلْنا بأَنَّكَ فيها خَيرُ مَلْحُودِ

وَوَدَّتِ الرِّيحُ لو كانتْ مُسَخَّرَةً (٣) * لِحَمْلِ نَعْشِكَ عن هامِ الأَماجِيدِ

والشمسُ لو أنَّها مِن أُفْقِها هَبَطَتْ * وآثَرَتْ مَعْكَ سُكْنَى القَفْرِ والبِيدِ

وقد تَمَنَّى الضُّحى لو أنَّهمْ دَرَجُوا (٤) * هذا الفَقِيدَ بثَوْبٍ منه مَقْدُودِ

يا راحِلاً أكْبَرَتْكَ الحادِثاتُ وَمَا (٥) * أَكْبَرْتَها عندَ تَلْيِينٍ وتَشْدِيدِ

أَبْكَيْتَ حتّى العُلا والمَكْرُماتِ وما (٦) * جَفَّتْ عليكَ مآقِي الخُرَّدِ الخُودِ

وباتَ آلُكَ والأَصْحابُ كُلُّهُمُ (٧) * عليكَ ما بَيْنَ مَحْزُونٍ ومَعْمُودِ

يَبْكُونَ فَقْدَ آمرِئٍ لِلخَيْرِ مُنْتَسِبٍ (٨) * بالبِشْرِ مُنْتَقِبٍ فى النّاسِ مَحْمُودِ

(بَنِي أَباظَةَ) لا زالتْ دِيارُكُمُ (٩) * أُفْقَ البُدُورِ وغاباً للصَّنادِيدِ

---

(١) ينشده : يطلبه . والمنون : الموت . (٢) «تنافس فيك الشهب» الخ ، أى تفاخرها بدفنك فيها . والشهب : النجوم . (٣) الهام : الرءوس ، الواحدة هامة .

(٤) درجوا : لفوا . والمقدود : المقطوع . (٥) يقول : إن حوادث الأيام قد أكبرت همة الفقيد وأعظمت خطره فلا تحل به رهبة منه ، وما كان هو يكبرها ولا يحسب لها حسابا لصغرها عن همته . (٦) يريد بالمآقى : العيون . والخرّد : جمع خريدة ، وهى البكر التى لم تمس . والخود بضم الخاء جمع خود بفتحها ، وهى الشابة الحسنة . (٧) المعمود : من أصيب فى عمود قلبه ، أى صميمه . (٨) المنتقب : لابس النقاب ، وهو البرقع ؛ شبه به ما يبدو على الوجه من بشاشة واستبشار . (٩) بنو أباظة : أسرة معروفة ينتهى نسبها إلى بنى العائذ ، بطن من طيئ (وكفر العائذ بإقليم الشرقية معروف) وقد حضرت هذه الأسرة من العراق الى مصر مع الشيخ محمد أبى مسلم ، وذلك بعد سقوط بغداد فى يد (هولاكو) ملك التتار أيام الخليفة المستعصم ، ولقبت هذه الأسرة بأباظه لأن أمهم كانت من قبيلة شركسية يقال لها : أباظه ، فنسبوا إليها .

لا قَــدَّرَ اللهُ بعـــد اليـومِ تَعْـزِيَةً * إلّا هَنـاءً عـلى عِزٍّ وتَخْليـــدِ

وعَظَّمَ اللهُ فى (عُثْمانَ) أجــرَكُمُ * فى رَحْمَــةِ اللهِ أمْسَى خَــيرُ مَغْمودِ

رثاء سليمان أباظه باشا (١)

[قيلت فى ســنة ١٨٩٧ م]

أَيُّهــذَا الـثَّرَى إلامَ التَّمــادِى * بَعْـدَ هٰذا أَأَنْتَ غَرْثانُ صادِى (٢)

أنتَ تَرْوَى مِنْ مَدْمَعٍ كلَّ يومٍ * وتُغَـذَّى مِنْ هٰـذه الأَجْسـادِ

قد جَعَلْتَ الأَنامَ زادَكَ فى الدَّهْـ * ـرِ وقــد آذَنَ الوَرَى بالنَّفـادِ

فالْتَمِسْ بعــدَهُ المَجَــرَّةَ وِرْدًا * وتَزَوَّدْ مِنَ النُّجـومِ بِزَادِ (٣)

لَسْتُ أَدْعُـوكَ بالتُّرابِ ولكنْ * بقُـدُودِ المِـلاحِ والأَجْيـادِ (٤)

بخُدودِ الحِسانِ ، بالأَعْيُنِ النُّجْـ * ـلِ ، بِتِلْكَ القُـلُوبِ والأَكْبادِ (٥)

لَم تَلِدْنا (حَــوّاءُ) إلّا لنَشْــقَى * لَيْتَهـا عاطِلٌ مِنَ الأَوْلادِ

أَسْلَمَتْنـا إلى صُرُوفِ زَمانٍ * ثمّ لَمْ تُوصِهـا بحِفْظِ الوِدادِ (٦)

---

(١) انظر التعريف بسليمان أباظه باشا فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٣٧ من الجزء الأول .

(٢) الغرثان : الجائع . والصادى : الظمآن . يريد مداومة الثرى على مواراة الأجساد وإبلاء الجسوم . (٣) المجرة : نجوم كثيرة ينتشر ضوءها فى السماء فترى كأنها بقعة بيضاء .

(٤) القدود : جمع قدّ ، وهو القامة . والأجياد : جمع جيد ، وهو العنق . يريد بهذا البيت والذى بعده : أن يسمى التراب بقدود الملاح وأجيادها وخدودها وعيونها ... الخ ، لأنها فنيت فيه فصارت منه .

(٥) النجل : الواسعة . (٦) صروف الزمان : نوائبه وتقلباته .

أيها اليمُّ كم بقاعك نفسٍ * فيك أودت من عهد ذى الأوتاد (١)

قد تحالفت والتراب علينا * وتقاسمتما فناء العباد

خبرينا جهين لا تكذبينا * ما الذى يفعل البلى بالجواد؟ (٢)

كيف أمسى وكيف أصبح فيه * ذلك المنعم الكثير الرماد (٣)

رحم الله منه لفظا شهيا * كان أحلى من رد كيد الأعادى

رحم الله منه طرفا تقيا * ويمينا تسيل سيل الغوادى (٤)

رحم الله منه شهما وفيا * كان ملء العيون فى كل نادى (٥)

ألهم الله فيك صبرا جميلا * كل من بات ناطقا بالضاد

بت فى حلة النعيم وبتنا * فى ثياب من الأسى والسهاد (٦)

وسكنت القصور فى بيت خلد * وسكنا عليك بيت الحداد

---

(١) اليم : البحر . و « نفس » (بالجر) على قول بعض النحويين ، والنصب أرجح ، للفصل بين « كم » وتمييزها بالجار والمجرور . وأودت : هلكت . وذو الأوتاد : لقب لفرعون ورد ذكره فى القرآن .

(٢) جهين ، يريد جهينة ، وهى قبيلة من قضاعة . ويشير الشاعر إلى المثل المعروف : «وعند جهينة الخبر اليقين» . يضرب لمن يعرف الأمور على حقيقتها ، وأصله من قول الشاعر :

تسائل عن حصين كل ركب * وعند جهينة الخبر اليقين

والجواد : الكريم .

(٣) فيه ، أى فى « البلى » السابق فى البيت الذى قبله . وكنى "بكثرة الرماد" عن سعة جوده ، وكثرة إطعامه للناس . (٤) الغوادى : السحب تنشأ غدوة ؛ الواحدة غادية .

(٥) ملء العيون ، كناية عن هيبة الناس إياه وإعظامهم له إذا رأوه .

(٦) الأسى : الحزن .

وقال يرثيه أيضا :

لا والأَسَى وتَلَهُّبِ الأَحْشاءِ * ما باتَ بَعْدَكَ مُعْجِبٌ بوَفاءِ (١)

أَنَّى حَلَلْتُ أَرَى عليكَ مآتِمًا * فلِمَنْ أُوَجِّهُ فيكَ حُسْنَ عزائى؟

لِبَنِيكَ ، أم لِذَوِيكَ ، أم للكَوْنِ ، أمْ * للدَّهرِ ، أمْ لجماعةِ الجَوْزاءِ؟ (٢)

أَوْدَى (سُلَيْمانُ) فأَوْدَى بَعْدَه * حُسْنُ الوَفاءِ وبَهْجَةُ العَلْياءِ (٣)

لا تَحْمِلُوه على الرِّقابِ فقد كَفَى * ما حُمِّلَتْ مِنْ مِنَّةٍ وعَطاءِ

وذَرُوا على نَهْرِ المَدامِعِ نَعْشَه * يَسْرِى بِه للرَّوْضَةِ الفَيْحاءِ (٤)

تاللهِ لو عَلِمَتْ بِه أَعْوادُه * مُذْ لامَسَتْه لأَوْرَقَتْ للرّائى (٥)

خُلُقٌ كضَوْءِ البَدْرِ ، أو كالرَّوْضِ ، أو * كالزَّهْرِ ، أو كالخَمْرِ ، أو كالماءِ

وشَمائِلٌ لو مازَجَتْ طَبْعَ الدُّجَى * ما باتَ يَشْكُوه المُحِبُّ النائى (٦)

ومَحامِدٌ نَسَجَتْ له أَكْفانَه * مِنْ عِفَّةٍ ، وسَماحةٍ ، وإِباءِ

ومَناقِبٌ لولا المَهابةُ والتُّقَى * قُلْنا مَناقِبُ صاحِبِ الإسْراءِ (٧)

وعَزائِمٌ كانت تَفُلُّ عَزائِمَ الـ * أَحْداثِ ، والأيّامِ ، والأَعْداءِ (٨)

---

(١) الأسى : الحزن ، وقوله : «ما بات» الخ ، أى لم يبق بعد موتك وفاء يعجب به أحد من الناس .

(٢) الجوزاء : برج فى السماء معروف ، ويريد «بجماعة الجوزاء» : الكواكب التى يتألف منها هذا البرج .

(٣) أودى : هلك .

(٤) الفيحاء : الواسعة ؛ ويريد بها منزله فى الجنة .

(٥) أعواده : يريد أعواد نعشه .

(٦) النائى : البعيد . يريد أنه لو كان لليل أخلاقه وسجاياه ما شكا العاشق طوله عليه وسهده فيه .

(٧) صاحب الإسراء : رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٨) تفل : تثلم . والأحداث : حوادث الزمن وشدائده .

عَطَّلْتَ فَنَّ الشِّعْرِ بَعْدَكَ وَانطَوَى * أَجَلُ القَرِيضِ وَمَوْسِمُ الشُّعَرَاءِ
واللؤلؤ استَعْصَى علينا نَظْمُه * بِسُمُوطِ مَدْحٍ أو سُمُوطِ هَناء (١)
إلّا على طَرْفٍ بَكاكَ وشاعِرٍ * أَحْيا عليكَ مَراثِيَ الخَنْساء (٢)
شَوَّقْتَنا للتُّرْبِ بَعْدَكَ واشتَهَى * فيهِ الإقامَةَ واحِدُ العَذْراء (٣)
ثَبِّتْ فُؤادَكَ يا قَليلَ تَصَبُّرِى * وَٱشرحْ (لآلِ أَبَاظَةٍ) بُرَحائِى (٤)
فى جَنّةِ الفِرْدَوْسِ باتَ عَزِيزُهُمْ * ضَيْفًا بساحَةِ أكرَمِ الكُرَماء

رثاء الملكة ڤكتوريا (٥)

[نشرت فى ٢٤ يناير سنة ١٩٠١ م]

أُعَزِّى القَوْمَ لَوْ سَمِعُوا عَزائِى * وأُعْلِنُ فى مَلِيكَتِهِمْ رِثائِى
وأَدْعُو الإنْجِليزَ إلى الرِّضاءِ * بِحُكْمِ اللهِ جَبّارِ السَّماءِ
فكُلُّ العالَمِين إلى فَناءِ

(١) السموط : جمع سمط (بالكسر) ، وهو خيط النظم مادام فيه الحب ، فاذا لم يكن فيه فهو سلك .

(٢) الخنساء ، هى تماضر بنت عمرو بن الحارث ، وتكنى أم عمرو . والخنساء : لقب غلب عليها ؛ وأكثر شعرها فى رثاء أخويها معاوية وصخر ، فضرب بها المثل فى الحزن . وقد شبت فى الجاهلية ، وأدركت الإسلام وأسلمت . وتوفيت فى أول خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه سنة ٢٤ هـ .

(٣) واحد العذراء : عيسى المسيح عليه السلام ، إشارة الى أنه فى السماء ، فهو يود أن يستبدل بها الأرض لشرفها بدفن الفقيد فيها .

(٤) البرحاء : شدة الحزن والعناء .

(٥) الملكة ڤكتوريا ، هى الكسندرينا بنت ادوارد ، وهو الدوق كنيت ، رابع أبناء الملك جورج الثالث . ولدت سنة ١٨١٩ م ، وتولت عرش انجلترا فى سنة ١٨٣٧ م ، وتوفيت سنة ١٩٠١ م .

أَشَمْسُ ٱلْمُلْكِ أَمْ شَمْسُ النَّهـارِ * هَوَتْ أَمْ تلك مالِكَةُ البِحارِ

فطَرْفُ الغَرْبِ بالعَبَراتِ جَارِى * وعَيْنُ الـيَمِّ(١) تَنْظُر للبُخار

بنَظْـرَةِ واجِدٍ قَـلِقِ الرَّجاءِ

أَمالِكَةَ البِحارِ ولا أُبالِى * إذا قالوا تَعَـالَى فى ٱلْمَقـالِ

فمِثْل عُلاكِ لَمْ أَرَ فى ٱلْمَعـالى * ولا تاجًا كتاجِكِ فى ٱلجَـلالِ

ولا قَوْمًا كقَوْمِكِ فى الدَّهاءِ

مَلَأْتِ الأَرْضَ أَعْلامًا وجُنْدَا * وشِدْتِ لأُمَّةِ (السَّكْسُونِ)(٢) مَجْدَا

وكنتِ لِفَأْلِها يُمْنًا وسَـعْدَا * تَرَى فى نُورِ وَجْهِكِ إنْ تَبَدَّى(٣)

سُعُودَ البَـدْرِ فى بُرْجِ ٱلْهَناءِ

وكنتِ إذا عَمَدْتِ لأَخْذِ ثارِ * أَسَلْتِ البَرَّ بالأُسْـدِ الضَّوارِى(٤)

وسَيَّرْتِ المَدائِنَ فى البِحارِ(٥) * وأَمْطَرْتِ العَدُوَّ شُـواظَ نارِ

وذَرَّيْتِ المَعاقِلَ(٦) فى ٱلهَـواءِ

---

(١) اليم : البحر . والواجد : الحزين . والمعنى أن البحر ينظر إلى البواخر الإنجليزية نظرة قلق على مستقبلها بعد موت الملكة فكتوريا . (٢) السكسون : صنف من الغزاة الذين وفدوا إلى بريطانيا مع الإنجل من الشرق ، من الدنمارك وشمالى المـانيا الغربى ، بعـد جلاء الرومان عنها سـنة ٤١٠ م . وقد انتشروا فى الجزيرة بالتدريج ، وباد أمامهم السكان الأصليون ، ومن بقى فرّ إلى جبـال الغالة أو الى غيرها من الجهات القاصية ؛ وكان الإنجل والسكسون يعيشون أول الأمر فى ولايات مسـتقلة منفصل بعضها عن بعض ، ثم ما لبثوا أن اتحدت كلمتهم ، وٱعترفوا بالزعامة لأعظم ولاية من بين تلك الولايات ؛ وهى ولاية وسكس ، وتلقب ولاتها فى أوائل القرن التاسع بالملوك . (٣) تبدى ، أى بدا وظهر . (٤) «أسلت الخ» أى جعلت البر يسيل بالشجعان كما يسيل المـاء . والضوارى : الجريئة التى تعوّدت الصيد ولازمته . (٥) يريد «بالمدائن» : السفن الكبيرة . وشواظ النار (بالضم وبالكسر) : حرها ولهيبها . (٦) ذريت المعاقل ، أى نسفت الحصون وفرقت أجزاءها فى الهواء .

أَعَزِّى فيكِ تاجَكِ والسَّرِيرَا * أُعَزِّى فيكِ ذا ٱلمَلِكَ الكَبِيرَا (١)

أعَزِّى فِيكِ ذاالأَسَدَ ٱلهَصُورا * على العَلَمِ الّذى مَلَكَ الدُّهورَا (٢)

وَظَلَّلَ تَحْتَــه أَهْــلَ الوَلاءِ

أُعَزِّى فيــكِ أَبْطالَ الــنِّزالِ * ومَنْ قاسُوا الشَّدائِدَ فى ٱلقِتالِ (٣)

وأَلْقَوْا بالعَــدُوِّ إلى الوَبالِ * ولَمْ يَمْنَعْهُمُ فَــوقَ الجِبَــالِ (٤)

لَهِيبُ ٱلصَّيْفِ أو قُرُّ الشِّتاءِ (٥)

بيتان كتبا على قبر السيد عبدالرحمن الكواكبي (٦)

فى ســـنة ١٩٠٢م

هُنَا رَجُلُ الدُّنْيَا ، هُنَا مَهْبِطُ ٱلتُّقَى * هُنَا خَيْرُ مَظْلُومٍ ، هُنَا خَيْرُ كاتِبِ

قِفُوا وٱقْرَءُوا أُمَّ الكِتابِ وسَلِّمُوا * عليه فهٰذا القَبْرُ قَبْرُ (الكَوا كِبِى) (٧)

---

(١) يريد « بالملك الكبير » ادوارد السابع ابن الملكة فكتوريا .

(٢) الأسد : رمز متخذ للدولة الإنجليزية . والهصور : الكاسر .

(٣) الصحيح « قاسوا » ، بفتح السين وسكون الواو ، وضم السين فى هذا البيت لضرورة الوزن .

(٤) الوبال : الهلاك .

(٥) القر (بضم القاف) : البرد . يريد : أن الحر والبرد لم يمنعاهم عن تسلق الجبال .

(٦) ولد السيد عبد الرحمن الكواكبي بحلب سنة ١٢٦٥ هـ ، وتعلم على أساتذة عصره علوم الأدب والشريعة ، وطالع من الكتب ما يتعلق منها بعلم الاجتماع من تاريخ وفلسفة ، ثم درس بعض العلوم الطبيعية والرياضية ، فنال من ذلك حظا وافرا ، وساح فى بلاد العرب وشرق افريقية وبعض بلاد الهند ، وألف كتابيه المشهورين (أم القرى) و (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) ، وتوفى فى سنة ١٩٠٢ م

(٧) أم الكتاب : الفاتحة .

رثاء محمود سامى البارودى باشا (١)

[نشرت فى ٢٢ يناير سنة ١٩٠٥]

رُدُّوا عَلَيَّ بَيانِي بَعْدَ (محمودِ) (٢) * إِنِّي عَيِيتُ وأَعْيا الشِّعْرُ مجهودِي

ما لِلبلاغةِ غَضْبَى لا تُطاوِعُنِي * وما لِحَبْلِ القَوافِي غيرَ مَمْدودِ؟

ظَنَّتْ سُكُوتِيَ صَفْحًا عَنْ مَوَدَّتِه (٣) * فأَسْلَمَتْنِي الى هَمٍّ وتَسْهِيدِ

ولو دَرَتْ أَنَّ هذا الخَطْبَ أَفْحَمَنِي (٤) * لأَطْلَقَتْ مِنْ لِسانِي كلَّ مَعْقودِ

لَبَّيْكَ يا مُؤْنِسَ المَوْتَى ومُوحِشَنا * يا فارِسَ الشِّعْرِ والهَيْجاءِ (٥) والجُودِ

مُلْكُ القُلوبِ ـ وأنتَ المُسْتَقِلُّ به ـ * أَبْقَى على الدَّهْرِ مِنْ مُلْكِ (ابنِ داوُدِ) (٦)

لقد نَزَحْتَ عن الدُّنيا كما نَزَحَتْ (٧) * عنها لَيالِيكَ مِنْ بِيضٍ ومِنْ سُودِ

أَغْمَضْتَ عَيْنَيْكَ عنها وازْدَرَيْتَ بها (٨) * قَبْلَ المَماتِ ولَمْ تَحْفِلْ بمَوْجُودِ

لَبَّيْكَ ياشاعِرًا ضَنَّ الزَّمانُ به * على النُّهَى (٩) والقَوافِي والأَناشِيدِ

---

(١) انظر التعريف بالبارودى فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٧ ج ١ (٢) ردوا على بيانى، أى أعيدوه الى بعد أن عزب عنى من هول المصاب . وعيى يعيا (من باب رضى) : كل وتعب .

(٣) أى ظنت البلاغة سكوتى عن رثاء الفقيد إعراضا عن مودّته وتناسيا لصحبته فتركتنى أعذب بالهم والسهر . (٤) أفحمه : أسكته وعقد لسانه . (٥) الهيجاء : الحرب .

(٦) يريد «بابن داود» : نبى الله سليمان عليه السلام، و به يضرب المثل فى سعة الملك .

(٧) نزحت : بعدت . والبيض والسود : إشارة إلى أيام نعم فيها البارودى بالعز والجاه، وأخرى شقى فيها بالأسر وكف البصر ومصادرة المال والنفى . (٨) يشير بقوله : «أغمضت عينيك» إلى أن الفقيد كان قد كف بصره فى آخر حياته فعاش ضريرا . وازدريت بها : احتقرتها واستخففت بها . ولم تحفل : لم تبال . (٩) النهى : العقول، الواحدة نهية (بالضم) .

تَجْرِى السَّلاسَةُ فى أثناءِ مَنْطِقِه * تحتَ الفَصاحَةِ جَرْىَ الماءِ فى العُود (١)

فى كلِّ بَيْتٍ له ماءٌ يَرِفُّ بِه * يَغارُ مِنْ ذِكْرِه ماءُ العَناقِيد (٢)

لو حَنَّطُوكَ بشِعْرٍ أنت قائِلُه * غَنِيتَ عن نَفَحاتِ المِسْكِ والعُود

حَلَّيْتَه بعد أنْ هَذَّبْتَه بِسَنا * عِقْدٍ بمَدْحِ رسولِ اللهِ مَنْضُود (٣)

كَفاكَ زادًا وزَيْنًا أن تَسِيرَ إلى * يومِ الحِسابِ وذاكَ العِقْدُ فى الجِيد (٤)

لَبَّيْكَ يا خَيرَ مَنْ هَزَّ اليَراعَ، ومَنْ * هَزَّ الحُسامَ، ومَنْ لَبَّى، ومَنْ نُودِى

إنْ هُدَّ رُكْنُكَ مَنْكُوبًا فقد رَفَعَتْ * لكَ الفَضِيلةُ رُكْنًا غيرَ مَهْدُود (٥)

إنّ المَناصِبَ فى عَزْلٍ وتَوْلِيَةٍ * غيرُ المَواهِبِ فى ذِكْرٍ وتَخْلِيد

أَكْرِمْ بها زَلَّةً فى العُمْرِ واحِدَةً * إنْ صَحَّ أنَّكَ فيها غيرُ محمُود (٦)

سَلُوا الحِجا هَلْ قَضَتْ أَرْبابُه وَطَرًا * دُونَ المَقادِيرِ أو فازَتْ بمَقْصُود (٧)

---

(١) السلاسة : الرقة والانسجام .

(٢) يقال : رف النبات يرف رفيفا ، إذا كثر ماؤه من النضرة والغضاضة واهتز وتمايل . وقد شبه به أبيات البارودى فى حسن رونقها وطلاوتها . وماء العناقيد : الخمر . (٣) السنا : النور . والمنضود : المنظوم . ويشير بهذا إلى قصيدة البارودى التى عارض بها قصيدة البوصيرى فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم ، وسماها : (كشف الغمة فى مدح خير الأمة) وأوّلها :

ياسارى البرق يمم دارة العلم * واحد الغمام إلى حى بذى سلم

(٤) الجيد : العنق . (٥) يشير إلى ما نكب به البارودى فى حياته من عزله من مناصب الحكومة ، ونفيه ، وغير ذلك .

(٦) يريد «بالزلة» اشتراك الفقيد فى الثورة العرابية .

(٧) الحجا : العقل . والوطر : الحاجة . أى إن العقول وإن رجح رأيها لا تملك مع المقادير شيئا .

كنتَ الوزيرَ وكنتَ المُسْتَعانَ به (1) * وكان هَمُّكَ هَمَّ القادَةِ الصِّيدِ

كم وَقْفَةٍ لكَ والأَبْطالُ طائرَةٌ (2) * والحَرْبُ تَضْرِبُ صِنْديداً بصِنْديدِ

تَقُولُ للنفسِ إنْ جاشَتْ اليكَ بها (3) * هٰذا مَجالُكِ سُودِى فيه أو بِيدِى

نَسَخْتَ (يومَ كَرِيدٍ) كلَّ ما نَقَلُوا (4) * فى يومِ (ذى قارَ) عن (هانى بنِ مَسْعُودِ)

نَظَمْتَ أَعْداكَ فى سِلْكِ الفَناءِ به (5) * على رَوِىٍّ ولٰكنْ غيرُ مَعْهودِ

كأنَّهمْ كَلِمٌ والمَوْتُ قافِيَةٌ (6) * يَرْمِى به عَرَبِىٌّ غيرُ رِعْديدِ

أَوْدَى (المَعَرِّى) تَقِىُّ الشِّعْرِ مُؤْمِنُه (7) * فكادَ صَرْحُ المَعالى بعدَه يُودِى

---

(1) الصيد : جمع أصيد، وهو الرافع رأسه كبرا وزهوا . (2) طائرة : أى مولية فى سرعة من الخوف والفزع . والصنديد : البطل الشجاع . (3) جاشت النفس : اضطربت من الخوف . وبها ، أى بالحرب . وباد يبيد : هلك . (4) فى سنة ١٨٦٦ م انتقض أهل جزيرة كريد على الدولة العلية : فأرسلت مصر جيشا لمساعدتها على تأديبهم . وكان البارودى « رئيس ياورحرب » وقد أبدى هناك من الشجاعة والإقدام والدهاء والحزم ما أطلق الألسنة بمدحه والإعجاب به ، وقد أبلى الجيش المصرى فى إخماد تلك الثورة البلاء الحسن حتى أخمدها ، وكان قائد تلك الحملة المصرية شاهين باشا ، وعدتها خمسة آلاف مقاتل . ويوم ذى قار : يوم كان بين بكر بن وائل والفرس ، وهو من أعظم أيام العرب وأبلغها أثرا فى انتصاف العرب من العجم . وذو قار ، هو الموضع الذى وقعت فيه هذه الوقعة ، وهو بين الكوفة وواسط . وقد ذكر الشاعر هنا هانئ بن مسعود ، والمعروف فى هذه الحرب هو هانئ بن قبيصة ابن هانئ بن مسعود الشيبانى ، وكان من قواد العرب الذين اشتهروا فى هذه الموقعة ، وهو الذى أودع عنده النعمان بن المنذر ودائعه ؛ وبسبب ذلك وقعت هذه الحرب . (5) به ، أى بيوم كريد . والروى : الحرف الذى تبنى عليه القصيدة . جعل وقوع القتلى قتيلا بجانب قتيل كأبيات القصيدة يضم فيها البيت الى مثله على روى واحد ، ولكن الفقيد قد نظم أعداءه فى سلك الموت على روى مبتدع لم يعهده الناس من قبل . (6) الرعديد : الجبان . وشبه الموت الذى عم الأعداء بالقافية ، لاتحادها فى جميع أبيات القصيدة . (7) أودى : هلك . والمعرى ، هو أبو العلاء المعرى الشاعر الفيلسوف المعروف ، شبه به البارودى فى شعره المشتمل على الموعظة والحكمة . والصرح : كل بناء عال . ويودى ، أى يتهدم وينقض .

وأَوْحَشَ الشَّرْقُ مِنْ فَضْلٍ ومِنْ أَدَبٍ * وأَقْفَرَ الرَّوْضُ مِنْ شَدْوٍ وتَغْرِيد

وأَصْبَحَ الشِّعْرُ والأَسْماعُ تَنْبِذُه * كأنَّه دَسَمٌ فى جَوْفِ مَمْعُود (١)

أَلْوَى بِهِ الضَّعْفُ واسْتَرْخَتْ أَعِنَّتُهُ * فراحَ يَعْثُرُ فى حَشْوٍ وتَعْقِيد (٢)

وأَنْكَرَتْ نَسماتُ الشَّوْقِ مَرْبَعَه * تُثِيرُها خَطَراتُ الخُرَّدِ الخُود (٣)

لو أَنْصَفُوا أَوْدَعوه جَوْفَ لُؤْلُؤَةٍ * مِنْ كَنْزِ حِكْمَتِه لا جَوْفَ أُخْدُود (٤)

وكَفَّنُوه بِدَرْجٍ مِنْ صَحائِفِه * أو واضِحٍ مِنْ قَمِيصِ الصُّبْحِ مَقْدُود (٥)

وأَنْزَلُوه بأُفْقٍ مِنْ مَطالِعِه * فوقَ الكَواكِبِ لا تَحْتَ الجَلامِيد (٦)

وناشَدُوا الشَّمْسَ أَنْ تَنْعَى مَحاسِنَه * لِلشَّرْقِ والغَرْبِ والأَمْصارِ والبِيد (٧)

أَقُولُ لِلمَلإِ الغادِى بِمَوْكِبِه * والنَّاسُ ما بَيْنَ مَكْبُودٍ ومَفْؤُود (٨)

غُضُّوا العُيونَ فإنَّ الرُّوحَ يَصْحَبُكُمْ * مَعَ المَلائِكِ تَكْرِيمًا (لِمَحْمُود) (٩)

---

(١) الممعود : الذى اعتلت معدته فلا يستمرئ ما يأكله . (٢) ألوى به : ذهب به . والأعنة : جمع عنان (بالكسر) ، وهو سير اللجام . وكنى باسترخاء أعنة الشعر عن ضعف بنائه ، وركاكة ألفاظه ، واضطراب نظمه . والحشو : فضول الكلام الزائدة عن الغرض .

(٣) مربعه : منزله . والأصل فى المربع : المنزل يقام فيه فى وقت الربيع . والخرد : جمع خريدة ، وهى العذراء . والخود (بالضم) : جمع خود (بالفتح) ، وهى الشابة الحسنة الخلقة . والمراد أن الغزل والنسيب فى الشعر قد ذهبا بذهاب البارودى .

(٤) الأخدود : الحفرة المستطيلة فى الأرض ، يريد بها القبر . (٥) الدرج (بالفتح) : ما يكتب فيه . والمقدود : المشقوق . (٦) الجلاميد : الصخور ، الواحد جلمود .

(٧) البيد : الفلوات ، الواحدة بيداء . (٨) الملأ : الجماعة . والمكبود : المصاب فى كبده . والمفؤود : المصاب فى فؤاده . (٩) يريد «بالروح» : الروح الأمين ، وهو جبريل عليه السلام .

(١)
يا وَيْحَ للقَــبْرِ قــد أَخْفَى سَنَا قَمَــرٍ * مُقَسَّمِ الوَجْـــهِ مَحْسُــودِ التَّجالِيـدِ
(٢)
يا وَيْحَــهُ حَلّ فيـــه ذُو قَرِيحَتُــه * لَهَـا بِخِـدْرِ المَعَـانِى أَلْفُ مَــوْلُود
(٣)
فــرائدٌ خُرَّدٌ لـــو شـاءَ أَوْدَعَهـا * مُحْصِى الجَـدِيدِ سِجِـلّاتِ المَوَالِيـد
(٤)
كأنّهـا وهْىَ بالألفـاظِ كاسِـــيَةٌ * وحُسْـنُها بينَ مَشْهُودٍ ومَحْسُــود
(٥)
لآلِئٌ خَلْفَ بَـلُّورٍ قــد اتَّســقَتْ * فى بَيْتِ دُهْقَانَ تَسْتَهْوِى نُهَى الغِيد
(٦)
(مَحْمُــودُ) إنّى لأَسْـتَحْيِيكَ فى كَلِمِى * حَيًّا ومَيْتًا وإنْ أَبْدَعْتُ تَقْصِـيدِى
(٧)
فاعذِرْ قَرِيضِىَ واعْذِرْ فيـــكَ قائلَه * كِلاهُمـا بَيْنَ مَضْـعُوفٍ ومَحْـدُود

---

(١) سنا القمر: ضوءه . ومقسم الوجه : جميل كله ، كأن كل قسم منه أخذ قسطا من الجمال . وتجاليد الإنسان : جسمه وبدنه .

(٢) ذو (هنا) : بمعنى الذى ، فى لغة طيئ . والخدر (بالكسر) : البيت . ويريد بقوله : « ألف مولود » : قصائده .

(٣) الفرائد : الجواهر النفيسة ، لأنها مفردة فى نوعها . والخرد : اللآلئ التى لم تثقب ، الواحدة خريدة ؛ شبه قصائده بالفرائد الخرد فى نفاستها وصيانتها عن الابتذال . ومحصى الجديد : من يقيد المعانى الجديدة التى يبتكرها الشعراء . ويريد بقوله : «لو شاء» الخ : أن له معانى مبتدعة جديرة أن تسجل باسمه كما تسجل المواليد .

(٤) كاسية ، أى حالية متجملة كما يتجمل الإنسان بكسائه .

(٥) الدهقان (بالكسر و بضم) : التاجر ؛ فارسى معرّب . والغيد : جمع غيداء ، وهى المرأة المتثنية لينا . وقد شبه فى هذا البيت المعانى فى شعر الفقيد باللآلئ ، والألفاظ بالبلور فى أنها تشف عما تضمنت من المعانى كما يشف البلور عما وراءه .

(٦) قصد الشاعر (بالتضعيف) : واصل عمل القصائد وأطال .

(٧) المضعوف : الضعيف . والمحدود : المحروم والممنوع من الخير . والمراد أنه حرم الإجادة فى رثاء الفقيد .

رثاء الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (١)

[نشرت فى ٢٢ أغسطس سنة ١٩٠٥ م]

سَلامٌ على الإسْلامِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ * سَلامٌ على أيّامِه النَّضِرات (٢)

على الدِّينِ والدُّنْيا، على العِلْمِ والحِجا * على البِرِّ والتَّقْوَى، على الحَسَنات

لقد كنتُ أَخْشَى عادِيَ المَوْتِ قَبْلَه * فأَصْبَحْتُ أَخْشَى أنْ تَطُولَ حياتي

فوالَهفِي — والقَبْرُ بيْنِي وبَيْنَه — * على نَظْرَةٍ مِنْ تِلْكُمُ النَّظَرات (٣)

وقَفْتُ عليه حاسِرَ الرَّأْسِ خاشِعاً * كأنِّى حِيالَ القَبْرِ فى عَرَفات (٤)

لقد جَهِلُوا قَدْرَ الإمامِ فأَوْدَعُوا * تَجالِيدَه فى مُوحِشٍ بفَلاة (٥)

ولو ضَرَحُوا بالمَسْجِدَيْنِ لأَنْزَلُوا * بخَيْرِ بِقاعِ الأرضِ خَيْرَ رُفات (٦)

تَبارَكْتَ هذا الدِّينُ دِينُ مُحَمَّدٍ * أَيُتْرَكُ فى الدُّنيا بغَيْرِ حُماة ؟

تَبارَكْتَ هذا عالِمُ الشَّرقِ قد قَضَى * ولانَتْ قَناةُ الدِّينِ للغَمَزات (٧)

---

(١) انظر التعريف بالشيخ محمد عبده فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٤ من الجزء الأول .

(٢) النضرات : ذوات الحسن والرونق . (٣) والهفى : كلمة يتحسر بها على مافات .

(٤) حاسر الرأس : عاريه . وحيال القبر : تلقاءه وأمامه . (٥) تجاليد الإنسان : جسمه وبدنه . والفلاة : الصحراء الواسعة . (٦) ضرح للميت : حفر له ضريحا . و يريد «بالمسجدين» : المسجد الحرام بمكة ، وبيت المقدس . ورفات الميت : مابلى وتكسر من عظامه . يقول : لو أنهم حفروا بأحد المسجدين ضريحا لهذا الجسم لكان حريا بذلك ؛ لأنه خير جسم يدفن فى خير بقعة من الأرض .

(٧) قضى : مات . والقناة : الرمح . ولين القناة : كناية عن الضعف والوهن . ويريد «بالغمزات» : المطاعن الموجهة إلى الإسلام من أعدائه .

زَرَعْتَ لنـا زَرْعًا فأَخْرَجَ شَطْأَهُ (١) * وبِنْتَ ولمّـا نَجْتَنِ الثَّمراتِ

فَـواهًا له أَلّا يُصيبَ مُوَفَّقـا (٢) * يُشَـارِفُهُ والأَرْضُ غـيرُ مَواتِ

مَدَدْنا إلى الأَعْلامِ بَعْدَكَ راحَنـا (٣) * فرُدَّتْ إلى أَعْطافِنـا صَفِراتِ

وجالَت بنـا تَبْغِى سِواكَ عُيونُنـا (٤) * فعُدْنَ وآثَرْنَ العَمَى شَرِقاتِ

وآذَوْكَ فى ذاتِ الإِلٰهِ وأَنْكَرُوا (٥) * مَكانَكَ حتّى سَـوَّدُوا الصَّفَحاتِ

رأَيتَ الأَذَى فى جانِبِ اللهِ لَذَّةً * ورُحْتَ ولَمْ تَهْمُمْ له بشَـكاةِ

لقد كنتَ فِيهِمْ كَوكَبًا فى غَياهِبٍ (٦) * ومَعْـرِفَةً فى أَنْفُسٍ نَـكِراتِ

أَبَنْتَ لنـا التَّنْزِيلَ حُكْمًا وحِكْمَةً (٧) * وفَرَّقْتَ بين النُّـورِ والظُّلُمَـاتِ

ووَفَّقْتَ بين الدِّينِ والعِـلْمِ والحِجا * فأَطْلَعْتَ نُوراً مِن ثَلاثِ جِهاتِ

وَقَفْتَ (لِهانُوتُو) و(رِينانَ) وَقْفَةً (٨) * أَمَدَّكَ فِيهـا الرُّوحُ بالنَّفَحاتِ

---

(١) شطء الزرع : فراخه أو سنبله . وكنى بالزرع : عما قام به الفقيد من ضروب الإصلاح . وبنت : بعدت . (٢) الضمير فى «له» يرجع إلى الزرع . ويشارفه : يشرف عليه . والأرض الموات : الجدبة التى لا تنبت . يخشى ألا يجد الزرع من يتعهده بعد الفقيد مع خصوبة الأرض وقبولها لما يغرس فيها . (٣) يريد «بالأعلام» : المشهورين من العلماء . والراح : جمع راحة ، وهى الكف . والأعطاف : الخواصر . وصفرات ، أى خاليات . (٤) شرقات ، أى محمرات من البكاء . (٥) يشير بهذا البيت وما بعده إلى المطاعن التى كان يوجهها أعداء الفقيد اليه ، وينشرونها فى بعض الصحف تشهيرا به ، وتحقيرا من شأنه . (٦) الغياهب : الظلمات . (٧) يشير بهذا البيت الى الدروس التى كان يلقيها الأستاذ الإمام فى تفسير القرآن . (٨) هانوتو : هو جبرائيل هانوتو السياسى المؤرخ الفرنسى . ولد فى ١٩ نوفبر سنة ١٨٥٣ م ، وقد كتب مقالات فى الطعن على الاسلام . ورينان ، هو أرنست رينان الفرنسى ، ولد فى ٢٧ فبراير سنة ١٨٢٣ م ، وقد كان قسا كاثوليكيا ؛ وهو مشهور بمطاعنه فى الدين الإسلامى كصاحبه السابق ، وقد ردّ الفقيد على مطاعنهما . وتوفى رينان فى سنة ١٨٩٢ م . والروح : جبريل .

(١)
وخِفْتَ مَقامَ اللهِ فى كلِّ مَوْقِفٍ * نخافَكَ أَهْلُ الشَّكِّ والنَّزَغاتِ
(٢)
وكَمْ لكَ فى إغْفاءَةِ الفَجْرِ يَقْظةٍ * نَفَضْتَ عليها لَذَّةَ الهَجَعاتِ
(٣)
ووَلَّيْتَ شَطْرَ البَيْتِ وَجْهَكَ خالِيا * تُناجِى إلٰهَ البَيْتِ فى الخَلَواتِ
(٤)
وكم لَيْلةٍ عانَدْتَ فى جَوْفِها الكَرَى * ونَبَّهْتَ فيها صادِقَ العَزَماتِ
(٥)
وأَرْصَدْتَ للباغِى على دِينِ أَحْمَدٍ * شَباةَ يَراعٍ ساحِرِ النَّفَثاتِ
(٦)
إذا مَسَّ خَدَّ الطِّرْسِ فاضَ جَبِينُه * بأَسْطارِ نُورٍ باهِرِ اللَّمَعاتِ
(٧)
كأنَّ قَرارَ الكَهْرَباءِ بِشَقِّه * يُرِيكَ سَناهُ أَيْسَرُ اللَّمَساتِ

فيا سَنَةً مَرَّتْ بأَعْوادِ نَعْشِه * لَأَنْتِ علينا أَشْأَمُ السَّنَواتِ
(٨)
حَطَمْتِ لنا سَيْفًا، وعَطَّلْتِ مِنْبَراً * وأَذْوَيْتِ رَوْضًا ناضِرَ الزَّهَراتِ
(٩)
وأَطْفَأْتِ نِبْراسًا وأَشْعَلْتِ أَنْفُسًا * على جَمَراتِ الحُزْنِ مُنْطَوِياتِ

---

(١) النزغات : الوساوس .

(٢) الإغفاءة : النومة . « ونفضت عليها » الخ، أى أنه خلع على اليقظة لذة الهجعة فصار يتلذذ من اليقظة تلذذ الناس بالهجعة ، أى النوم .

(٣) البيت : الكعبة .

(٤) الكرى : النوم . وصادق العزمات ، من إضافة الصفة الى الموصوف ، أى العزمة الصادقة .

(٥) أرصدت : أعددت وهيأت . واليراع : القلم . وشباته : سنه . ونفثات القلم : ما يفيض به من كلمات تشبيها لها بما ينفثه الساحر فى العقد .

(٦) الطرس (بالكسر) : الصحيفة التى يكتب فيها .

(٧) سناه : ضوءه ونوره . يقول : كأن الكهرباء مستقرة فى شق هذا القلم ، فمجرد اللمس يظهر نوره .

(٨) حطمت : كسرت . وأذويت : أذبلت .

(٩) النبراس : المصباح .

رأى فى ليـاليك المنجـم ما رأى (١) * فأنـذرنا بالـويل والعـثرات

ونبـأه عـلم النجـوم بحـادث * تبيت لـه الأبراج مضطربات

رمى السرطان الليث والليث خادر (٢) * ورب ضعيف نافـذ الرميـات

فأودى به ختلا فمـال إلى الثرى (٣) * ومالت له الأجرام منحـرفات

وشاعت تعازى الشهب بالنعى بينها * عن النير الهـاوى إلى الفـلوات

مشى نعشـه يختـال عجبـا بربه (٤) * ويخطـر بين اللمس والقبـلات

تكاد الدموع الجـاريات تقـله (٥) * وتدفعـه الأنفـاس مسـتعرات

بكى الشرق فارتجت له الأرض رجة * وضاقت عيون الكون بالعبرات

ففى الهند محزون وفى الصين جازع * وفى (مصر) باك دائم الحسرات

وفى الشام مفجوع، وفى الفرس نادب * وفى تونس ما شئت من زفرات

بكى عالم الإسـلام عالم عصـره (٦) * سراج الدياجى هـادم الشـبهات

---

(١) يريد « بالمنجم » : أحد المنجمين ، وكان قـد تنبأ بوفاة الأستاذ الإمام فى السنة التى توفى فيها ، وكتب ذلك فى تقويمه السنوى .

(٢) رمى السرطان ... الخ ، اشارة الى أن المرحوم الإمام مات بالسرطان ، وهو هـذا الداء المعروف . والليث خادر ، أى والأسـد فى أجمه . ويطلق السرطان أيضـا على برج فى السماء يقابله برج الأسـد الذى أطلق الشاعر عليـه لفظ الليث . واستعمل الشطر الأول فى المعنيين ، كما يدل عليـه سياق الكلام فى الأبيات التالية .

(٣) أودى به : ذهب به . والختل : الخداع . والأجرام : الأفلاك .

(٤) ربه : صاحبه .

(٥) تقله : تحمله . ومستعرات : مشتعلات من الحزن .

(٦) الدياجى : الظلمات .

مَلاذَ عَيايِلٍ ثِمالَ أَرامِلٍ (١) * غِياثَ ذَوِي عُدْمٍ إمامَ هُداةِ

فلا تَنْصِبوا للناس تِمثالَ (عَبْدِه) * وإنْ كانَ ذِكْرى حِكْمَةٍ وثَباتِ

فإنِّي لَأَخْشَى أنْ يَضِلُّوا فيُومِئُوا (٢) * الى نُورِ هذا الوَجْهِ بالسَّجَداتِ

فياوَيْحَ للشُّورَى اذا جَدَّ جِدُّها (٣) * وطاشَتْ بها الآراءُ مُشْتَجِراتِ

ويا وَيْحَ لِلفُتْيا اذا قِيلَ مَنْ لَها؟ * ويا وَيْحَ للخَيْراتِ والصَّدَقاتِ

بَكَيْنا على فَرْدٍ وإنَّ بُكاءَنا * على أنفُسٍ لِلّهِ مُنْقَطِعاتِ

تَعَهَّدَها فَضْلُ الإمامِ وَحاطَها (٤) * بإحْسانِه والدَّهرُ غيرُ مُواتِي

فيا مَنْزِلًا فى (عَيْنِ شَمْسٍ) أَظَلَّنِي (٥) * وأَرْغَمَ حُسَّادِي وغَمَّ عُداتِي

دَعائِمُه التَّقْوَى وآساسُه الهُدَى (٦) * وفيه الأَيادِي مَوْضِعُ اللَّبِناتِ

عليكَ سَلامُ اللهِ، مالَكَ مُوحِشًا (٧) * عَبُوسَ المَغانِي مُقْفِرَ العَرَصاتِ

---

(١) المَلاذ (بالفتح) : الملجأ . وعيايل : جمع عيل (بتشديد الياء) . وعيل الرجل : من يتكفل بهم ويمونهم ويقوم عليهم . وثمال الأرامل : من يقوم بأمرهن ويعينهن . والغياث : المغيث والمعين . والعدم : الفقر . (٢) يومئوا : يشيروا . وقد رد الشاعر بهذا البيت على ما اقترحه بعضهم من إقامة تمثال للأستاذ الإمام . (٣) يريد « بالشورى » مجلس شورى القوانين وكان الفقيد عضوا به . وطاشت : انحرفت عن القصد . ومشتجرات : مشتبكات لا يميز فيها الحق من الباطل . (٤) حاطها : صانها وحفظها . والمواتى : الموافق المساعد . (٥) عين شمس : ضاحية من ضواحي القاهرة معروفة ؛ وكان فيها بيت الفقيد . (٦) دعائم البيت : عمده . والأيادى : النعم . واللبنات : ما يضرب من الطين للبناء ؛ الواحدة لبنة .

(٧) الموحش : الخالى الذى ليس به ساكن . ومغانيه : منازله التى كان ينزل بها ساكنوه ؛ الواحد مغنى . وعرصاته : ساحاته .

لقد كنتَ مَقْصُودَ الجوانب آهِلاً (١) * تَطُوف بِكَ الآمالُ مُبْتَهِــلاتِ

مَثَــابةَ أَرْزاقٍ ، ومَهْبِــطَ حِكْمَةٍ (٢) * ومَطْلَعَ أَنْوارٍ ، وكَنْزَ عِظاتِ

رثاء مصطفى كامل باشا (٣)

[نشرت فى ١٢ فبراير سنة ١٩٠٨]

أَيا قَبْرُ هَــذا الضَّــيْفُ آمالُ أُمَّةٍ * فَكَبِّرْ وهَلِّلْ والْقَ ضَيْفَكَ جاثِيــا (٤)

عَزِيزٌ علينا أنْ نَرَى فيكَ (مُصْطَفَى) * شَهِيدَ العُــلا فى زَهْرَةِ العُمْرِ ذاوِيا (٥)

أَيا قَــبْرُ لو أنّا فَقَــدْناهُ وَحْدَه * لَكانَ التأَسِّى مِنْ جَوَى الحُزْنِ شافِيا (٦)

ولكنْ فَقَــدْنا كُلَّ شَىْءٍ بِفَقْــدِه * وهَيْهَــاتَ أَنْ يَأْتِى به الدَّهْرُ ثانيــا

فيــا سائِلِى أَيْنَ المُــرُوءةُ والْوَفا * وأينَ الحِجَــا والرَّأْىُ؟ وَيْحَكَ هاهِيــا

هَنِيئًا لهـــمْ فَلْيَأْمَنُوا كُلَّ صائِحٍ (٧) * فقد أُسْكِتَ الصَّوْتُ الذى كان عالِيا

(١) منزل آهل : عامر بأهــله . ومبتهلات : داعية متضرعة .

(٢) المثابة : المرجع . أى إن الناس كانوا يرجعون الى هذا البيت فى طلب أرزاقهم .

(٣) ولد المرحوم مصطفى كامل باشا صاحب اللواء بمدينة القاهرة فى ١٤ أغسطس سنة ١٨٧٤ م. وبعد أن نال شهادة الدراسة الثانوية دخل مدرسة الحقوق الخديوية والحقوق الفرنسية فى وقت واحد، ثم ذهب الى فرنسا ، ومنها أخذ شهادة الحقوق ، وبدأ حياته السياسية فى سنة ١٨٩٥ م . وكانت باكورة أعماله كتابه الذى رفعه الى رئيس مجلس النواب الفرنسى فى ٤ يونية سنة ١٨٩٥ م ؛ ثم كان زعيم النهضة الوطنية فى مصر ، إلى أن توفى فى سنة ١٩٠٨ م بعد أن ألف الحزب الوطنى .

(٤) جثا الرجل يجثو : جلس على ركبتيه ؛ والمراد هنا : الخضوع . (٥) الذاوى : الذابل .

(٦) التأسى : اقتداؤك بمن سواك فى الصبر على المصائب . وجوى الحزن : حرقته .

(٧) الضمير فى « لهم » : للإنجليز .

ومات الذى أحيا الشعور وساقه * الى المجد فاستحيا النفوس البواليا (١)

مدحتك لما كنت حيا فلم أجد * وإنى أجيد اليوم فيك المراثيا

عليك، وإلا ما لذا الحزن شاملا * وفيك، وإلا ما لذا الشعب باكيا (٢)

يموت المداوى للنفوس ولا يرى * لما فيه من داء النفوس مداويا

وكنا نياما حينما كنت ساهدا * فأسهدتنا حزنا وأمسيت غافيا (٣)

شهيد العلا، لا زال صوتك بيننا * يرن كما قد كان بالأمس داويا (٤)

يهيب بنا : هذا بناء أقمته * فلا تهدموا بالله ما كنت بانيا (٥)

يصيح بنا : لا تشعروا الناس أننى * قضيت وأن الحى قد بات خاليا (٦)

يناشدنا بالله ألا تفرقوا * وكونوا رجالا لا تسروا الأعاديا

فروحى من هذا المقام مطلة * تشارفكم عنى وإن كنت باليا (٧)

فلا تحزنوها بالخلاف فإننى * أخاف عليكم فى الخلاف الدواهيا

أجل، أيها الداعى الى الخير إننا * على العهد ما دمنا فنم أنت هانيا (٨)

بناؤك محفوظ، وطيفك ماثل * وصوتك مسموع، وإن كنت نائيا

---

(١) استحيا، أى أحيا. والاستحياء (لغة) : الاستبقاء، يقال : استحيا فلان فلانا، إذا أبقاه حيا.

(٢) عليك، أى عليك الحزن. وفيك، أى فيك البكاء.

(٣) الساهد : الساهر. والغافى : النائم. (٤) المعروف (دوّى) بتشديد الواو، واسم الفاعل منه : مدوّ. وأما (دوى) بالتخفيف، فهو استعمال شائع فى كلام أهل العصر.

(٥) أهاب به : صاح به ودعاه. (٦) قضى : مات.

(٧) شارفه : نظر إليه من علو. (٨) أجل، كلمة تقال فى الجواب بمعنى «نعم».

عهدناكَ لا تبْكى وتُنْكِر أَنْ يُرَى * أَخُو البَأْسِ فى بَعْضِ المَوَاطِنِ باكِيا

فَرَخِّص(١) لنا اليومَ البُكاء وفى غَدٍ * تَرانَا كما تَهْوَى جِبالًا رَواسيا

فيا نيلُ إنْ لَمْ تجْرِ بَعْدَ وَفاته * دمًا أحمرًا لا كنتَ يا نيلُ جاريا

ويا (مِصْرُ) إنْ لم تَحْفَظى ذِكْرَ عَهْدِه * إلى الحَشْرِ لا زالَ انحِلالُكِ باقيا

ويأهلَ (مِصْرٍ) إنْ جَهِلْتُمْ مُصابَكُمْ * ثِقُوا أنَّ نَجْمَ السَّعْدِ قد غارَ هاويا

ثلاثُون(٢) عاما بل ثلاثُون دُرّةً * بجِيدِ اللّيالى ساطعاتٍ زَواهِيا

سَتَشْهَدُ(٣) فى التاريخ أنّكَ لم تَكُنْ * فَتًى مُفْرَدًا بل كنتَ جَيْشًا مُغازِيا

رثاء مصطفى كامل باشا أيضا

أنشدها فى حفل الأربعين فى ٢٠ مارس سنة ١٩٠٨ م

نثَرُوا عليكَ نَوادِىَ(٤) الأَزْهارِ * وأتيْتُ أنْثُرُ بينهم أشْعارِى

زَيْنَ الشَّبابِ وزَيْنَ طُلّابِ العُلا * هل أنتَ بالمُهَجِ الحَزِينَةِ دارِى؟

غادَرْتَنا والحادِثاتُ بمَرْصَدٍ(٥) * والعَيْشُ عَيْشُ مَذَلّةٍ وإسارِ

---

(١) الذى وجدناه أنه يقال: «رخصت له» ورخصته فى كذا «أى أذنت له فيه» بعد النهى عنه. ولم نجد فى كتب اللغة أنه يقال: رخصت له كذا بحذف «فى» كما استعمله الشاعر فى هذا البيت، إلا أن يقال: إنه ضمن الترخيص معنى التسهيل والتيسير، فحذف الفاء. والرواسى: الرواسخ.

(٢) توفى مصطفى كامل باشا عن اثنين وثلاثين سنة، فالثلاثون فى هذا البيت عدد تقريبى.

(٣) تشهد، أى الثلاثون عاما.

(٤) نوادى الأزهار: الرطبة المبتلة بالندى. (٥) بمرصد، أى أن الحوادث ترقبنا وتتحين الفرص لمداهمتنا. والمرصد، هو مكان الرصد، أى المراقبة.

(١)
ما كانَ أَحْوَجَنا إليكَ اذا عَدَا * عادٍ وصاحَ الصّائحُون : بَدَارِ

أَيْنَ الخَطِيبُ وأَيْنَ خَلّابُ النُّهَى؟ * طالَ انْتِظارُ السَّمْعِ والأَبْصارِ

(٢)
باللهِ ما لَكَ لا تُجِيبُ مُنادِيًا * ما ذا أَصابَكَ يا أَبَا المِغْوارِ

(٣)
قُمْ وامْحُ ماخَطَّتْ يَمِينُ (كُرُومَرٍ) * جَهْلًا بِدِينِ الواحِدِ القَهَّارِ

(٤)
قد كُنْتَ تَغْضَبُ للكِنَانَةِ كلَّما * هَمَّتْ وَهَمَّ رَجاؤها بِعِثارِ

(٥)
غَضَبَ التَّقِيِّ لِرَبِّهِ وكِتابِهِ * أو غَضْبَةَ (الفارُوقِ لِلْمُخْتارِ)

(٦)
قد ضاقَ جِسْمُكَ عَنْ مَداكَ فَلَمْ يُطِقْ * صَبْرًا عليكَ وأنتَ شُعْلَةُ نارِ

(٧)
أَوْدَى به ذاكَ الجِهادُ وهَدَّه * عَزْمٌ يَهُدُّ جَلائِلَ الأَخْطارِ

(٨)
لَعِبَتْ يَمِينُكَ بالـيَرَاعِ فَأَعْجَزَتْ * لَعِبَ الفَوارِسِ بالقَنا الخَطّارِ

(٩)
وجَرَيْتَ للعَلْياءِ تَبْغِي شَأْوَها * فجَرَى القَضاءُ وأنتَ في المِضْمارِ

---

(١) بدار : اسم فعل أمر بمعنى بادر، أي أسرع . (٢) المغوار : الكثير الغارات على الأعداء . ويشير بهذه الكنية إلى قول الشاعر :

وداع دعا : يا من يجيب إلى الندى * فلم يستجبه عند ذاك مجيب

فقلت ادع أخرى وارفع الصوت جهرة * لعل أبي المغوار منك قريب

(٣) يشير بهذا البيت إلى ما كتبه اللورد كرومر عميد الدولة الانجليزية في مصر من طعن على الدين الإسلامي . (٤) العثار : الكبو والتعس . (٥) الفاروق : عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه . والمختار : النبي صلى الله عليه وسلم .

(٦) مداك ، أي غاية ما تطمح إليه من المعالي . (٧) أودى به : ذهب . « وهدّه عزم» الخ ، أي أن عزمه الذي يذهب بالشدائد قد ذهب بجسمه وأفناه . (٨) القنا : الرماح . والخطار : من صفات الرمح ، لاضطرابه واهتزازه . (٩) الشأو : الغاية . ويريد « بالقضاء » : الموت .

أو كلَّما هـزَّ الرجاءُ مُهنَّدًا (١) * بَدَرتْ إليه غوائلُ الأقدار

عزَّ القرارُ علىَّ ليلةَ نعيِه (٢) * وشهدتُ موكبَه فقرَّ قرارى

وتسابقتْ فيه النُّعاةُ فطائرٌ (٣) * بالكهرباءِ ، وطائرٌ ببخار

شاهدتُ يومَ الحشرِ يومَ وفاته (٤) * وعلمتُ منه مراتبَ الأقدار

ورأيتُ كيف تفي الشعوبُ رجالَها * حقَّ الولاءِ وواجبَ الإكبار

يسعونَ ألفًا حولَ نعشِك خُشَّعًا (٥) * يمشُون تحتَ (لوائك) السيّار

خطُّوا بأدمُعِهم على وجهِ الثرى * للحُزنِ أسطارًا على أسطار

آنًا يوالُون الضجيجَ كأنهم * ركبُ الحجيجِ بكعبةِ الزُّوار

وتخالُهم آنًا لفرطِ خشوعِهم * عند المصلَّى ينصتُون لِقارى

غلبَ الخشوعُ عليهمُ فدموعُهم (٦) * تجرِى بلا كَلَحٍ ولا استِنثار

قد كنتُ تحتَ دموعِهم وزفيرِهم * ما بين سيلٍ دافقٍ وشرار

أسعَى فيأخذُني اللهيبُ فأنثنِي * فيصُدُّني متدفقُ التيار

(١) المهند : السيف . وغوائل الأقدار ، أى المهلكات منها . (٢) يريد بقوله : «وشهدت» الخ : أنه لما رأى وفاء الأمة للفقيد فى جنازته هدأت نفسه . (٣) يريد « بالطائر بالكهرباء» : الرسائل البرقية . « وبالطائر بالبخار » : القطار . (٤) وعلمت منه مراتب الأقدار ، أى كيف تنزل الأمة عظماءها منازلهم التى يستحقونها . (٥) اللواء : العلم . ويشير إلى جريدة اللواء التى كان يصدرها الفقيد .

(٦) بلا كلح ، أى بلا عبوس ولا تقطب . والمسموع : كلاح وكلوح (بالضم فيهما) . والاستنثار من الأنف معروف . ويريد « يجرى بلا كلح ولا استنثار » : أن الدموع تجرى بطبيعتها بلا عبوس ولا غيره مما يصحب الدموع عادة .

لَوْ لَمْ أَلُذْ بالنَّعْشِ أو بِظِلالِهِ * لَقَضَيْتُ بين مَراجِلٍ وبِحارِ (١)

كم ذاتِ خِدْرٍ يومَ طافَ بك الرَّدَى * هَتَكَتْ عليكَ حَرائرَ الأَسْتارِ

سَفَرَتْ تُوَدِّعُ أُمَّةً محمولةً * في النَّعْشِ لا خَبَرًا مِن الأخبارِ

أَمِنَتْ عُيونَ النّاظِرينَ فمَزَّقَتْ * وَجْهَ الخِمارِ فلم تَلُذْ بخِمارِ (٢)

قد قامَ ما بَيْنَ العُيونِ وبَيْنَها * سِتْرٌ مِنَ الأَحْزانِ والأَكْدارِ

أُدْرِجْتَ في العَلَمِ الّذي أَصْفَيْتَهُ * مِنْكَ الوِدادَ فكانَ خَيرَ شِعارِ (٣)

عَلَمانِ مِنْ فَوْقِ الرءوسِ كِلاهُما * في طَيِّهِ سِرٌّ مِنَ الأَسْرارِ (٤)

ناداهُما داعي الفِراقِ فَأَمْسَيا * يَتَعانَقانِ على شَفِيرٍ هارِ (٥)

تاللهِ ما جَزِعَ المُحِبُّ ولا بَكَى * لِنَوًى مُرَوِّعَةٍ وبُعْدِ مَزارِ (٦)

جَزَعَ (الهِلالِ) عليكَ يومَ تَرَكْتَهُ * ما بَيْنَ حَرِّ أَسًى وحَرِّ أُوارِ (٧)

مُتَلَفِّتًا مُتَحَيِّرًا مُتَخَيِّرًا * رَجُلًا يُناضِلُ عنه يومَ نِفارِ

---

(١) قضى : هلك ومات . والمراجل : القدور ؛ الواحد مرجل (بكسر فسكون) . ويريد «بالمراجل والبحار» : ما أشار اليه في البيت الأسبق من الزفرات والدموع .

(٢) الخمار : ما تغطى به المرأة وجهها .

(٣) يقال : أدرجه في الثوب : إذا لفه فيه وطواه . ويريد «بالعلم» : علم مصر .

(٤) يريد «بالعلمين» : الفقيد ، تشبيها له بالعلم في ارتفاعه وشهرته ، وعلم مصر الذي لف فيه النعش .

(٥) شفير كل شيء : حرفه . والهاري : المنهار .

(٦) النوى : البعد .

(٧) الهلال : شعار الدولة العثمانية والولايات التابعة لها التي كانت منها مصر إذ ذاك . والأسى : الحزن . والأوار : الظمأ ، ويريد به ما تركه فراقه في النفوس من تعطش إليه .

إنّ الثلاثينَ ٱلّتى بك فاخَرتْ * باتَتْ تُقاسُ بأطْولِ الأعْمارِ [١]

ضَمّتْ الى التاريخ بِضْعَ صحائِفٍ * بَيْضاءَ مِثْلَ صحائِفِ الأبْرارِ

شَبّهتُهنّ بنُقطةٍ عِطْرِيّةٍ * وَسِعتْ مُحَصّلَ روْضةٍ مِعْطارِ [٢]

خَلّفتَها كالْمُشْتَقِ يَحْذو حَذْوَها * راجى الْوصولِ ومُقْتَفِى الآثارِ

ماذا على السّارِى ـ وهُنّ مَنائِرٌ ـ * لو سارَ بينَ مَجاهِلٍ وقِفارِ [٣]

ما زِلْتَ تَخْتارُ المَواقِفَ وَعْرَةً * حتّى وَقَفْتَ لذلكَ ٱلجَبّارِ [٤]

وهَدَمْتَ سُورًا قد أجادَ بِناءَه * فِرْعَوْنُ ذو الأوْتادِ والأنْهارِ [٥]

ووَصَلْتَ بين شَكاتِنا ومَشايخٍ * فى (البَرْلَمانِ) أعِزّةٍ أخْيارِ [٦]

كَشَفُوا الغِطاءَ عن العُيونِ فأبْصَرُوا * ما فى الكِنانَةِ مِنْ أذًى وضِرارِ [٧]

نَبَذُوا كَلامَ (اللّوْرْدِ) حينَ تَبَيّنُوا * حَنَقَ المَغِيظِ ولَهْجَةَ الثّرْثارِ [٨]

ورَماهُمُ بمُجَلّدينِ رَمَوْهُما * فى رُتْبَةِ الأصْفارِ لا الأسْفارِ [٩]

---

(١) يريد الثلاثين سنة التى ذكرها فى مرثيته السابقة فى قوله "ثلاثون عاما ... الخ" . وقد قدّمنا أن الفقيد قد توفى عن اثنتين وثلاثين سنة ، فالثلاثون عدد تقريبى . (٢) الروضة المعطار : الكثيرة الزهور والرياحين . ومحصلها : مايحصل من رياحينها وأزهارها . (٣) وهن ، أى الثلاثون عاما . والمنائر : جمع منارة ، وهى ما يهتدى به . يريد أن سارى الظلمات لا يضل وهو يهتدى بهذه الأعلام الواضحة . (٤) يريد «بالجبار» اللورد كرومر ؛ ويشير إلى مواقفه معه فى حادثة دنشواى وغيرها .

(٥) الأوتاد : الجبال . ويضرب بفرعون المثل فى الجبروت والبغى ؛ شبه اللورد كرومر به .

(٦) الشكاة : الشكوى . ويريد «بالبرلمان» : البرلمان الإنجليزى .

(٧) كشفوا ، أى مشايخ البرلمان . (٨) الحنق : الغيظ . والثرثار : الذى يكثر الكلام تكلفا وخروجا عن الحق . (٩) يشير «بالمجلدين» : ما كتبه اللورد كرومر لحكومته عن مصر . والأسفار : الكتب ؛ والواحد سفر (بالكسر) .

واهًا على تلكَ المَواقِفِ إنّها * كانتْ مَواقِفَ لَيْثِ غابٍ ضارِى (١)

لم يَلْوِه عنها الوَعيدُ ولا ثَنَى * مِنْ عَزْمِه قَوْلُ المُريبِ : حَذارِ (٢)

فاهنَأْ بمَنْزِلكَ الجديدِ ونَمْ به * فى غِبْطَةٍ وانعَمْ بخَيْرِ جِوارِ

وٱستَقْبِلِ الأَجْرَ الكَبيرَ جَزاءَ ما * ضَحَّيْتَ للأَوْطانِ مِنْ أَوْطارِ (٣)

نِعْمَ الجَزاءُ ونِعْمَ ما بُلِّغْتَه * فى مَنْزِلَيْكَ ونِعْمَ عُقْبى الدّارِ (٤)

رثاء قاسم أمين بك (٥)

[نشرت فى ٦ يونية سنة ١٩٠٨ م]

لِلّهِ دَرُّكَ كُنْتَ مِنْ رَجُلٍ * لو أَمْهَلَتْكَ غَوائِلُ الأَجَلِ (٦)

خُلُقٌ كأنفاسِ الرِّياضِ إذا * أَسْحَرْنَ غِبَّ العارِضِ الهَطِلِ (٧)

---

(١) الضارى : الجرىء المعوّد على الصيد . (٢) لم يلوه : لم يصرفه . والمريب : ذو الريبة ، يريد به هنا : المتهم فى وطنيته ، المشكوك فى إخلاصه لبلاده . (٣) الأوطار : جمع وطر ، وهو البغية والحاجة . (٤) فى منزليك ، أى الدنيا والآخرة .

(٥) ولد قاسم أمين سنة ١٨٦٥ م ، وبعد أن أخذ حظه من التعلم فى مصر سافر الى فرنسا حيث درس الحقوق ، وعاد فى سنة ١٨٨٥ ، ثم تدرج فى المناصب القضائية حتى صار قاضيا بمحكمة الاستئناف الأهلية ؛ وهو أول من نادى بتحرير المرأة المصرية ، وله فى ذلك كتابان : (تحرير المرأة) و (المرأة الجديدة) . واشترك أيضا فى الدعوة الى إنشاء الجامعة مع صديقه المرحوم سعد زغلول باشا ؛ وتوفى رحمه الله فى ٢٢ أبريل سنة ١٩٠٨ م عن ثلاث وأربعين سنة .

(٦) الغوائل : الدواهى المهلكة ، الواحدة غائلة .

(٧) أسحر : صار فى السحر . والعارض : السحاب المعترض فى الأفق . والهطل : المتتابع المطر ، العظيم القطر . والنسيم المنبعث عن الرياض أنق ما يكون عقب المطر وفى السحر .

وشَمائلٍ لو أنّها مُزِجَتْ * بطَبائعِ الأيّامِ لم تَحُلِ (١)

جَمُّ المَحامِدِ غيرُ مُتّهَمٍ * جَمُّ التّواضُعِ غيرُ مُبْتَذَلِ (٢)

يا دَوْلَةَ الأَخْلاقِ رافِلَةً * مِنْ (قاسِمٍ) فى أبْهَجِ الحُلَلِ (٣)

كيف انطَوَيْتِ به على عَجَلٍ * أكذا تكونُ مَصارِعُ الدُّوَلِ؟

يا طالِعًا للشّرْقِ لَجّ بِهِ * نَحْسُ النُّحوسِ فقَرَّ فى (زُحَلِ) (٤)

هَلّا وَصَلْتَ سُراكَ مُنْتَقِلًا * عَلَّ السُّعُودَ تكونُ فى النُّقَلِ

مالى أَرَى الأَجْداثَ حالِيَةً * وأَرَى رُبُوعَ النِّيلِ فى عَطَلِ (٥)

فاذا الكِنانَةُ أَطْلَعَتْ رَجُلًا * طاحَ القَضاءُ بذلك الرَّجُلِ (٦)

أَوَ كلّما أَرْسَلْتُ مَرْثِيَةً * مِنْ أَدْمُعِى فى إثْرِ مُرْتَحِلِ

هاجَتْ بِىَ الأُخْرَى دَفِينَ أَسًى * فَوَصَلْتُ بين مَدامِعِ المُقَلِ (٧)

إنْ خانَنِى فيما فُجِعْتُ به * شِعْرِى فهٰذا الدَّمْعُ يَشْفَعُ لِى

ولقد أقولُ وما يُطاوِلُنِى * عندَ البَدِيهَةِ قَوْلُ مُرْتَجِلِ: (٨)

يا مُرْسِلَ الأَمْثالِ يَضْرِبُها * قد عَزَّ بعدَكَ مُرْسِلُ المَثَلِ

---

(١) لم تحل ، أى لم تحول ولم تتغير . والمعنى أن شمائله من الثبات على الخير بحيث لو مزجت بطبائع الأيام المتقلبة لأكسبتها ثباتا على ما يحب الناس . (٢) المبتذل : الممتهن .
(٣) رافلة : تجر الذيل متبخترة . (٤) لج به : ألح عليه . وزحل : كوكب معروف من الخنس ، وهو عند المنجمين كوكب نحس . (٥) الأجداث : القبور ؛ الواحد جدث (بالتحريك) . وحالية : مزدانة . والعطل : التجرد عن الزينة . (٦) طاح به : ذهب به .
(٧) «هاجت بى الأخرى» الخ ، أى أثارت المرثية الأخرى ما خفى من حزنى . (٨) طاوله : غالبه .

(١)
يا رائشَ الآراءِ صائبَةً * يَرْمِي بهنّ مَقاتِلَ الخَطَلِ
(٢)
لله آراءٌ شَأَوْتَ بها * في الخالدين نَوابِغَ الأُوَلِ
(٣)
قد كنتَ أَشْقانا بنا وكذا * يَشْقَى الأَبِيُّ بصُحْبَةِ الوَكَلِ
(٤)
لَهْفِي عليك قَضَيْتَ مُرْتَجِلاً * لم تَشْكُ، لم تَسْتَوْصِ، لم تَقُلِ
(٥)
غَلَّ القَضاءُ يَدَ القَضاءِ فذا * يَبْكِي عليكَ وذاكَ في جَذَلِ
شَغَلَتْكَ عن دُنْياكَ أَرْبَعَةٌ * والمرءُ مِنْ دُنْياهُ في شُغُلِ:
(٦)
حَقٌّ تُناصِرُه ومَفْخَرَةٌ * تَمْشِي إليها غَيْرَ مُنْتَحِلِ
(٧)
وحَقائِقٌ للعِلْمِ تَنْشُدُها * ما لِلحَكِيمِ بِهِنَّ مِنْ قِبَلِ
(٨)
وفَضِيلَةٌ أَعْيَتْ سِواكَ فلَمْ * تَمْدُدْ إليه يدًا ولم يَصِلِ
(٩)
إنْ رَيْتَ رَأْيًا في الحِجابِ ولَمْ * تُعْصَمْ، فتِلْكَ مَراتِبُ الرُّسُلِ

---

(١) الرائش: الذي يلزق الريش على السهم ليكون أسرع في مضيه إلى الغرض. والخطل (بالتحريك): الخطأ والفساد. (٢) شأوت: سبقت. (٣) الوكل (بالتحريك): الضعيف العاجز الذي يكل أمره الى غيره. ويشير بهذا البيت الى ما لقيه الفقيد من ضروب النقد الشديد والطعن الجارح حين أخرج كتابيه: (تحرير المرأة) و(المرأة الجديدة). (٤) قضيت مرتجلا، أي مت من غير علة ظاهرة. وتستوصى، أي توصى. ولم نجد فيما راجعناه من كتب اللغة استوصيت بمعنى أوصيت.

(٥) القضاء (الأول)، بمعنى الموت (والثاني) بمعنى الفصل في الخصومات. والجذل (بالتحريك): الفرح. (٦) المنتحل: الذي يدعى لنفسه ما لغيره. (٧) تنشدها: تطلبها. والقبل: الطاقة. (٨) أعيت: أعجزت، ولم تمدد... الخ، أي لم تمدد الفضيلة الى سواك يدا ولم يصل إلى نوالها. (٩) ريت: رأيت، بحذف الهمزة للوزن. ويشير بهذا البيت الى دعوة الفقيد إلى سفور المرأة. وتلك، أي العصمة.

الحُكْمُ للأيّام مَرْجِعُــه * فِـيما رأَيْتَ فـنَمْ ولا تَسَـلِ

وكـذا طُهـاةُ الرأى تَتْرُكُه * للدّهرِ يُنْضِـجُه عـلى مَهَـلِ (١)

فاذا أَصَبْتَ فأنتَ خـيرُ فَتًى * وَضَـعَ الدَّواءَ مَواضِـعَ العِـلَلِ

أَوْلا ، فحَسْبُكَ ما شَرُفْتَ بـه * وتَرَكْتَ فى دُنْيـاكَ مِنْ عَمَلِ

واهًا عـلى دارٍ مَرَرْتُ بهـا * قَفْــرًا وكانت مُلْتَـقَى السُّبُلِ (٢)

أَرْخَصْتُ فيهـا كلَّ غاليَــةٍ * وذَكَرْتُ فيهـا وَقْفَـةَ الطَّلَـلِ (٣)

ساءَلْتُها عن (قاسِـمٍ) فأَبَتْ * رَدَّ الجـوابِ فرُحْتُ فى خَبَـلِ (٤)

مُتَعَـثِّرا يَنْتـابُنِى وَهَنٌ * مُتَرَنِّحـا كالشـاربِ الثَّمِـلِ (٥)

مُتَذَكِّرا يـومَ (الإمامِ) بـه * يـومَ انْتُـوِيتُ بذَلِكَ البَطَـلِ (٦)

يومَ احْتَسَبْتُ ـ وكنتُ ذا أَمَلٍ ـ * تحتَ الـترابِ بقيّــةَ الأَمَـلِ (٧)

جاوِرْ أَحِبَّتَـكَ الأُلَى ذَهَبــوا * بالعَــزْمِ والإقْـدامِ والعَمَـلِ

واذْكُرْ لهـم حاجَ البِـلادِ إلى * تـلكَ النُّهَى فى الحـادِثِ الجَلَلِ (٨)

---

(١) شبه فى هـذا البيت صاحب الرأى يرسله فى النـاس ويتركه ينفذ الى عقولهم شـيئا فشيئا حتى يثبت ، بطاهى الطعام الذى يضعه على النـار تنضجه شيئا فشيئا حتى يتم نضجه ، ويصـير صالحا لتناوله .

(٢) يريد «بالدار» دار الفقيد . وملتقى السبل ، أى مجمع الوافدين من كل طريق . ونصب «قفرا» على الحال .

(٣) الغالية ، أى الدمعة الغالية التى لا تسيل إلا فى أشدّ المصائب . والطلل (بالتحريك) : الشاخص من آثار الدار .

(٤) الخبل : الجنون .

(٥) الوهن : الضعف . والمترنح . المتمايل سكرا . والثمل : النشوان .

(٦) الإمام ، هو المرحوم الشيخ محمد عبده . ويوم انتويت به ، أى يوم رمانى فيه الزمان وقصدنى بمكروهه .

(٧) احتسبه : قدّمه واعتدّه فيما يدخر عند الله .

(٨) الحاج : جمع حاجة .

قُلْ (للإمامِ) إذا الْتقيْتَ بهِ * فى الجنّتين بأكرمِ النُّزُلِ:

إنّ الحقيقةَ أصبحتْ هدفًا * للرّاكبين مراكبَ الزّلَلِ

للهِ آثارٌ لكم خلدتْ * صاحَ الزّوالُ بها فلم تَزُلِ

للهِ أيّامٌ لكم دَرَجتْ[1] * طالتْ عوارفُها ولم تطُلِ

نِعْمَ الظّلالُ لو انّها بقيتْ * أو انّ ظِلًّا غيرُ مُنتقِلِ

ذكرى مصطفى كامل باشا

أنشدها فى الحفل الذى أقيم عند قبره لإحياء ذكراه الأولى

[نشرت فى ١٢ فبراير سنة ١٩٠٩ م]

طُوفُوا بأركانِ هذا القبرِ واستلِمُوا[2] * واقضُوا هنالِكَ ما تقضِى به الذِّمَمُ

هُنا جَنانٌ تعالَى اللهُ بارِئُه * ضاقتْ بآمالِه الأقدارُ والهِمَمُ

هُنا فَمٌ وبَنانٌ لاحَ بينهما * فى الشّرقِ فجرٌ تُحيِّي ضوءَه الأُمَمُ

هُنا فَمٌ وبَنانٌ طالما نثَرا * نثرًا تسيرُ به الأمثالُ والحِكَمُ

هنا الكَمِيُّ[3] الّذى شادَتْ عزائمُه * لطالبِ الحقِّ رُكْنًا ليس ينهدِمُ

هُنا الشّهيدُ، هُنا ربُّ اللّواءِ[4]، هُنا * حامِى الذِّمارِ، هُنا الشّهمُ الّذى علِموا

---

(١) درجت: مضت وذهبت. والعوارف: جمع عارفة، وهى العطية والمعروف، فاعلة بمعنى مفعولة.

(٢) استلم القبر: قبله أو لمسه بيده. (٣) الكمى: الشجاع. (٤) اللواء: الصحيفة التى كان يصدرها الفقيد. والذمار: كل ما يلزمك حفظه وحياطته والدفاع عنه.

يأيها النائم الهانى بمضجعه * ليهنك النوم لا هم ولا سقم

باتت تسائلنا فى كل نازلة * عنك المنابر والقرطاس والقلم

تركت فينا فراغا ليس يشغله * إلا أبى ذكى القلب مضطرم (١)

منفر النوم سباق لغايته * آثاره عمم آماله أمم (٢)

إنى أرى وفؤادى ليس يكذبنى * روحا يحف بها الإكبار والعظم

أرى جلالا، أرى نورا، أرى ملكا * أرى محيا يحيينا ويبتسم (٣)

الله أكبر، هذا الوجه أعرفه * هذا فتى النيل هذا المفرد العلم

غضوا العيون وحيوه تحيته * من القلوب إذا لم تسعد الكلم (٤)

وأقسموا أن تذودوا عن مبادئه * فنحن فى موقف يحلو به القسم (٥)

لبيك نحن الألى حركت أنفسهم * لما سكنت ولما غالك العدم (٦)

جئنا نؤدى حسابا عن مواقفنا * ونستمد ونستعدى ونحتكم (٧)

قيل اسكتوا فسكتنا ثم أنطقنا * عسف الجفاة وأعلى صوتنا الألم (٨)

قد اتهمنا ولما نطلب جللا * إن الضعيف على الحالين متهم (٩)

(١) مضطرم، أى مشتعل غيرة وحمية . (٢) منفر النوم : مسهد . وعمم، أى عامة شاملة .
(٣) المحيا : الوجه . (٤) أسعده : أعانه .
(٥) تذودوا : تدفعوا . (٦) غاله : أهلكه .
(٧) نستمد : نطلب المدد، أى المعونة . ونستعدى : نستنصر .
(٨) العسف : الظلم . ويريد «بالجفاة» : المحتلين . (٩) اطلب : طلب . والجلل : الأمر العظيم .

قالوا : لقد ظَلَمُوا بالحقِّ أنفُسَهم * واللهُ يعلمُ أنّ الظالمين هُمُ

إذا سَكَتنا تناجَوْا(١)، تلك عادتُهم * وإنْ نطقْنا تنادَوْا : فِتنةٌ عَمَمُ

قد مرَّ عامٌ بنا والأمرُ يحزُبُنا(٢) * آناً وآونةً تنتابُنا النِّقَمُ

فالناسُ فى شِدّةٍ والدهرُ فى كَلَبٍ(٣) * والعيشُ قد حارَ فيه الحاذقُ الفَهِمُ

وللسياسةِ فينا كلَّ آونةٍ * لَوْنٌ جديدٌ وعهدٌ ليس يُحترَمُ

بَيْنَا نرى جمرَها تُخشَى ملامِسُه(٤) * إذا به عِندَ لَمْسِ المُصطَلِى فَحَمُ

تُصغِى لأصواتِنا طَوْرًا لتخدَعَنا * وتارةً يزدهيها الكِبْرُ والصَّمَمُ

فمِنْ مُلاينةٍ أستارُها خُدَعٌ * إلى مُصالَبةٍ أستارُها وَهَمُ(٥)

ماذا يُريدون؟ لا قَرَّتْ عيونُهمُ * إنّ الكِنانةَ لا يُطوَى لها عَلَمُ

كم أمّةٍ رَغِبَتْ فيها فما رَسَخَتْ(٦) * لها — على حَوْلِها — فى أرضِها قَدَمُ

ما كان ربُّكَ ربُّ البَيْتِ(٧) تارِكَها * وهِيَ التى بحِبالٍ منه تعتصِمُ

لَبَّيْكَ إنّا على ما كُنْتَ تعهَدُه * حتّى نَسُودَ وحتّى تَشهَدَ الأُمَمُ

فيعلمَ النيلُ أنّا خيرُ مَنْ وَرَدُوا * ويستطيلَ اختيالاً ذلك الهَرَمُ

---

(١) تناجوا : تساروا .

(٢) حزبه الأمر : اشتدّ عليه وضغطه .

(٣) كلب الدهر (بالتحريك) شدّته وإلحاحه بما يسوء . (٤) يريد بهذا البيت : أن للسياسة أحوالا مختلفة فحينا تكون نارا حامية ، وحينا فحمة باردة . (٥) الوهم (بسكون الهاء) معروف . وحركه الشاعر للضرورة . (٦) رسخت : ثبتت . والحول : القوة .

(٧) البيت : الكعبة .

هٰـذا الغِراسُ الّذى والَيْتَ مَنْبِتَه * بخَيْرِ ما والَت الأَضْـواءُ والنَّسَمُ (١)

أَمْسَى وأَضْحَى وعَيْنُ اللهِ تَحْرُسُـه * حتّى نَمـا وحَلاهُ المَجْــدُ والشَّمَمُ

فانظُرْ إليه وقد طالَتْ بَواسِـقُه * تَهَنَأْ به ولِأَنْفِ الحاسِــدِ الرَّغَمُ (٢)

يأيُّها النَشْءُ سِــيرُوا فى طَرِيقَتِه * وثابِرُوا، رَضِىَ الأَعْداءُ أَوَ نَقِمُوا

فكُلُّكُم (مُصْطَفى) لو سارَ سِيرَتَه * وكُلُّكُمْ (كاَبِلٌ) لو جازَه السَّأَمُ (٣)

قد كان لا وانِيـًا يوماً ولا وَكِلاً * يَسْتَقْبِلُ الخَطْبَ بَسّـامًا ويَقْتَحِمُ (٤)

وأنتَ ياقَــبْرُ قَــد جِئْنا على ظَمَإٍ * فجُـدْ لَنا بجَـوابٍ، جادَكَ الدِّيَمُ (٥)

أينَ الشَّبابُ الّذى أُودِعْتَ نَضْرَتَه * أينَ الخِلالُ ــ رَعاكَ اللهُ ــ والشِّيَمُ؟ (٦)

وما صَــنَعْتَ بآمالٍ لنـا طُوِيَتْ * ياقَبْرُ فيكَ وعَفَّى رَسْمَهـا القِــدَمُ؟ (٧)

أَلَا جَوابٌ يُرَوِّى مِنْ جَوانِحنـا * ما لِلقُبُـورِ اذا ما نُودِيَتْ تَجِـمُ؟ (٨)

نَمْ أنتَ، يَكْفِيكَ ماعانَيْتَ مِنْ تَعَبٍ * فنحن فى يَقْظَةٍ والشَّــمْلُ مُلْتَئِمُ

هٰــذا (لِواؤُكَ) خَفّاقٌ يُظَلِّلُنـا * وذاكَ شَخْصُكَ فى الأَكْبادِ مُرْتَسِمُ

(١) واليت منبته، أى لم تنقطع عن تعهــده . والنسم (محركة) والنسيم : (كلاهما) نفس الريح؛ وقيل : النسم أوّل هبوبها . «وبخير ما والت» الخ، أى بأحسن ما تمدّ الشمس والنسيم حياة النبات .
(٢) البواسق : ماطال وارتفع من الأشجـار . والرغم (بالسكون، وحرك وسطه للضرورة) : التراب . ولأنفه الرغم : كناية عن الذلة والمهانة . (٣) جازه : جاوزه . (٤) الوكل (محركة) : العاجز الذى يكل أمره إلى غيره . (٥) الديم : جمع ديمة، وهى السحابة التى يدوم مطرها فى سكون بلا رعد ولا برق؛ ويقال : جادته الديم، إذا أصابته بغزير مائها . وهو كناية عن الدعاء بالخير والنعيم .
(٦) الخلال : الخصال . (٧) الرسم : مابقى من آثار الديار . وعفاه القدم : محاه وطمس آثاره
(٨) وجم يجم : سكت عن الكلام وعجز من كثرة الغم .

رثاء تولستوى [1]

[نشرت فى نوفمبر سنة ١٩١٠ م]

رَثاكَ أميرُ الشِّعْرِ فى الشَّرْقِ وانْبَرَى * لِمَدْحِكَ مِنْ كُتَّابِ مِصْرَ كَبِيرُ [2]

ولَسْتُ أبالِى حِينَ أرْثِيكَ بَعْدَه * إذا قِيلَ عَنِّى قَدْ رَثاهُ صَغِيرُ

فقد كنتَ عَوْنًا للضَّعِيفِ وإنَّنى * ضَعِيفٌ ومالِى فى الحَياةِ نَصِيرُ

ولَسْتُ أُبالِى حِينَ أَبْكِيكَ لِلوَرَى * حَوَتْكَ جِنانٌ أمْ حَواكَ سَعِيرُ [3]

فإنّى أحبّ النابِغِينَ لِعِلْمِهِمْ * وأعْشَقُ رَوْضَ الفِكْرِ وهو نَضِيرُ

دَعَوْتَ الى عِيسَى فضَجَّتْ كَنائِسٌ * وهُزَّ لها عَرْشٌ ومادَ سَرِيرُ [4]

وقال أناسٌ إنَّهُ قَوْلُ مُلْحِدٍ * وقال أُناسٌ إنَّه لَبَشِيرُ

---

(١) ولد تولستوى الفيلسوف الروسى المشهور فى ٢٨ أغسطس سنة ١٨٢٨ م . وقد عاش فى أملاكه يزرعها ويقسم ما تغله بينه وبين فلاحيه ، ثم وزعها بينهم على الرغم من معارضة ذويه له . ومن كتبه : (الحرب والسلام) و(أين المخرج) . وله من الروايات المشهورة : (البعث) و(القيامة) . واتهم فى آخر حياته بالخروج على الكنيسة ، فحكمت بكفره ، وكانت وفاته فى ٢١ نوفبر سنة ١٩١٠ م .

(٢) يريد « بأمير الشعر » : المرحوم أحمد شوقى بك ، وله فى رثاء تولستوى قصيدة مطلعها :

«تلستو» تجرى آية العلم دمعها * عليك ويبكى بائس وفقير

ويريد « بالكاتب الكبير » : الأستاذ أحمد لطفى السيد وقد رثى تولستوى بكلمة صدر بها الجريدة ، وعنوانها : (مات الرجل) نشرت فى ٢٤ نوفبر سنة ١٩١٠ م .

(٣) «حوتك جنان» الخ ؛ أى أنه لا يبالى حين يرثيه أكان الفقيد مؤمنا أم كافرا .

(٤) ماد : اضطرب .

ولَوْلا حُطامٌ رَدَّ عنكَ كيادَهُمْ * لَضِقْتَ به ذَرْعًا وساءَ مَصِيرُ (١)

ولكنْ حماكَ العِلْمُ والرأىُ والحِجا * ومالٌ – اذا جَدَّ النِّزالُ – وَفِير

إذا زُرْتَ رَهْنَ المَحْبَسَين بحُفْرَةٍ * بها الزُّهْدُ ثاوٍ والذَّكاءُ سَتِير (٢)

وأَبْصَرْتَ أُنْسَ الزُّهْدِ فى وَحْشةِ البِلَى * وشاهَدْتَ وَجْهَ الشَّيْخ وهو مُنِير (٣)

وأَيْقَنْتَ أَنَّ الدِّينَ لِلّهِ وَحْدَه * وان قُبُورَ الزّاهِدِين قُصُور

فقِفْ ثمّ سَلِّمْ واحتَشِمْ إنّ شَيْخَنا * مَهِيبٌ على رَغْمِ الفَناءِ وَقُور (٤)

وسائلْه عمّا غابَ عَنْكَ فإنّه * عَلِيمٌ بأَسْرارِ الحَياةِ بَصِير

يُخَبِّرُكَ الأَعْمَى وإنْ كنتَ مُبْصِرًا * بما لَمْ تُخَبِّرْ أَحْرُفٌ وسُطُور

كأَنّى بسَمْعِ الغَيْبِ أَسْمَعُ كُلَّ مَا * يُجِيبُ به أُستاذُنا ويُحِير (٥)

يُنادِيكَ : أَهْلًا بالّذى عاشَ عَيْشَنا * وماتَ ولَمْ يَدْرُجْ اليه غُرُور (٦)

قَضَيْتَ حَياةً مِلْؤُها البِرُّ والتُّقَى * فأنتَ بأَجْرِ المُتَّقِينَ جَدِير

وسَمَّوْكَ فيهم فَيْلَسُوفًا وأَمْسَكُوا * وما أنتَ إلا مُحْسِنٌ ومُجِير

وما أنتَ إلّا زاهِدٌ صاحَ صَيْحَةً * يَرِنُّ صَداها ساعةً ويَطِير

---

(١) الحطام : المال . والكياد : المكايدة . يشير الى ثروة تولستوى التى كان يملكها ثم نزل عنها بعد وفرقها بين الفقراء . وقد ذكر ذلك فى ترجمته . (٢) رهن المحبسين ، هو أبو العلاء المعرى ، سمى نفسه به ، وكان لزم بيته فلم يخرج منه مطلقا ، فأراد بأحد المحبسين : البيت . وبالآخر : العمى . وثاو : مقيم . وستير ، يريد أنه مستور ، بمعنى مدفون . (٣) يريد «بالشيخ» : أبا العلاء .

(٤) الاحتشام : الحياء . (٥) أحار الجواب يحيره : ردّه .

(٦) عيشنا ، أى عيش الزاهدين . ويدرج : يمشى .

سَلَوْتَ عن الدُّنيا ولكنّهم صَبَوْا * إليها بما تُعْطِيهِمُ وتَمِيرُ (١)

حَيَاةُ الوَرَى حَرْبٌ وأنتَ تُريدها * سَلامًا وأسْبابُ الكِفاحِ كَثِيرُ

أبَتْ سُنّةُ العُمْرانِ إلّا تَنَاحُرًا * وكَدْحًا ولو أنّ البَقاءَ يَسِيرُ

تُحاوِلُ رَفْعَ الشَّرِّ والشرُّ واقِعٌ * وتَطْلُبُ مَحْضَ الخَيْرِ وهوَ عَسِيرُ

ولولا امْتِزاجُ الشَّرِّ بالخَيْرِ لم يَقُمْ * دَلِيلٌ على أنَّ الإلٰهَ قَدِيرُ

ولم يَبْعَثِ اللهُ النَّبِيِّينَ للهُدَى * ولَمْ يَتَطَلَّعْ للسَّرِيرِ أَمِيرُ

ولَم يَعْشَقِ العَلْياءَ حُرٌّ ولَم يَسُدْ * كَرِيمٌ ولَم يَرْجُ الثَّراءَ فَقِيرُ

ولو كانَ فِينا الخَيْرُ مَحْضًا لَمَا دَعَا * الى اللهِ داعٍ أو تَبَلَّجَ نُورُ (٢)

ولا قِيلَ هٰذا فَيلسوفٌ موفّقٌ * ولا قِيلَ هٰذا عالِمٌ وخَبِيرُ

فكَمْ فِي طَرِيقِ الشرِّ خَيرٍ ونِعْمَةٍ * وكَم فى طَرِيقِ الطَّيِّباتِ شُرُورُ (٣)

ألَم تَرَ أنّي قُمْتُ قَبلَكَ داعِيًا * الى الزُّهْدِ لا يَأْوِى الىَّ ظَهِيرُ (٤)

أطَاعُوا (أَبِيقُورًا) و(سُقْرَاطَ) قَبْلَه * وخُولِفْتُ فيما أرْتَئِي وأُشِيرُ (٥)

(١) صبا : مال وحن . وتميرهم : تأتيهم بالميرة ، وهى الطعام .

(٢) تبلج ، أشرق . (٣) يلاحظ أن الرفع فى قوله «شرور» آخر البيت لضرورة حركة الروى ، وإلا فالوجه نصبه على الأرجح ، للفصل بينه وبين « كم » الخبرية بجار ومجرور : أو جره ، على مذهب بعض النحويين . (٤) الظهير : المعين . (٥) ولد ابيقور الفيلسوف الإغريقى سنة ٣٤٢ ق م فى جزيرة ساموس ، وأسس فى أثينا مدرسة فى حديقة منزله . وتوفى سنة ٢٧٠ ق م . واشتهر بدعوته إلى طلب اللذات فى الحياة ، وأخطأ الناس ففهموا من فلسفته الإباحية المطلقة . وسقراط : فيلسوف يونانى معروف ، عاش من سنة ٤٦٨ ق م الى سنة ٤٠٠ ق م . ولم يعرف مذهبه فى اللذة بالضبط ، من أجل ذلك وجدت مذاهب مختلفة بعده تنسب اليه ، منها مذهب اللذة .

ومتّ وما ماتَتْ مَطامعُ طامعٍ * عليها ولا أَلْقَى القِيادَ ضَميرُ[(١)]

إذا هُدِمَتْ للظُّلْمِ دُورٌ تَشَيَّدَتْ * له فَوْقَ أَكْتافِ الكواكِبِ دُورُ

أفاضَ كِلانا فى النَّصيحَة جاهدًا * وماتَ كِلانا والقُلُوبُ صُخُورُ

فكَمْ قِيلَ عَنْ كَهْفِ المَساكِينِ باطِلٌ * وكَمْ قِيلَ عَنْ شَيْخِ (المَعَرَّةِ) زُورُ[(٢)]

وما صَدَّ عَنْ فِعْلِ الأَذَى قَوْلُ مُرْسَلٍ * وما راعَ مَفْتُونَ الحَياةِ نَذِيرُ[(٣)]

رثاء رياض باشا[(٤)]

أنشدها على قبره فى حفل الأربعين

[نشرت فى ٢٩ يوليه سنة ١٩١١ م]

(رِياضُ) أَفِقْ مِنْ غَمْرَةِ المَوْتِ وٱسْتَمِعْ[(٥)] * حَديثَ الوَرَى عَنْ طِيبِ ما كُنْتَ تَصْنَعُ

أَفِقْ واسْتَمِعْ مِنِّى رِثاءً جَمَعْتُه * تُشارِكُنى فيه البَرِيَّةُ أَجْمَعُ

لِتَعْلَمَ ما تَطْوِى الصُّدُورُ مِنَ الأَسَى * وتَنْظُرَ مَقْرُوحَ الحَشا كيفَ يَجْزَعُ

---

(١) عليها ، أى على الأرض . وإلقاء القياد : كناية عن الإذعان والطاعة . والقياد بالكسر : الحبل يقاد به .

(٢) كهف المساكين : ملجؤهم . ويريد به هنا : تولستوى . وشيخ المعرة ، هو أبو العلاء المعرى السابق ذكره . ويريد بهذا البيت . أن كلا الرجلين قد اتهم بما ليس فيه ، ورماه الناس فى عقيدته ومذهبه بما هو برىء منه .

(٣) راعه : أفزعه . والمفتون : المخدوع .

(٤) كان رياض باشا من رجال عباس باشا الأول ، وتولى عدة مناصب عالية فى عهد إسماعيل وتوفيق وعباس الثانى ، وأسندت إليه رآسة مجلس النظار ثلاث مرات ، وترك الحكم فى ١٤ أبريل سنة ١٨٩٤ م ، وتوفى بالأسكندرية فى ١٧ يونيه سنة ١٩١١ وكان معروفا بالعدل والشدة فى تنفيذ الأحكام ، وكانت له أياد بيضاء فى تنظيم شؤون الداخلية .

(٥) الغمرة : الشدة .

لئن تكُ قد عُمِّرتَ دَهْرًا لقد بكَى * عليكَ معَ الباكِى خَلائقُ أَربعُ :
مَضاءٌ وإقدامٌ وحَزْمٌ وعَزْمَةٌ * مِنَ الصّارِمِ المَصْقُولِ أَمْضَى وأَقطَعُ (١)
رُحِمْتَ ، فما جاهٌ يُنَوِّهُ فى العُلا * بصاحِبِه إلّا وجاهُكَ أَوسَعُ (٢)
ولا قامَ فى أيّامِكَ البِيضِ ماجِدٌ * يُنازِعُكَ البابَ الّذى كنتَ تَقرَعُ
إذا قِيلَ : مَنْ للرأْىِ فى الشَّرْقِ أَوْمَأَتْ * إلى رَأْيِكَ الأَعْلَى مِنَ الغَرْبِ اصْبعُ (٣)
وإنْ طَلَعَتْ فى (مِصْرَ) شَمْسُ نَباهَةٍ * فمِنْ بَيْتِكَ المَعْمُورِ تَبْدو وتَطْلُعُ
حَكَمْتَ فما حَكَّمْتَ فى قَصْدِكَ الهَوَى * طَرِيقُكَ فى الإنْصافِ والعَدْلِ مَهْيَعُ (٤)
وقد كنتَ ذا بَطْشٍ ولكنّ تَحْتَه * نَزاهةَ نَفْسٍ فى سَبِيلِكَ تَشْفَعُ (٥)
وَقَفْتَ (لإسماعيلَ) والأَمْرُ أَمْرُه * وفى كَفِّه سَيْفٌ مِنَ البَطْشِ يَلْمَعُ (٦)
إذا صاحَ لَبّاهُ القَضاءُ وأَسْرَعَتْ * إلى بابِه الأيّامُ ، والناسُ خُشَّعُ
يُذِلُّ — إذا شاءَ — العَزِيزَ وتَرْتَقِى * إرادَتُه رَفْعَ الذَّلِيلِ فيُرْفَعُ
فَفِى كَرّةٍ مِنْ لَحْظِهِ وهوَ عابِسٌ * تُدَكُّ جِبالٌ لَمْ تَكُنْ تَتَزَعْزَعُ (٧)

---

(١) الصارم المصقول : السيف المجلو . (٢) نوه به : رفع ذكره .
(٣) أومأت : أشارت . (٤) المهيع من الطريق : البين الواضح .
(٥) يقول : إن ابتعاد الفقيد عما يدنس أرباب الحكم من المظالم كان يشفع له عند الناس إذا أخذهم بالقسوة والعنف فى تنفيذ الأحكام . (٦) يشير إلى معارضته (إسماعيل باشا) الخديوى عند ما أراد نفى (إسماعيل باشا صديق) ، وكان رياض باشا الرجل الوحيد الذى عارض فى هذا النفى ، وطلب محاكمته علنا ليعلم جرمه .
(٧) تدك : تهدم .

وفى كَرَّةٍ مِنْ لَحْظِه وهـــوَ باسِمٌ * تَسِيلُ بِحارٌ بالعَطاءِ فَتَمْرَعُ (١)

فما أَغْلَبٌ شاكِى العَــزِيمَةِ أَرْوَعٌ * يُصارِعُه فِى الغابِ أَغْلَبُ أَروعَ (٢)

بأَجْرَأَ مِنْ ذاكَ الوَزِيرِ مُصادِماً * إرادةَ (إسْماعِيلَ) والموتُ يَسْمَعُ (٣)

وفى الثَّوْرَةِ الكُبْرَى وقد أَحْدَقَتْ بِنا * صُرُوفُ اللَّيالِى والمَنِيَّةُ مَشْرَعُ (٤)

نَظَرْتَ الى (مِصْرٍ) فساءَكَ أَنْ تَرَى * حُلاها بأَيْدِى المُسْتَطِيلِينَ تُنْزَعَ (٥)

ولَمْ تَسْتَطِعْ صَبْراً على هَتْكِ خِدْرِها * ففارَقْتَها أَسْوانَ والقَلْبُ مُوجَعُ (٦)

وعُدْتَ اليها حِينَ ناداكَ نِيلُها : * أَقِلْ عَثْرَتِى فالقَوْمُ فى الظُّلْمِ أَبْدَعُوا (٧)

فكنتَ (أبا مَحْمُودَ) غَوْثاً وعِصْمَةً * اليكَ دُعاةُ الحَقِّ تَأْوِى وتَفْزَعُ (٨)

وكم نابِغٍ فى أَرْضِ (مِصْرَ) حَمَيْتَه * ومِثْلُكَ مَن يَحْمِى الكَرِيمَ ويَمْنَعُ (٩)

(١) تمرع، أى تفيض بالخصب والخير . (٢) الأغلب : الأسد، لغلظ رقبته . وشاكى العزيمة، أى ذو شوكة وحدّة فى عزيمته . والأروع : من يعجبك بشجاعته . (٣) والموت يسمع : كناية عن قربه .
(٤) أحدقت بنا : أحاطت . وصروف الليالى : نوائبها . والمشرع : المورد .
(٥) المستطيلون : المتجبرون . (٦) الأسوان : الحزين .
(٧) العثرة : الكبوة والزلة . وإقالتها : إنهاض صاحبها والأخذ بيده . يشير بهذا البيت والأبيات الثلاثة قبله : إلى هجرة الفقيد من مصر إلى أوربا، عند ما ثار الضباط فى عهد إسماعيل فى ١٨ فبراير سنة ١٨٧٩ م، لأن ناظر المالية إذ ذاك السير (ريفرس ولسن) رأى أن يرفت ٢٥٠٠ ضابط على سبيل الاقتصاد من غير أن يدفع لهم المتأخر من مرتباتهم، فتظاهروا أمام نظارة المالية، وأوسعوا نوبار باشا رئيس النظار و (ولسن) لكما وضربا، وكادوا ينالون من الفقيد، وكان وزيرا للداخلية فى هذه الوزارة؛ وقد بقى الفقيد فى أوربا حتى دعاه المغفور له توفيق باشا لتولى رآسة النظار، فعاد إلى مصر فى ٣ سبتمبر سنة ١٨٧٩ م . (٨) منع الشاعر (محمودا) من الصرف لضرورة الشعر . (٩) يشير بقوله «وكم نابغ» والأبيات الأربعة الآتية بعد : إلى ترحيب الفقيد وتعضيده للسيد جمال الدين الأفغانى حينما ترك الآستانة إلى مصر سنة ١٨٧١ وإلى ما كانت تمدّه به حكومة رياض من مساعدة مالية، ذلك إلى أنها رخصت له فى إلقاء محاضرات فى الأزهر لينشر آراءه ويستفيد الناس من علمه .

رَعَيْتَ (جمالَ الدِّينِ) ثمَّ اصْطَفَيْتَه (١) * فأَصْبَحَ فى أَفْياءِ جاهِكَ يَرْتَعُ
وقد كانَ فى دارِ الخلافةِ ثاوِياً (٢) * وفى صَدْرِه كَنْزٌ مِنَ العِلْمِ مُودَعُ
فجِئْتَ به والنَّاسُ قد طالَ شَوْقُهُمْ * إلى أَلْمَعِىٍّ بالبَراهينِ يَصْدَعُ (٣)
فحَرَّكَ مِن أَفْهامِهِمْ وعُقُولِهِمْ * وعاوَدَهُمْ ذاكَ الذَّكاءُ المُضَيَّعُ
ووَلَّيْتَ تَحْرِيرَ الوَقائعِ (عَبْدَهُ) (٤) * فجاءَ بما يَشْفِى الغَلِيلَ ويَنْقَعُ
وكانَتْ لرَبِّ النّاسِ فيه مَشِيئَةٌ (٥) * فأَمْسَتْ إليه النّاسُ فى الحَقِّ تَرْجِعُ
وجاءُوا (بإبراهيمَ) فى القَيْدِ راسِفاً (٦) * عليه مِنَ الإمْلاقِ ثوبٌ مُرَقَّعُ
فأَلْفَيْتَ مِلْءَ الثَّوْبِ نَفْساً طَمُوحةً (٧) * الى المَجْدِ مِنْ أَطْمارِها تَتَطَلَّعُ
فأَطْلَقْتَه مِنْ قَيْدِه وأَقَلْتَه * وما كانَ فى تِلْكَ السَّعادَةِ يَطْمَعُ
وكَمْ لكَ فى (مِصْرٍ) وفى (الشَّأْمِ) مِنْ يَدٍ (٨) * لها أَينَ حَلَّتْ نَفْحَةٌ تَتَضَوَّعُ

---

(١) الأفياء : الظلال ، الواحد فىء .

(٢) ثاويا : مقيما .

(٣) الألمعى ، الذكى المتوقد . ويصدع بالبراهين : يجهر بها . (٤) عبده ، أى الشيخ محمد عبده ، وكان رياض باشا قد عهد إليه فى سنة ١٨٨٠ م بالإشراف على تحرير الوقائع المصرية حيث خصص فيها قسم للحركة الأدبية والعمرانية . والغليل : شدة العطش . ونقعه : إرواؤه .

(٥) أى وكانت لله مشيئة فى أن يكون الشيخ محمد عبده عظيم القدر ، موئلا للحق .

(٦) يريد بإبراهيم : ابراهيم الهلباوى بك المحامى المعروف . ويشير بهذا البيت والبيتين اللذين بعده إلى ما كان من طعن الهلباوى على الحكومة والمجىء به متهما أمام رياض باشا ، فأنس منه رياض ماسر به فعفا عنه ، وتولاه برعايته . (٧) نفسا طموحة ، أى مستشرفة إلى معالى الأمور ، متطلعة إليها . والمسموع ، طموح ، بلا تاء فى آخره ، للذكر والمؤنث . والأطمار : الخلق من الثياب ، الواحد طمر (بالكسر) . (٨) تتضوع : تنتشر رائحتها .

رفعتَ عن الفلّاح عِبْءَ ضريبةٍ * ينُوءُ بها أيّامَ لا غوثَ ينفعُ (١)

وأرهبتَ حُكّامَ الأقاليم فارْعَوَوْا * وكانوا أُناسًا فى الجهالة أوْضعُوا (٢)

نخافُوكَ حتّى لو تناجَوْا بنجْوةٍ * لخالُوا (رياضًا) فوقهُم يتَسمَّعُ (٣)

أقمتَ عليهم زاجرًا مِنْ نُفوسهمْ * اذا سوَّلَتْ أمْرًا لهمْ قامَ يردَعُ (٤)

سَلِ النّاسَ أيّامَ الرُّشا مُستفيضةٌ * وأيّامَ لا تَجْنِى الّذى أنتَ تزرَعُ (٥)

أكانَ (رياضٌ) عنهمُ غيرَ غافلٍ * يرُدُّ الأذَى عن أهلِ (مِصْرَ) ويدْفَعُ

(أمُؤتمرَ الإصلاح) والعُرفِ، قد مَضى * (رياضٌ) وأودَى الوازِعُ المُتورِّعُ (٦)

وكانَ علَى كُرْسيِّه خيرَ جالسٍ * لهَيْبتهِ تعْنُو الوُجوهُ وتخشَعُ (٧)

فيا وَيْلَنا إنْ لمْ تَسُدُّوا مكانَه * بذى مِرَّةٍ فى الخَطْبِ لا يتضعضَعُ (٨)

---

(١) العبء : الحمل . وينوء بها : لم يستطع حملها والنهوض بها . والغوث : المعين والناصر . ويشير إلى الغاء رياض باشا بعض الضرائب ، وكان مجموع ما ألغى منها أربعا وعشرين ضريبة ، منها عوائد الجمارك الداخلية التى كان يتضجر منها الفلاحون ، والضريبة الشخصية ، وضريبة الوزن .

(٢) ارعوى : كف وانتهى . وأوضعوا فى الجهالة ، أى انغمسوا فيها واسترسلوا .

(٣) تناجوا : تساروا . والنجوة : ما ارتفع من الأرض . يريد المكان البعيد عن الرقباء .

(٤) يردع : يزجر .

(٥) الرشا : جمع رشوة (بتثليث الراء) ، وهى معروفة « وأيام لا تجنى » الخ ، أى أيام كان يحرم العامل ثمرة عمله .

(٦) يشير الى أثر الفقيد فى مؤتمر الإصلاح الذى انعقد فى سنة ١٩١١ م ، وتوالت جلساته خمسة أيام . وكان هذا المؤتمر غرضان : أولهما النظر فى حال المسلمين الاقتصادية والاجتماعية والأدبية . والثانى الردّ على مطالب الأقباط التى طلبوها فى مؤتمرهم المنعقد بأسيوط قبل ذلك فى ٦ مارس من السنة المذكورة . وكان الفقيد رئيسا لهذا المؤتمر الإسلامى ، أو المؤتمر المصرى . وأودى : هلك . والوازع : الزاجر . والمتورّع : المتحرج .

(٧) تعنو : تذل وتخضع .

(٨) المرّة : القوة والعزيمة .

بَعِيدِ مَرامِ الفِكْرِ أمّا جَنانُه (١) * فَرَحْبٌ ، وأمّا عِزُّه فمُمنَّعُ

فيا ناصِرَ المُسْتَضْعَفِينَ إذا عَدا * عليهم زَمانٌ بالعَداوةِ مُولَعُ (٢)

عَلَيكَ سَلامُ اللهِ ما قامَ بَيْنَنا * وَزِيرٌ على دَسْتِ العُلا يَتَرَبَّعُ (٣)

رثاء الشيخ على يوسف صاحب المؤيد (٤)

أنشدها فى الحفل الذى أقيم لتأبينه بمنزل السادات

[نشرت فى ٥ ديسمبر سنة ١٩١٣ م]

صُونُوا يَراعَ (عَلِيٍّ) فى مَتاحِفِكُمْ * وشاوِرُوه لَدَى الأَرْزاءِ والنُّوَبِ

واستَلْهِمُوه إذا ما الرَّأْىُ أَخْطَأَكُمْ * يومَ النِّضالِ عن الأَوْطانِ والنَّشَبِ (٥)

قد كان سَلْوَةَ (مِصْرٍ) فى مَكارِهِها * وكانَ جَمْرَةَ (مِصْرٍ) ساعةَ الغَضَبِ

فى شِقِّه وَمَرامِيه ورِيقَتِه * ما فى الأَساطِيلِ مِنْ بَطْشٍ ومِنْ عَطَبِ (٦)

كم رَدَّ عَنّا وعَيْنُ الغَرْبِ طامِحَةٌ * مِنَ الرَّزايا وكَمْ جَلَّى مِنَ الكُرَبِ (٧)

---

(١) الجنان : القلب . (٢) مولع : مغرم . (٣) الدست : المجلس .

(٤) ولد الشيخ على يوسف الكاتب المعروف صاحب المؤيد فى بلصفورة من أعمال مديرية جرجا ، وحفظ القرآن ، وتلقى مبادئ العلوم فى بلدة بنى عدى من أعمال منفلوط ، ثم أرسل الى الأزهر فتعلم فيه بعض علوم اللغة والدين ، وأنشأ جريدة المؤيد ، ظهر أول عدد منها فى ديسمبر سنة ١٨٨٩ م ، وكان المرحومان رياض باشا وسعد زغلول باشا من أكبر أنصاره على القيام بعبء هذه الصحيفة ؛ وتوفى فى سنة ١٩١٣ م ، وكان كاتبا معروفا بالجدل وقوة الحجة ، وتولى مشيخة سجادة الوفائية .

(٥) النشب : المال . (٦) ريقة القلم : مداده . والعطب : الهلاك .

(٧) جلى : كشف .

له صَــريرٌ اذا جَــدَّ الــنِّزالُ به * يُنْسِى الكُماةَ صَليلَ البِيضِ والقُضُبِ (١)

ما ضَرَّ مَنْ كان هٰــذا فى أَنامِلِه * أنْ يَشْهَدَ الحَرْبَ لم يَسْكُنْ الى يَلَبِ (٢)

فـلو رآه (آبْنُ أَوْسٍ) ما قرَأْتَ له : * (السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْباءً مِن الكُتُبِ) (٣)

أَلَا فَــتًى عَرَبِىٌّ يَسْــتَقِلُّ بــه * بعـدَ الفَقِيدِ ويَحْمِى حَوْزَةَ الأَدَبِ

ويَمْنَــعُ الحَقَّ أَنْ يُغْشِى تَبلُّجَه * ما فى السِّياسَةِ مِنْ زُورٍ ومِنْ كَذِبِ (٤)

أَوْدَى فَتَى الشَّرْقِ، بل شَيْخُ الصِّحافَة بَلْ * شَــيْخُ الوَفائِيّــة الوَضّاحَةِ الحَسَبِ

أَقامَ فِينَــا عِصامِيًّــا فعَلَّمَنَــا * مَعْنَى الثَّبـاتِ ومَعْنَى الجِدِّ والدَّأَبِ (٥)

ورَاحَ عَنّا ولَمْ تَبْلُــغْ عَزائِمُنــا * مَدَى مُنـاها ولَمْ تَقْرُبْ مِنَ الأَرَبِ

قالوا عَجِبْنـا لِمِصْرٍ يومَ مَصْــرَعِهِ * وقد عَجِبْتُ لهمْ مِنْ ذٰلك العَجَبِ (٦)

---

(١) صرير القلم : صوته فى الكتابة . وصليل البيض والقضب : أصـوات السيوف . والكماة : الشجعان ؛ الواحد كمى . (٢) اليلب : الدروع من الجلود . يريد أن من كان هذا القلم من أسلحته شهد الحروب بغير درع يقيه أسلحة الأبطال ، وحسبه هذا القلم وقاية له . (٣) يريد حبيب بن أوس الطائى المعروف بأبى تمـام . والشطر الثانى من هذا البيت هو صدر بيت له من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله الخليفة العباسى حين فتح عمورية ، وعجز البيت :

* فى حده الحد بين الجد واللعب *

فحافظ يقول : إن أبا تمام لو رأى هذا القلم لعرف فضله على السيف .

(٤) يغشى تبلجه ، أى يحجب إشراقه . (٥) العصامى : الذى ساد بنفسه لا بآبائه ، نسبة الى عصام الذى يقول فيه الشاعر :

* نفس عصام سوّدت عصاما *

والدأب فى العمل : الاستمرار عليه والاجتهاد فيه . (٦) قالوا عجبنا ... الخ ، أى عجبنا لأهل مصر فى تلقيهم نعى الفقيد فى فتور وقلة اكتراث .

إنّ الأُلَى حَسِبُوها غيرَ جازِعَةٍ * لا يَنْظُرونَ إلى الأَشْياءِ مِنْ كَثَبِ (١)

تاللهِ ما جَهِلَت فيه مُصِيبَتَها * ولا الّذى فَقَدَتْ مِنْ كاتِبِ العَرَبِ

لكنّها أَلِفَتْ والأَمْرُ يَحْزُبُها * فَقْدَ الرِّجالِ ومَوْتَ السّادةِ النُّجُبِ (٢)

وعَلَّمَتْها اللّيالى أَنْ تُصابِرَها * فى الحادِثاتِ وإِنْ أَمْعَنَّ فى الحَرَبِ (٣)

كم أَرْجَفُوا بعدَ موتِ الشَّيْخِ وارْتَقَبُوا * موتَ (المُؤَيَّدِ) فِينا شَرَّ مُرْتَقَبِ (٤)

وإِنْ يَمُتْ تَمُتِ الآمالُ فى بَلَدٍ * لولا (المُؤَيَّدُ) لم يَنْشَطْ إلى طَلَبِ

صُبابَةٌ مِنْ رَجاءٍ بين أَضْلُعِنا * قد باتَ يَرْشُفُ منها كلُّ مُغْتَصَبِ (٥)

أَلَمْ يَكُنْ لبنى (مِصْرٍ) وقد دُهِمُوا * مِنْ ساسَةِ الغَرْبِ مِثْلَ المَعْقِلِ الأَشِبِ (٦)

كم أنبرت فيه أَقْلامٌ وكم رُفِعَتْ * فيه مَنائِرُ مِنْ نَظْمٍ ومِنْ خُطَبِ

وكان مَيْدانَ سَبْقٍ للأُلَى غَضِبُوا * للدِّينِ والحَقِّ مِنْ داعٍ ومُحْتَسِبِ

فكم يَراعِ حَكِيمٍ فى مَشارِعِه * قد الْتَقَى بيَراعِ الكاتِبِ الأَرِبِ (٧)

---

(١) الكثب (بالتحريك) : القرب . أى لا ينظرون الأمور على حقائقها .

(٢) حزبه الأمر : اشتد عليه وضغطه .

(٣) الحرب (بالتحريك) : اشتداد الغضب .

(٤) أرجف القوم : خاضوا فى الأخبار السيئة على أن يوقعوا بين الناس الاضطراب من غير أن يصح عندهم شىء .

(٥) الصبابة : البقية . يقول : ان المؤيد بقية من رجاء وعزاء يلوذ بها كل مغصوب الحق .

(٦) الضمير فى « يكن » للمؤيد . والمعقل : الحصن . والأشب : الممتنع بما حوله من السياج والسلاح ، وهو من قولهم : شجر أشب ، أى ذو شوك مشتبك بعضه ببعض .

(٧) المشارع : المناهل ، الواحد مشرع (بفتح الميم والراء) . والأرب : البصير الفطن .

أىُّ الصّحائف فى القُطْرَيْنِ قد وَسِعَتْ * رَدَّ (الإمامِ) مُزِيلِ الشَّكِّ والرِّيَبِ (١)

أيّامَ يَحْصِبُ (هانُوتُو) بفِرْيَتِه * وَجْهَ الحقيقةِ والإسلامُ فى نَحَبِ (٢)

مالى أُعَدِّدُ آثارَ الفقيدِ لكم * والشرقُ يَعْرِفُ رَبَّ السَّبْقِ والغَلَبِ

لولا (المُؤَيَّدُ) ظَلَّ المُسْلِمُون على * تناكُرٍ بينهم فى ظُلْمَةِ الحُجُبِ

تَعارَفُوا فيه أرْواحًا وضَمَّهُمُ * رَغْمَ التنائِى زِمامٌ غيرُ مُنْقَضِبِ (٣)

فى مِصْرَ فى تُونُسٍ فى الهِنْدِ فى عَدَنٍ * فى الرُّوسِ فى الفُرْسِ فى البَحْرَيْنِ فى حَلَبِ

هٰذا يَحِنُّ إلى هٰذا وقد عُقِدَتْ * مَوَدَّةٌ بينهم مَوْصُولةُ السَّبَبِ

(أبا بُثَيْنَةَ) نَمْ يَكْفِيكَ ما تَرَكَتْ * فينا يَداكَ وما عانَيْتَ مِنْ تَعَبِ

جاهَدْتَ فى اللهِ والأَوْطانِ مُحْتَسِبًا * فارْجِعْ إلى اللهِ مَأْجُورًا وفُزْ وطِبِ

واحمِلْ بيُمْناكَ يومَ النَّشْرِ ما نَشَرَتْ * تلك الصَّحيفةُ فى دُنْياكَ وانْتَسِبِ (٤)

---

(١) يريد «بالإمام» : الشيخ محمد عبده . ويشير إلى ردّه على هانوتو الذى نشره فى صحيفة المؤيد .

(٢) يحصب : يرمى . والفرية : الكذبة . والنحب (بسكون الحاء، وفتحها هنا لضرورة الوزن): أشدّ البكاء .

(٣) التنائى : التباعد . ومنقضب : منقطع .

(٤) وانتسب، أى انتسب إلى تلك الصحيفة فهى حسبك من نسب .

رثاء على أبى الفتوح باشا [١]

أنشدها فى الحفل الذى أقيم لتأبينه فى الجامعة

[نشرت فى ٩ فبراير سنة ١٩١٤ م]

جَلَّ الأَسَى فَتَجَمَّلِي * وإذا أَبَيْتِ فأَجْمِلِي [٢]

يامِصْرُ قد أَوْدَى فَتَا * كِ ولا فَتَى إلّا (عَلِي)

قد ماتَ نابِغَةُ القَضا * ءِ وغابَ بَدْرُ المَحْفِلِ

وعَدَا القَضاءُ على القَضا * ءِ فصابَه فى المَقْتَلِ [٣]

حَلّالُ عَقْدِ المُعْضِلا * تِ قَضَى بِداءٍ مُعْضِلِ

وَيْحَ الكِنانَةِ مالَها * فى غَمْرَةٍ لا تَنْجَلِي [٤]

باتَتْ وكارِثَةٌ تَمُرُّ بِها وكارِثَةٌ تَلِي

يازَهْرَةَ الماضِى ويا * رَيْحانَةَ المُسْتَقْبَلِ

كُنّا نُعِدُّكَ للشَّدا * ئِدِ فى الزَّمانِ المُقْبِلِ

---

(١) على أبو الفتوح باشا ، هو ابن أحمد أبو الفتوح باشا . ولد ببلقاس من أعمال الغربية فى سنة ١٨٧٣ م وبعد أن أخذ حظه من التعلم فى مصر سافر الى أوربا لتلقى علوم القانون بكلية مونبليه بفرنسا ، ولبث فيها ثلاث سنوات نال بعدها شهادة الليسانس ، وقد شهد له أساتذته فى تقريراتهم الرسمية بأنه يكتب اللغة الفرنسية كأحد أبنائها . وكان ينشر بعض المباحث فى المجلات الفرنسية ، وعاد الى مصر فى سنة ١٨٩٥ م . وآخر منصب تولاه فى الحكومة المصرية وكالة المعارف فى ٥ أبريل سنة ١٩١٠ م ، وتوفى فى ٢٨ ديسمبر سنة ١٩١٣ م .

(٢) تجملى ، أى لا تظهرى الجزع . وأجملى ، أى ارفقى ، يخاطب مصر .

(٣) يريد « بالقضاء » الأول : الموت ، وبالثانى : الفصل فى الخصومات .

(٤) الغمرة : ما يغمر الناس ، أى يشملهم من الخطوب والأرزاء .

يا لابسَ الخُلُقِ الكريـ * ـمِ المُطْمَئِنِّ الأَمْثَـــلِ

فارَقْتَنا في حِينِ حا * جَتِنا ولَمْ تَتَمَهَّـــلِ

يا راميًا صَدْرَ الصِّعا * بِ رِماكَ رامى الأَجْدَلِ (١)

يا حافِظًا غَيْبَ الصَّديـ * ـقِ ويا كَرِيمَ المِقْـــوَلِ (٢)

أَيُّ المَحامِدِ غَضَّـــةٌ * بِحُـــلاكَ لَمْ تَتَجَمَّـــلِ (٣)

تَلْهُـــو لِداتُكَ بالصِّبا * لَهْــوًا وأَنتَ بِمَعْـــزِلِ (٤)

تَسْـــعَى وَراءَ الباقِيا * تِ الصالِحاتِ وتَعْتَلى

بينَ المَحابرِ والدَّفا * ترِ دائِبًا لا تَأْتَـــلِى (٥)

أَدْرَكْتَ عِلْمَ الآخِريـ * ـنَ وحُزْتَ فَضْلَ الأَوَّلِ

أَدْنَى مَرامِكَ هِمَّـــةً * فَـــوقَ السِّماكِ الأَعْزَلِ (٦)

وأَجَلُّ قَصْدِكَ أَنْ تَرَى * (مِصْرًا) تَسُودُ وتَعْتَـــلِى

دَرَجَ الأَحِبَّـــةُ بَعْدَ ما * تَرَكُوا الأَسَى والحُزْنَ لِى (٧)

لَمْ يَحْـــلُ لى مِنْ بَعْدِهِمْ * عَيْشٌ ولَـــمْ أَتَعَـــلَّلِ (٨)

---

(١) الأجدل : الصقر ، وهو معروف بالحذر والحرص . يقول : أصابك الموت الذى يصيب أشدّ المخلوقات حذرا وحرصا .
(٢) المقول : اللسان .
(٣) الغضة : الناضرة .
(٤) لداتك : من ولدوا معك .
(٥) لا تأتلى : لا تقصر .
(٦) السماك : اسم يطلق على نجمين نيرين ، وهما الأعزل والرامح ، وسمى أعزل ، لأنه لا شىء بين يديه من الكواكب ؛ وهو من منازل القمر ، والرامح ليس من منازله .
(٧) درج الأحبة : ذهبوا ومضوا .
(٨) أتعلل : أتشاغل وأتلهى .

لى كلّ عامٍ وقفةٌ * حَرّى على مُتَرَحّلِ

أَبكِى بُكاءَ الثّاكلا (١) * تِ وأَصْطَلِي ما أَصْطَلِي

لَم يُبْقِ لى يَومُ الفَقيـ * ـدِ عَزيمَةً لَم تُفْلَلِ

يومٌ عبوسٌ قد مضَى * بفَتًى أَغَرَّ مُحجَّلِ (٢)

مَنْ لَمْ يُشاهِدْ هَوْلَه * عندَ القَضاءِ المُنْزَلِ

لم يَدْرِ ما قَصْمُ الظُّهو * رِ ولا انْخِزالُ المَفْصِلِ (٣)

يا قَبْرُ وَيْحَكَ ما صَنَعْـ * ـتَ بوَجْهِه المُتَهَلِّلِ

عَبَسَتْ منه نَضْرَةٌ * كانتْ رِياضَ المُجْتَلِي (٤)

وعَبَثْتَ منه بطُرَّةٍ * سَوْداءَ لمّا تَنْصُلِ (٥)

يا قَبْرُ هل لَعِبَ البِلَى * بلِطافِ تلك الأَنْمُلِ؟

لَهْفِي عليها فى الطُّرو * سِ تَسِيلُ سَيْلَ الجَدْوَلِ (٦)

لَهْفِي عليها فى الجِدَا * لِ تَحُلُّ عَقْدَ المُشْكِلِ

لَهْفِي عليها للرَّجَا * ءِ وللعُفاةِ السُّؤَّلِ (٧)

(١) اصطلى النار : قاسى حرها .

(٢) أغر محجل ، أى مشهور المكانة معروف المنزلة . والأغر والمحجل : اصلهما من صفات الخيل .

(٣) انخزال المفصل : انفصاله . (٤) المجتلى : الناظر المستوضح للأشياء .

(٥) لما تنصل ، أى لم تخرج من لونها بعد ، وهو السواد . يريد أنها لم يدركها الشيب .

(٦) الجدول : النهر الصغير .

(٧) العفاة : طلاب المعروف ؛ الواحد عاف (كقاض) .

يا قبرُ ضيفُك بيننا * قد كانَ خيرَ مؤمَّلِ
لم ينقبض كِبْراً بنا * ديه ولم يتبذَّلِ
إنى حللتُ رحابَه * فنزلتُ أكرمَ منزلِ
ونهلتُ من أخلاقه * فوردتُ أعذبَ منهلِ (١)

رثاء فتحى وصادق

قالها فى رثاء الطيارين العثمانيين فتحى بك وصادق بك اللذين سقطت بهما الطيارة قرب دمشق، وكانا يعتزمان الطيران من دمشق إلى القدس ثم إلى مصر، و يؤمل فيها وصول الطيار الآخر نورى بك سالما

[نشرت فى أول أبريل سنة ١٩١٤م]

أختَ الكواكبِ ما رما * كِ وأنتِ راميةُ النسورِ؟ (٢)
ماذا دهاكِ وفوقَ ظهـ * ـرِكِ مَرْبِضُ الأسدِ الهَصُورِ؟ (٣)
خضعتْ لإمرَته الريا * حُ مِنَ الصَّبا ومِنَ الدَّبُورِ (٤)
فغدا يُصَرِّفُ مِن أعـ * ـنَّتِها تصاريفَ القديرِ
(فتحى) وهل لى إنْ سألْـ * ـتُ عنِ المصيبةِ مِنْ مُجيرِ؟ (٥)
وَيْلاهُ هل جُزْتَ الحُدو * دَ وأنتَ مُخْترقُ السُّتورِ؟ (٦)

---

(١) نهلت : شربت . (٢) أخت الكواكب، يخاطب الطائرة .

(٣) مربض الأسد : موضع ربوضه، أى بروكه . والهصور : الذى يهصر فريسته، أى يكسرها .

(٤) الصبا : ريح الشمال . والدبور : الريح التى تقابلها . (٥) المجير : المجيب .

(٦) جزت الحدود ... الخ . يقول : هل جاوزت الحدود التى تفصل بين العالمين : عالم السماء وعالم الأرض، واخترقت الحجب التى بينهما ؟

فـرماكَ حُرّاسُ السَّما ‌‌* ءِ وتلكَ قاصمةُ الظُّهُورِ (١)

أمْ غارَ منكَ السابحا ‌‌* تُ وأنتَ تَسْبَحُ فى الأثيرِ (٢)

حَسَدَتْكَ حِينَ رَأَتْكَ وَحْـ ‌‌* ـدَكَ ثَمّ كالفَلَكِ المُنِيرِ

والعَيْنُ مِثْلُ السَّهْمِ تَنْـ ‌‌* ـفُذُ فى التَّرائِبِ والنُّحُورِ (٣)

حاوَلْتَ أنْ تَرِدَ المَجَرَّةَ * والوُرُودُ مِنَ العَسِيرِ

فوَرَدْتَ يا (فَتْحِى) الحِمَا ‌‌* مَ وأنْتَ مُنْقَطِعُ النَّظِيرِ

وهَوَيْتَ مِنْ كَبِدِ السَّما ‌‌* ءِ وهٰكَذا مَهْوَى البُدُورِ

إنْ كانَ أعْياكَ الصُّعو ‌‌* دُ بِذٰلِكَ الجَسَدِ الطَّهُورِ

فاسْبَحْ بِرُوحِكَ وَحْدَها ‌‌* واصْعَدْ إلى المَلِكِ الكَبِيرِ

إنْ راعَنا صَوْتُ النَّعِىِّ * وفاتَنا نَبَأُ البَشِيرِ (٤)

فلَعَلَّ مَنْ ضَنَّتْ يَدا ‌‌* هُ على الكِنانَةِ بالسُّرُورِ

أنْ يَسْتَجِيبَ دُعاءَها ‌‌* فى حِفْظِ صاحِبِكَ الأخِيرِ

باتَتْ تُراقِبُ فى المَشا ‌‌* رِقِ والمَغارِبِ وَجْهَ (نُورِى)

---

(١) يريد بهذا البيت تشبيهه بالجن الذين كانوا يسترقون السمع من السماء فتحرقهم بشهبها المرسلة عليهم .

(٢) السابحات : الكواكب . قال تعالى : (والسابحات سبحا) .

(٣) يجارى فى هذا البيت ما هو شائع بين الناس من اعتقادهم فى تأثير العين ، وأنها تصيب كما يصيب السهم .

(٤) راعنا : أفزعنا .

رثاء الدكتور شبلى شميل (١)

أنشدها فى الحفل الذى أقيم فى نادى جمعية الاتحاد السورى فى مساء الأحد

٩ فبراير سنة ١٩١٧ م

سَكَنَ الفَيْلَسُوفُ بَعْدَ اضْطِرابِ * إنّ ذاكَ السُّكُونَ فَصْلُ الخِطابِ

لَقِيَ اللهَ رَبَّه فاتْرُكُوا المَرْ * ءَ لَدَيْهِ فَسِيحِ الرِّحاب

حَزِنَ العِلْمُ يومَ مِتَّ ولكنْ * أَمِنَ الدِّينُ صَيْحَةَ المُرْتاب (٢)

كنتَ تَبْغِي بَرْدَ اليَقِينِ على الأَرْ * ضِ وتَسْعَى وَرَاءَ لُبِّ اللُّباب

فاسْتَرِحْ أَيُّها المُجاهِدُ واهْدَأْ * قد بَلَغْتَ المُرَادَ تَحْتَ التُّرَاب

وعَرَفْتَ اليَقِينَ وٱنبَلَجَ الحَقُّ * لِعَيْنَيْك ساطِعًا كالشِّهاب (٣)

لَيْتَ شِعْرِي وقد قَضَيْتَ حَيَاةً * بين شَكٍّ وحَيْرَةٍ وٱرْتياب

هل أَتاكَ اليَقِينُ مِنْ طُرُقِ الشَّكِّ * فشَكُّ الحَكِيمِ بَدْءُ الصَّواب

كم سَمِعْنا مُسائِلًا قَبْلَ (شِبْلِي) * عاشَ فى البَحْثِ طارِقًا كُلَّ باب

أَطْلَقَ الفِكْرَ فى العَوالِمِ حُرًّا * مُسْتَطِيرًا يُرِيغُ هَتْكَ الحِجاب (٤)

---

(١) الدكتور شبلى شميل ، هو الطبيب اللبنانى نزيل مصر ، وكان من أشهر الأطباء . ولد فى نحو سنة ١٨٥٠ م ، فى قرية كفرشيما من قرى ساحل لبنان ، وهى القرية التى ولد فيها الشيخ ناصيف اليازجى . وتعلم العلوم الطبيعية والطب فى كلية الأمريكان ببيروت وأتم علومه فى أوربا . وهو مشهور بمباحثه الطبيعية والاجتماعية العميقة ، وله من الآراء المتعلقة بالعقيدة الدينية ما أنكره الناس عليه ، وإلى هذا يشير حافظ فى قصيدته تلك . ومن أشهر كتبه : كتاب (النشوء والارتقاء) . وتوفى سنة ١٩١٧ م .

(٢) المرتاب : الشاك فى العقيدة . (٣) انبلج : أضاء وأشرق . (٤) يريغ : يطلب .

يَقْرَعُ النَّجْمَ سائِلًا ثمّ يَرْتَدُّ * الى الأرضِ باحِثًا عن جَوابِ

أَعْجَزَتْه مِنْ قُدْرَةِ الله أَسْبا * بٌ طَواها مُسَبِّبُ الأَسْباب

وقَفَتْ دُونَها العُقولُ حَيارَى * وَانْثَنَى هِبْرِزِيُّها وهو كابى (١)

لَم يَكُنْ مُلْحِدًا ولٰكِنْ تَصَدَّى * لشُؤونِ المُهَيْمِنِ الوَهّاب

رامَ إِدْراكَ كُنْهِهِ ما أَعْجَزَ النا * سَ قَديمًا فلَمْ يَفُزْ بالطِّلاب

إِيهِ شِبْلِي قد أَكْثَرَ الناسُ فيكَ الْ * قَوْلَ حتَّى تَفَنَّنوا فى عِتابى

قِيلَ : تَرْثِى ذاكَ الّذى يُنْكِرُ النُّو * رَ ولا يَهْتَدِى بِهَدْيِ الكِتابِ؟

قلتُ : كُفُّوا فإنّما قُمْتُ أَرْثِى * منه خِلًّا أَمْسَى طَوِيلَ الغِيابِ

أنا واللهِ لا أحابِيهِ فى القَوْ * لِ فقد كانَ صاحِبى لا يُحابى

أنا أَرْثِى شَمائِلًا منه عِنْدِى * كُنَّ أَحْلَى مِنَ الشِّهادِ المُذاب (٢)

كانَ حُرَّ الآراءِ لا يَعْرِفُ الخَتْ * لَ ولا يَسْتَبِيحُ غَيْبَ الصِّحاب (٣)

مُفْضِلًا مُحْسِنًا على العُسْرِ واليُسْ * رِ جميعَ الفُؤادِ رَحْبَ الجَناب (٤)

عاشَ ما عاشَ لا يُلِيقُ على الأيّـ * ـامِ مَالًا ولَمْ يَلِنْ للصِّعاب (٥)

كانَ فى الوُدِّ مَوْضِعَ الثِّقَةِ الكُبْ * رى وفى العِلْمِ مَوضِعَ الإِعْجاب

---

(١) الهبرزى : المقدام . والكابى : العاثر المنكب على وجهه .

(٢) الشهاد والشهد ، كلاهما بمعنى واحد . (٣) الختل : الخداع . (٤) المفضل : المنعم . وجميع الفؤاد ، أى مجتمعه لا تفرق قلبه النوائب . (٥) يقال : فلان لا يليق درهما لسخائه ، أى لا يمسكه .

نُكِبَ الطِّبُّ فِيـــه يـومَ تَـــوَلَّى * وأُصِـــيبَتْ رَوائِـــعُ الآدابِ

وخَـــلَا ذٰلكَ النَّـــدِيُّ مِنَ الأُنْـ (١) * ـسِ وقـــد كان مَرْتَـعَ الكُـتَّابِ

وبَكَتْ فَقْـــدَه الشـــآمُ وناءَتْ (٢) * فَـوقَ ما نابَهـا بِهٰـــذا المُصـابِ

كُلَّ يَوْمٍ يُهَـدُّ رُكْنٌ مِن الشـَّأْ * مِ، لقـــد آذَنَتْ (٣) إذاً بالخَـــرابِ

فهىَ (باليازِجِى) و (جُرْجِى) و (شِبْلِى) (٤) * فُجِعَتْ بالثَّـــلاثـــةِ الأَقْطـابِ

فعَـــلَى الرَّاحِـــلِ الكريمِ سَـلَامٌ * كلَّمـا غيَّبَ الـــثَّرَى لَيْثَ غابِ

رثاء جـــورجى زيدان (٥)

ســــنة ١٩١٤

دَعانِى رِفاقِى والقَوافِى مَرِيضَةٌ (٦) * وقد عَقَدَتْ هُوجُ الخُطوبِ لِسانِى

فجِئْتُ وبِى ما يَعْلَمُ اللهُ مِنْ أَسًى * ومِنْ كَمَدٍ قد شَـفَّنِى وبَرانِى

(١) الندى : مجتمع القوم . (٢) ناء بالحمل : نهض به مع جهد ومشقة وتثاقل .

(٣) آذنت : أعلمت . (٤) يريد الشيخ ابراهيم اليازجى الشاعر اللبنانى المعروف . (انظر التعريف به فى الحاشية رقم ٦ من صفحة ١٨٤ من هذا الجزء) . وجرجى ، هو جرجى زيدان (وسيأتى التعريف به فى الحاشـية الآتية بعدها) . (٥) ولد جورجى زيدان فى بيروت عاصمـة لبنان فى سنة ١٨٦١ م ، وتلق بعض العلوم فى مدارسها الابتدائية ، ثم ترك التعليم وهو لم يبلغ الثانية عشرة من عمره ، غير أن ميله الى العلم والأدب جعله لايدع فرصة يستفيد منها إلا انتهزها ، إما بمطالعة ما تصل اليه يده من الكتب ، وإما بتقربه من رجال العلم حتى صار من أعلام التاريخ والأدب المشهورين ؛ وهو منشئ مجلة الهلال المعروفة . وكانت وفاته فى أغسطس سنة ١٩١٤م ، وتآليفه كثيرة ، منها : كتاب (تاريخ مصر الحديث) ، و (تاريخ التمدن الإسلامى) ، و (تاريخ الماسونية) ، وغيرها من الكتب . (٦) مرض القوافى : كناية عن قلة مواتاتها إياه وعصيانها عند إرادته لها . وشبه الخطوب والمصائب فى ثورانها وتقلبها واشتداد وقعها بالرياح الهوج ، وهى التى لا تستوى فى هبوبها وتقلع الخيام ؛ الواحدة هوجاء .

مَلِلْتُ وُقُوفِى بينكُمْ مُتَلَهِّفاً * على راحِلٍ فارَقْتُه فشَجانِى

أَفِى كلِّ يومٍ يَبْضَعُ الحُزْنُ بَضْعَةً؟ * مِن القَلْبِ إِنِّى قد فَقَدْتُ جَنانِى (١)

كَفانِى ما لُقِّيتُ مِنْ لَوْعَةِ الأَسَى * وما نابَنِى يومَ (الإمامِ) كَفانِى (٢)

تَفَرَّقَ أَحبابِى وأَهْلِى وأَخَّرَتْ * يَدُ اللهِ يَوْمِى فانْتَظَرْتُ أَوانِى

ومالِى صَدِيقٌ إنْ عَثَرْتُ أَقالَنِى * ومالِى قَرِيبٌ إنْ قَضَيْتُ بَكانِى (٣)

أَرانِى قد قَصَّرْتُ فى حَقِّ صُحْبَتِى * وتَقْصِيرُ أَمْثالِى جِنايةُ جانِى

فلا تَعْذِرُونِى يومَ (فَتْحِى) فإنَّنِى * لأَعْلَمُ ما لا يَجْهَلُ الثَّقَلانِ (٤)

فقد غابَ عنّا يومَ غابَ ولَمْ يَكُنْ * له بينَ هالاتِ النَّوابِغِ ثانِى (٥)

وفى ذِمَّتِى (لليازِجِىِّ) وَدِيعَةٌ * وأُخْرَى (لزَيْدانٍ) وقد سَبَقانى (٦)

---

(١) يبضع : يقطع . والبضعة (بالفتح) : القطعة . والجنان : القلب .

(٢) يريد «بالإمام» : الشيخ محمد عبده . (٣) أقلت فلانا عثرته : صفحت عنها ودفعت عنه ما يتوقع من شرها . وقضيت : مت . (٤) الثقلان : الإنس والجن . ويريد «بفتحى» : أحمد فتحى زغلول باشا العالم القانونى المعروف ، ولد فى سنة ١٨٦٣ م بابيانة من أعمال مركز فوة ؛ وآخر منصب تولاه وكالته لنظارة الحقانية . وتوفى فى سنة ١٩١٣ م ، وله كثير من الكتب النافعة المترجمة عن اللغات الأجنبية ، وشرح للقانون المدنى . وقد مات فتحى ولم يرثه الشاعر ، وهو لهذا يعترف بتقصيره ، ويطلب الى الناس ألا يعذروه فى ذلك .

(٥) الهالة : دارة القمر التى تحيط به . (٦) يريد «باليازجى» : الشيخ إبراهيم اليازجى الشاعر اللبنانى المعروف ، وهو ابن ناصيف بن عبد الله بن ناصيف ؛ ولد ببيروت سنة ١٨٤٧ م وكان شاعرا ناثرا متصرفا فى أنواع أخرى من العلوم . وتوفى سنة ١٩٠٨ م . وهو منشئ مجلة البيان ومجلة الضياء ؛ الأولى فى سنة ١٨٩٧ م والثانية فى سنة ١٨٩٨ م . وآل اليازجى معروفون بكثرة من تخرج منهم من العلماء والأدباء والشعراء .

فيا لَيْتَ شِعْرِى ما يقولانِ فى الثَّرَى * إذا الْتَقَيَا يوماً وقد ذكرانى

وقد رمَيَا بالطَّرْفِ بين جُموعِكُمْ * ولَمْ يَشْهَدا فى المَشْهَدَيْنِ مكانى

أيَجْمُلُ بى هذا العُقوقُ وإنَّما * على غيرِ هذا العَهْدِ قد عرَفانى

دَعانى وَفائى يومَ ذاكَ فلَمْ أكُنْ * ضَنيناً ولكنَّ القريضَ عصانى

وقد تُخْرِسُ الأحزانُ كُلَّ مُفَوَّهٍ (١) * يُصَرِّفُ فى الإنشادِ كُلَّ عِنانِ

أأَنْساهُمَا والعِلْمُ فوقَ ثَراهُما * تَنَكَّسَ مِنْ أعلامِهِ عَلَمانِ

وكَمْ فُزْتُ مِنْ رَبِّ (الهِلالِ) بحِكْمَةٍ (٢) * وكَمْ زِنْتُ مِنْ رَبِّ (الضِّياءِ) بَيانى

(أزَيْدانُ) لا تَبْعَدْ وتِلْكَ عُلالَةٌ (٣) * يُنادِى بها النّاعُونَ كُلَّ حُسانِ

لكَ الأثَرُ الباقِى وإنْ كنتَ نائِياً * فأنتَ على رَغْمِ المَنِيَّةِ دانى

ويا قبرَ (زَيْدانٍ) طَوَيْتَ مُؤَرِّخاً * تَجَلَّى له ما أَضْمَرَ الفَتَيانِ (٤)

وعَقْلاً وَلُوعاً بالكُنوزِ فإنّه * على الدُّرِّ غَوّاصٌ بِبَحْرِ (عُمانِ) (٥)

وعَزْماً شآمِيّاً له أيْنَما مَضَى * شَباً هِنْدُوانِىٌّ وحَدٌّ يَمانِى (٦)

---

(١) المفوه : المنطيق . والعنان : سير اللجام . ويريد بقوله « يصرف فى الإنشاد ... الخ » : أنه يذهب فيه كل مذهب . (٢) رب الهلال : جورجى زيدان ، ورب الضياء : الشيخ إبراهيم اليازجى . والهلال والضياء : صحيفتان معروفتان .

(٣) العلالة : ما يتعلل به الإنسان ، أى يتلهى به عن مراده اذا لم يظفر به . والحسان من الرجال (بضم الحاء وتخفيف السين) : الحسن منهم . (٤) تجلى : تكشف . والفتيان : الليل والنهار .

(٥) عمان : كورة من بلاد العرب معروفة بمغاص اللؤلؤ . (٦) شبا هندوانى ، أى سن رمح منسوب الى الهند . وحدّ يمانى ، أى حدّ سيف مصنوع باليمن .

وكفًّا إذا جالَتْ على الطِّرسِ جَوْلةً * تمايَلَ إعجابًا بها البَلَدانِ (١)

أشادَتْ بذِكرِ الرّاشدينَ كأنّما * فتى (القُدْسِ) ممّا يُنْبِتُ الحَرَمانِ (٢)

سألْتُ حُماةَ النَّثْرِ عَدِّ خِلالِهِ * فمالي بما أعْيا القَريضَ يَدانِ (٣)

رثاء إبراهيم حسن باشا ومحمد شكرى باشا (٤)

أنشدها فى الحفل الذى أقيم لتأبينهما فى مدرسة القصر العينى فى ٢٣ فبراير سنة ١٩١٧ م

لا مَرْحَبًا بكَ أيُّهذا العامُ * لم يُرْعَ عِندَكَ للأُساةِ ذِمامُ (٥)

فى مُسْتَهَلِّكَ رُعْتَنا بمآتمٍ * للنافعينَ مِنَ الرِّجالِ تُقامُ

عَلَمانِ مِنْ أعْلامِ (مِصْرَ) طَواهُما * فيكَ الرَّدَى فبَكَتْهُما (الأهْرامُ)

غَيَّبْتَ (شُكْرِى) وهو نابِهُ عَصْرِهِ * وأصَبْتَ (إبراهيمَ) وهو إمامُ

---

(١) البلدان : مصر والشأم . (٢) أشاد بذكره : رفعه بالثناء عليه . ويريد « بالراشدين » : خلفاء الإسلام ، و « فتى القدس » : الفقيد . والحرمان : مكة والمدينة . يقول : إن الفقيد أثنى على الخلفاء الراشدين ورفع ذكرهم فى كتبه ، فكأنه من أهل الحجاز مع أنه فلسطينى . (٣) تقول : مالى يد بهذا الأمر ، اذا عجزت عنه . وأعيا القريض ، أى أعجز الشعر .

(٤) الدكتور ابراهيم حسن باشا ، هو ابن حسن رفعت مدير إحدى مديريات مصر . ولد بالقاهرة فى ٢٥ فبراير سنة ١٨٤٤ م ، وبعد أن أخذ حظه من تعلم الطب فى مصر وأوربا تولى بعض مناصب طبية كان آخرها رآسة مدرسة الطب سنة ١٨٩٨ م ، وبعد إحالته الى المعاش كان يقضى الصيف فى أوربا والشتاء فى مصر ، وقد حالت الحرب العظمى وهو فى أوربا دون عودته الى وطنه ، فقضى السنين الأخيرة بعيدا عنه إلى أن توفى فى ٤ يناير سنة ١٩١٧ م . وأما الدكتور محمد شكرى باشا فقد كان طبيبا خاصا بأمراض النساء ، وله فى هذا الفرع من الطب شهرة واسعة ، وتولى تدريسه فى مدرسة الطب . وكانت ولادته فى نحو سنة ١٨٥٢ م ، ووفاته فى مستهل سنة ١٩١٧ م . (٥) الأساة : الأطباء ؛ الواحد آس (كقاض) .

خَدَمَا رُبُوعَ النِّيلِ فِى عَهْدَيْهِمَا * والطِّبُّ نَبْتٌ لَمْ يَجُــدْه غَمـامُ (١)

والنـاسُ بالغَــرْبِىِّ فى تَطْبِيبِـه * وَلِعُـوا على بُعْـدِ المَـزارِ وهاموا

حتى انبرى (شُكْرِى) فأَثْبَتَ سَبْقُه * أنّ ابْنَ (مِصْرَ) مُجَـرِّبٌ مِقْـدام

وأَقامَ (إبراهِـــيمُ) أَبْلَغَ حُجَّـــةٍ * أنّ العَرِينَ يَحُـــلُّه ضِرْغَام (٢)

وترَسَّـــمَ المُتَعَلِّمُون خُطاهُمـا * فانْشَـقَّ مِنْ عَلَمَيْهِـما أَعْـــلام (٣)

قد أَقْسَمُوا للطِّبِّ أنْ يَسْموا به * فــوق السِّماكِ فَـبَرَّتِ الأَقْسـام (٤)

وغَدَتْ رُبُوعُ الطِّبِّ تَحْكى جَنَّةً * فيهـا (لِبُقْـراطَ) الحَكِيمِ مقـام

ورأَى عليــلُ النيــلِ أَنّ أُســاتَه * بَذُّوا الأُسـاةَ فـلَمْ يَرُعْهُ سَـقام (٥)

يا (مِصْرُ) حَسْبُكِ ما بَلَغْتِ مِن المُنَى * صَـــدَقَ الرَّجاءُ وصَحَّتِ الأَحْلَام

ومَشَى بَنُوكِ كما اشْتَهَيْتِ إلى العُلا * وعلى الوَلاءِ ـ كما عَلِمْتِ ـ أَقَاموا

ومَدَدْتِ صَوْتَكِ بَعْدَ طُولِ خُفُوته * فَــدَعَا بعافِيَـــةٍ لكِ الإسْـــلام

ورفَعْتِ رَأْسَكِ عند مُفْتَخَرِ النُّهَى * بين المَمَـالِكِ حيثُ تُحْـنَى الهـام (٦)

كم فيــكِ جَرّاحٍ كأَنّ يَمِينَــهُ * عنــد الجِــراحَةِ بَلْسَمٌ وَسَـــلام (٧)

---

(١) جاده الغمام : أمطره . (٢) العرين : مأوى الأسد . والضرغام : الأسد .

(٣) فانشق من علميهما أعلام ، أى تخرج عليهما فى الطب أمثالها فى النبوغ . (٤) السماك : اسم لكوكبين تقدم الكلام عليهما فى حواشى هذا الديوان . (٥) بذوا الأساة : غلبوهم وفاقوهم فى الطب . (٦) الهام : الرءوس . وإحناء الهام : كناية عن التصاغر والانكسار والتسليم للخصم .

(٧) يلاحظ أن الأرجح فى قوله « جراح » النصب ، للفصل بينه وبين « كم » بالجار والمجرور ، ولكن الشاعر جرى على مذهب بعض النحويين فى جر تمييز « كم » مع الفصل ، ومنه قول الشاعر :

* كم بجود مقرف نال العلى *

والبلسم : دواء تضمد به الجراح .

قد صيغ مِبْضَعُه وإنْ أجرَى دَمًا * مِنْ رَحْمـةٍ بِجَرِيحِـه بَسّام (١)

ومُوَفَّقٍ جَمِّ الصَّوابِ اذا ٱلْتَوَى * داءُ العَليـلِ وحارَت الأَفْهَام

يُلْقِى بسَمْعٍ لا يَخُونُ اذا هَفَت * أُذُنٌ وخانَ المِسْمَعَيْنِ صِمَام (٢)

واذا عُضالُ الداءِ أَبْهَمَ أَمْرُه * عَرَفَتْ خَفِيَّ دَبِيبِه الإِبْهام (٣)

يَسْتَنْطِقُ الآلامَ وهىَ دَفِينَةٌ * خَرْساءُ حتّى تَنْطِق الآلام

كم سَلَّ مِنْ أَيْدِى المَنايَا أَنفُسًا * وثَنَى عِنانَ المَوْتِ وهْو زُؤَام (٤)

ومطَبِّبٍ للعَيْنِ يَحْمِلُ مِيلُه * نُورًا اذا غَشَّى العُيُونَ قَتام (٥)

وكأنّ إِثْمِدَه ضِياءُ ذَرَّه * (عيسَى بنُ مَرْيَمَ) فَٱنْجَلَى الإِظْلَام (٦)

ومُطَبِّبٍ للطِّفْلِ لَمْ تَنْبُتْ له * سِنٌّ ولَمْ يَدْرُجْ إليه فِطام (٧)

يَشْكُو السَّقامَ بناظِرَيْه ومالَه * غيرُ التَّفَزُّزِ والأَنِينِ كَلام

فكم ٱستَشَفَّ وكَمْ أَصابَ كأنّما * فى نَظْرَتَيْه الوَحْىُ والإِلْهام (٨)

ومُوَلِّدٍ عَرَفَ الأَجِنَّةُ فَضْلَه * إنْ أَعْسَرَتْ بِوِلادِها الأَرْحام

كم قد أَنارَ لها بحالِكَةِ ٱلْحَشا * سُبُلًا تَضِلُّ سُلُوكَها الأَوْهام

---

(١) المبضع : المشرط . (٢) المسمعان : الأذنان . (٣) إنما ذكر الإبهام لأن الطبيب يلمس بيده موضع الداء من جسم المريض ، فكنى بالإبهام عن اليد . (٤) الزؤام : الكريه المجهز على صاحبه . (٥) الميل : المرود الذى تكحل به العين . والقتام : الظلام .

(٦) الإثمد : الكحل . ويشير « بعيسى بن مريم » عليه السلام : إلى ما أجراه الله على يده من إبراء الأكمه . قال تعالى حكاية عنه : (وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى باذن الله) .

(٧) يدرج : يمشى . (٨) الضمير فى (استشف) للطبيب ، السابق ذكره .

لــولا يَــداهُ سَــطَا على أبْدانِهــا * كَرْبُ المَخَــاضِ وشَــفَّها الإيلامُ

فبهــؤلاءِ الغُرِّ يا (مِصْــر) آهنَــئِي * فبِمِثْلِهِــمْ تَتَفَاخَـــرُ الأيَّام

وعــلى طَبِيبَيْــكِ اللّذَيْن رَماهُمــا * رامِى المَنُــونِ تَحِيّــةٌ وسَــلام

رثاء المغفور له الشيخ سليم البشرى (٢)

أنشــــدها عنـــد دفنـــه

[نشرت فى ١٧ أكتوبر سنة ١٩١٧ م]

أَيَدْرِى المُسْــلِمُونَ بِمَنْ أُصِــيبُوا * وقــد وارَوْا (سَــلِيمًا) فى التُّراب

هَوَى رُكْنُ الحَــدِيثِ فأىُّ قُطْبٍ (٣) * لطُــلَّابِ الحَقِيقَــةِ والصَّــواب

(مُوَطَّأُ مالِكٍ) عَزِّ (البُخارِى) (٤) * ودَعْ لِلّهِ تَعْـــزِيَةَ (الكِتَاب)

فما فى النّاطِقِينَ فَــمٌ يُوَفِّى * عَزاءَ الدِّينِ فى هٰــذا المُصَــاب

قَضَى الشيخُ المُحَــدِّثُ (٥) وهْوَ يُمْــلِى * على طُــلَّابِهِ فَصْـــلَ الخِطَــاب

(١) شفها : هزلها . (٢) ولد الشيخ سليم البشرى فى سنة ١٢٤٨ هـ فى محلة بشر من أعمال مركز شبراخيت من مديرية البحيرة ، ولما بلغ التاسعة حضر إلى مصر ، وكان قد أتم حفظ القرآن ؛ وبعد أن أتم تعلمه فى الأزهر تولى التدريس فيــه ، ثم عين شيخا لمسجد السيدة زينب ، وبعد ذلك ببضعة أعوام عين شيخا ونقيبا للسادة المالكية ، ثم اختير عضوا فى مجلس إدارة الأزهر ؛ وتولى مشيخة الأزهر مرتين ، ومات رحمــه الله فى سنة ١٣٣٥ هـ بعد أن عمر ما يقرب من تسعين سنة .

(٣) كان الفقيد مشهورا بتبحره فى علوم الحديث ، وإلى هذا يشير الشاعر . (٤) موطأ مالك ، كتاب لمالك بن أنس فى الحديث مرتب على أبواب الفقه . ويريد «بالبخارى» : كتاب الجامع الصحيح الذى وضعه الإمام البخارى محمد بن إسماعيل . ويشير الشاعر إلى حرمان هذه العلوم الثلاثة : فقه مالك ، والحديث ، والتفسير التى كان يدرسها الفقيد مضطلعا بها . (٥) قضى : مات .

وَلَمْ تَنْقُصْ له التِّسْعُونَ عَزْماً * ولا صَدَّتْهُ عَنْ دَرْكِ الطِّلابِ (١)

وما غَالَتْ قَرِيحَتَهُ اللَّيَالِي * ولا خَانَتْهُ ذَاكِرَةُ الشَّبَابِ

أَشَيْخَ المُسْلِمِينَ نَأَيْتَ عَنَّا * عَظِيمَ الأَجْرِ مَوْفُورَ الثَّوابِ

لقد سَبَقَتْ لكَ الحُسْنَى فطُوبَى * لمَوْقِفِ شَيْخِنا يَوْمَ الحِسابِ

إذا أَلْقَى السُّؤالَ عَلَيْكَ مُلْقٍ (٢) * تَصَدَّى عَنْكَ بِرُّكَ لِلْجَوابِ

ونادى العَدْلُ والإِحْسانُ إنَّا (٣) * نُزَكِّي ما يَقُولُ ولا نُحابِي

قِفُوا يأَيُّها العُلَماءُ وابْكُوا * ورَوُّوا لَحْدَهُ قَبْلَ الحِسابِ

فهٰذا يَوْمُنا ولَنَحْنُ أَوْلَى * بِبَذْلِ الدَّمْعِ مِنْ ذَاتِ الخِضابِ (٤)

عَلَيْكَ تَحِيَّةُ الإِسْلامِ وَقْفاً * وأَهْلِيهِ إلى يَوْمِ المَآبِ

رثاء المغفور له السلطان حسين كامل (٥)

[نشرت في أول نوفبر سنة ١٩١٧ م]

دُكَّ ما بَيْنَ ضَحْوَةٍ وعَشِيٍّ * شامِخٌ مِنْ صُرُوحِ (آلِ عَلِيٍّ) (٦)

وهَوَى عن سَماوَةِ العَرْشِ مَلْكٌ (٧) * لَمْ يُمَتَّعْ بعَهْدِهِ الذَّهَبِيِّ

---

(١) درك الطلاب : إدراك الطلب والحاجة . (٢) يريد «بالملق» : الملك الذي يتولى حساب الميت على ما عمل . (٣) كان الفقيد معروفا بالإحسان الى الفقراء ، وكان لهم من مرتبه قدر معلوم كل شهر . (٤) ذات الخضاب : المرأة .

(٥) انظر الحاشية رقم ٧ من صفحة ٦٧ من الجزء الأول .

(٦) دك : هدم . و«آل علي» أي آل محمد علي جد الأسرة المالكة .

(٧) يريد «بسماوة العرش» : أعلاه . والملك (بسكون اللام) ، لغة في الملك (بكسرها) .

قـد تساءلتُ يومَ ماتَ (حُسَيْنٌ) * أَفَقَــدْنا بفقــدِه كلَّ شئٍ؟
أمْ ترى يُسْـعِدُ الكِنانةَ بارِيـ * ـها ويَقْضِى لها بلُطْفٍ خَفىّ؟
لم تكَدْ تُدْرِكُ النفـوسُ مُرادًا * فى زمانِ المتوَّجِ العَـلَوِى
لم تكَدْ تَبْلُغِ البِـلادُ مُناها * تحتَ أَفْياءِ عَـدْلِه الكِسْرَوِى (١)
لم يكَدْ يَنْعَـمُ الفَقِـيرُ بعَيْشٍ * مِنْ نَداهُ وفَيْضِـه الحـاتِمِى (٢)
حَجَبَ الموتُ مَطْلَعَ الجُودِ يا (مِصْـ * ـرُ) بجُـودِى له بدَمْـعٍ سَخِىّ
ومَضَى واهِبُ الأُلوفِ فـولَّتْ * يَـومَ وَلَّى بَشاشَــةُ الأَرْيَحِى (٣)
وقضَى كافِلُ اليتامَى فَـوَيْلٌ * لليتـامَى مِنَ الزَّمانِ العَـتِى (٤)
كم تمَـنَّى لو عاشَ حـتَّى يَرانا * أُمَّــةً ذاتَ مَنْعَــةٍ ورُقِىّ
غالَه الضَّعْفُ حينَ شَمَّـرَ للإصْـ * ـلاحِ فى مُلْكِه بعَـزْمٍ فَـتِى
حَبَسَ الخَطْبُ فيـكَ أَلْسِنَةَ القَوْ * لِ وأَعْيـا قَرِيحَــةَ العَبْقَـرِى
وإذا جَلَّتِ الخُطـوبُ وطَمَّتْ * أَعْجَزَتْ فى القَرِيضِ طَوْقَ الرَّوِىّ (٥)
إنَّ شَرَّ المُصـابِ ما أَطْلَقَ الدَّمْـ * ـعَ وراعَ المُفَوَّهِينَ بِـعِىّ (٦)

(١) الأفياء : الظلال . وكسروى : نسبة الى كسرى من ملوك الفرس ، وكان يقال له : الملك العادل.

(٢) الحاتمى : نسبة إلى حاتم الطائى المعروف بالجود . والفيض : العطاء .

(٣) الأريحى : الواسع الخلق الذى يرتاح للمعروف .

(٤) العتى : الظالم المتجبر .

(٥) الطوق : الطاقة والجهد . وكنى بالروى عن الشعر، كما يكنى عنه بالقافية أيضا .

(٦) المفوه : المنطيق . والعى : عدم القدرة على الكلام .

لَهْفَ نَفْسِي على ٱنبساطِكَ للضَّيْـ * ـفِ وذَيّالِكَ الحَـديثِ الشَّهِيِّ

يَحْسَبُ الدارَ دارَه وهـو يَمْشِي * فوقَ زاهِي بِساطِكَ الأَحْمَدِيّ (١)

خُلُقٌ مِثْلَما تَنَشَّقْتَ أَرِيجَ الـ * ـزَّهْـرِ جادَتْـه زَوْرَةُ الوَسْمِيّ (٢)

واهتزازٌ للعُرْفِ مِثْلُ اهتزازِ الـ * ـسَّيْفِ فى قَبْضَـةِ الشُّجاعِ الكَمِيّ (٣)

وحَيـاءٌ عنـد العَطِيَّـةِ يَنْفِي * خَجَلَ السائلِ الكَرِيمِ الأبِيّ

واختبارٌ يَثْنِي عِنانَ العَوادِي * ووَقارٌ يَزِينُ صَـدْرَ النَّدِيّ (٤)

رَحِمَ اللهُ (يا حُسَيْنُ) خِلالًا * فيـكَ لم يَجْتَمِعْنَ فى نَفْسِ حَيّ

يا كَرِيمًا حَلَلْتَ ساحَ كَرِيمٍ * وضَعِيفًا حَلَلْتَ ساحَ القَوِيّ

قد كَفاكَ السُّهادُ فى العَيْشِ فاهنأْ * يا أَلِيفَ الضَّنَى بِنَوْمٍ هَنِيّ (٥)

وَيْحَ (مِصْرٍ) فأَيُّ خَيْطِ رَجاءٍ * قَطَعَتْه رَنَّاتُ صَوْتِ النَّعِيّ

---

(١) البساط الأحمدى، يكنى به عن سهولة الجانب وسماحته وعدم الكلفة .

(٢) نشقت : شممت . وأريج الزهر : ريحه . والوسمى : مطر أول الربيع .

(٣) الاهتزاز للعرف : كناية عن الانبساط للبذل والارتياح للعطاء . والكمى : الشجاع .

(٤) يثنى عنان العوادى، أى يصرف حوادث الأيام ويردّها عن قصدها . والندى : مجتمع القوم .

(٥) يشير بقوله «يا أليف الضنى» : الى ما كان يعانيه الفقيد فى آخر أيامه من مرض وأرق .

رثاء باحثة البادية (١)

[نشرت فى سنة ١٩١٨ م]

(مَلَكَ) النُّهَى لا تَبْعَدِى * فالخَلْقُ فى الدنيا سَفَرْ

إنّى أَرَى لكِ سِيرَةً * كالرَّوْضِ أَرَّجَهُ الزَّهَرْ (٢)

رَبَّى أَبُوكِ الناشِئِيـ * ـنَ فعاشَ محمودَ الأَثَرْ

وسَلَكْتِ أنتِ سَبِيلَه * فى الناشئاتِ مِن الصِّغَرْ

رَبَّيْتِهِنَّ على الفَضِيـ * ـلةِ والطَّهارةِ والخَفَرْ (٣)

وعلى اتّباعِ شَرِيعَةٍ * نَزَلَتْ بها آيُ السُّوَرْ

فلِبَيْتِكُمْ فَضْلٌ على الـ * أحياءِ أُنْثَى أو ذَكَرْ

للهِ دَرُّكِ إنْ نَثَرْ * تِ ودَرُّ (حفْنِى) إنْ نَثَرْ

قد كنتِ زَوْجًا طَبَّةً * فى البَدْوِ عاشَتْ والحَضَرْ (٤)

---

(١) باحثة البادية ، هى السيدة ملك ناصف بنت المرحوم حفنى ناصف بك ، ولدت بالقاهرة سنة ١٨٨٦ م وتلقت مبادئ العلوم فى مدارس أولية مختلفة ، ثم دخلت المدرسة السنية فنالت الشهادة الابتدائية فى سنة ١٩٠٠ م ، ثم نالت إجازة التدريس من قسم المعلمات ، ومارست التعليم فى مدارس البنات الأميرية ، وتوفيت فى سنة ١٩١٨ م . وكانت من فضليات الكاتبات والباحثات ، بذلت جهدا كبيرا فى الدعاية الى نهضة المرأة المصرية بعد المرحوم قاسم أمين بك ، وكانت تفضل السفور على الحجاب ، ولها مقالات كثيرة طبعت كلها فى كتاب سمته (النسائيات) وسلسلة محاضرات ألقتها فى إدارة الجريدة التى كان يصدرها حزب الأمة ، و إلى هذه المقالات وتلك المحاضرات يشير حافظ فى هذه القصيدة .

(٢) أرجه : طيبه . (٣) الخفر : شدّة الحياء . (٤) يشير بقوله : «فى البدو الخ» : الى أنها كانت زوجا لعبد الستار الباسل بك أحد مشايخ عرب الفيوم . والطبة : الماهرة الحاذقة بعملها .

سادَتْ على أَهْلِ القُصو * رِ وسَوَّدَتْ أَهْلَ الوَبَرْ (١)

غَربيّةٌ في عِلْمِها * مَرموقةٌ بينَ الأَسَر

شَرقيّةٌ في طَبْعِها * مَحْذُورةٌ بينَ الخُجَر

بَيْنَا تَراهَا في الطُّرو * سِ تَخُطُّ آياتِ العِبَرْ (٢)

وتُرِيكَ حِكْمَةَ نابِهٍ * عَرَكَ الحَوادِثَ واخْتَبَرْ

فإذا بِها في مَطْبَخٍ * تَطْهُو الطَّعامَ على قَدَرْ (٣)

وإذا بِها قَعَدَتْ تَخِيـ * ـطُ وتَرْتَضِي وَخْزَ الإِبَرْ

فَخَرَتْ بوالِدِها ووا * لِدُها بحِلْيَتِها افْتَخَر

بالعِلْمِ حَلَّتْ صَدْرَها * لا باللآلئِ والدُّرَر

فانْظُرْ شَمائِلَ فِكْرِها * باللهِ يَوْمَ (المُؤْتَمَر) (٤)

واقْرَأْ (مُحاضَرَةَ الجَرِيـ * ـدَةِ) والمَقالاتِ الغُرَر

وارْجِعْ إلى ما أَوْدَعَتْ * عندَ المَجَلّاتِ الكُبَر

---

(١) أهل الوبر : هم أهل البادية ، لأن بيوتهم من الوبر .

(٢) الطروس : الصحائف التي يكتب فيها . (٣) على قدر ، أي بحساب .

(٤) يريد المؤتمر الإسلامي الذي انعقد في سنة ١٩١١ م وتوالت جلساته خمسة أيام ؛ وكان لهذا المؤتمر غرضان : أولها ، النظر في حال المسلمين الاقتصادية والاجتماعية والأدبية ؛ والثاني ، الرد على مطالب الأقباط التي طلبوها في مؤتمرهم المنعقد بأسيوط قبل ذلك في ٦ مارس من السنة المذكورة . وكان رئيس المؤتمر الإسلامي المرحوم رياض باشا ، وقد ألقت الفقيدة محاضرة في هذا المؤتمر تتعلق بشؤون المرأة .

تَعْــلَمْ بأنّا قـــد فقَـــدْ * نا خَيْرَ رَبّاتِ الفِكَرْ

ذَنْبُ المَنِيّـــةِ فى آغتيا * لِ شَـبابِهـا لا يُغتَفَـــر

يا لَيْتَهـا عاشَتْ (لِمصْـ * ـرَ) ولَمْ تُغَيِّبْهـا الحُفَـــر

كانتْ مِثـالًا صالحًـا * يُرْجَى وكَنْزًا يُدَّخَـــر

إنّى رَأَيْتُ الجـاهِـــلا * تِ السّافِراتِ على خَطَر

ورأَيْتُ فيهِنّ الصِّـيا * نَةَ والعَفافَ على سَـــفَر

لا وازِعٌ (١) ــ وقد آنطوَتْ * (مَلَكٌ) يَقِيهِنّ الضَّرَر

لا كانَ يَوْمُكِ يومَ لا * حَ الحُزْنُ مُخْتَلِفَ الصُّوَر

عَلَّمتِ هاتِفَـــةَ القُصـو * رِ (٢) نُواحَ هاتِفَـةِ الشَّـجَر

وتَرَكْتِ أَتْرابَ الصِّـبا (٣) * حُزْنًا يُقَطِّعْنَ الشَّـــعَر

يَبْكِينَ عَهْدَكِ فى الصَّـبا * حِ وفى المَساءِ وفى السَّحَر

وتَرَكْتِ شَـيْخَكِ (٤) لا يَعِى * هَـلْ غابَ زَيْدٌ أو حَضَر

ثَمِـــلًا تُرَنِّحُـــه (٥) الهُمُـــو * مُ إذا تَحـامَلَ أو خَطَـــر

كالفَـــرْعِ هَزَّتْه العَـــوا * صِفُ فآلتَـوَى ثم آنكَسَر

(١) الوازع : الزاجر. (٢) يريد «بهاتفة القصور» : الباكية من النساء، و «بهاتفة الشجر)» : النائحة من الطير. (٣) أتراب الإنسان : لداته؛ الواحد ترب (بكسر التاء وسكون الراء).

(٤) يريد «بالشيخ» : أباها. ويشير بقوله «هل غاب زيد» ... الخ الى ما كان أبوها مشتهرا به من علم النحو واللغة وما اليهما من علوم العربية، وذلك لأن مدار الأمثلة فى النحو على «زيد».

(٥) ترنحه : تميله هنا وهنا.

أو كالبِناءِ يُرِيدُ أنْ * يَنْقَضَّ مِنْ وَقْعِ ٱلخَوَرْ (١)

قد زَعْزَعَتْهُ يَدُ القَضا * ءِ وزَلْزَلَتْه يَدُ ٱلقَدَر

أَنا لَمْ أَذُقْ فَقْدَ البَنِيـ * ـنَ ولا البَنَاتِ على ٱلكِبَرْ

لٰكِنَّنِي لَمَّا رأَيْـ * ـتُ فُؤادَه وقد ٱنفَطَر (٢)

ورأيْتُه قد كادَ يُحْـ * ـرِقُ زائِرِيهِ إذا زَفَر

وشَهِدْتُه أنَّى خَطَا * خَطْوًا تَخَبَّلَ أو عَثَر

أَدْرَكْتُ مَعْنَى الحُزْنِ حُزْ * نِ الوالِدَيْنِ ، فما أَمَرّ

وشَهِدْتُ زَوْجَك مُطْرِقًا * مُسْتَوْحِشًا بين السَّمَر (٣)

كالمُدْلِجِ الحَيْرانِ في الـ * ـبَيْداءِ أَخْطَأَهُ القَمَر (٤)

فعَلِمْتُ أنّك كنتِ عِقْـ * ـدَ هَنائِه وقد ٱنتَثَر

صَبْرًا أبا (مَلَكٍ) فإنّ * الباقِياتِ لِمَنْ صَبَر

وبقَدْرِ صَبْرِ المُبْتَلَى * طُولُ المُصِيبَةِ والقِصَر

كن أنتَ أنتَ إذا تَسا * ءُ كأنتَ أنتَ إذا تُسَرّ

يا بَرَّةً بالوالِدَيْـ * ـنِ أبُوكِ بَعْدَكِ لا يَقَرّ

فَسَلِي إلٰهَكِ سَلْوَةً * لأَبِيكِ فَهْوَ به أَبَرّ

وليَهْنِكِ الخُلْدُ الجَدِيـ * ـدُ فذاكَ دارُ المُسْتَقَرّ

(١) من وقع الخور، أى من وقوع الضعف به . (٢) انفطر : انشق .
(٣) السمر : مجلس السمار بالليل . (٤) المدلج : السارى بالليل .

رثاء محمد فـــريد بك (١)

[فى سنة ١٩١٩ م]

مَنْ لِيَوْمٍ نحنُ فِيــه مَنْ لِغَــدْ * ماتَ ذُو العَزْمَةِ والرَّأْيِ الأَسَدّْ (٢)

حَلَّ (بالجُمْعَــةِ) حُزْنٌ وأَسًى * ومَشَى الوَجْدُ الى يومِ (الأَحَدْ) (٣)

وبَدَا شِـعْرِى على قِرْطاسِــهِ * لَوْعةً سالَتْ على دَمْعٍ جَمَـــدْ

أَيُّهـا النِّيلُ لقــد جَلَّ الأَسَى * كُنْ مِداداً لى إذا الدَّمْعُ نَفَــدْ

واذْبُلِى يا زَهْـــرَةَ الرَّوْضِ ولا * تَبْسِمِى للطَّــلِّ فالعَيْشُ نَكِدْ (٤)

والزَمِ النَّــوْحَ أيا طَــيْرُ ولا * تَبْتَهِجْ بالشَّــدْوِ فالشَّدْوُ حَدَدْ (٥)

---

(١) المرحوم محمــد فريد بك ، هو ابن فريد باشا ناظر الدائرة السنية . ولد فى مدينــة القاهرة فى رمضان سنة ١٢٨٤ ه، يناير سنة ١٨٦٧ م . و بيته من أكبر بيوت مصر وأمجدها ، ونال شهادة الحقوق فى مايو ســنة ١٨٨٧ ثم اشتغل بالدائرة السنية ، ثم انتقل الى النيابة العموميــة ، ثم الى نيابة الاستئناف . وقــد أنعم عليه بالرتبة الثانيــة فى أغسطس ســنة ١٨٩١ م وكان من أقوى دعاة النهضة الوطنية ، والآخذين بيد الوطنيين من الكتّاب وأصحاب الصحف ، واستقال من منصبه وقيــد اسمه فى جدول المحامين أمام المحاكم الأهلية فى أوّل يونيه سنة ١٨٩٧ م ، وظل مشتغلا بالمحاماة سبع سنين ثم ترك كل عمــل ليفرغ لخدمة الأمة من الناحية السياسية ، فكان خير عون للرحوم مصطفى كامــل باشا وقد صحبه فى كثير من رحلاته الى أوربا ، واختاره مصطفى كامل لرآسة الحزب الوطنى فى فبراير سنة ١٩٠٨م وتوفى فى برلين عاصمة المـانيا فى ١١ نوفبر سنة ١٩١٩ م وأحضرت جثته الى مصر ، ودفنت قرب مسجد السيدة نفيسة .

(٢) يريد « باليوم والغد » : الحاضر والمستقبل . والأسدّ : الأصوب .

(٣) الأسى : الحزن . وكنى « بيومى الجمعة والأحد » عن مسلمى مصر وقبطها .

(٤) الطل : الندى ، أو أخف المطر وأضعفه .

(٥) شدو الطير : ترنمه وتغريده . والحدد : الحرام الذى لا يحل أن يرتكب .

فلقد ولّى (فريدٌ) وانطوى * رُكنُ (مصرٍ) وفتاها والسَّنَدْ
خالدَ الآثارِ لا تخشَ البِلَى * ليس يَبْلَى مَنْ له ذِكْرٌ خَلَد
زُرْتَ (بَرْلِينَ) فنادَى سَمْتُها : * نَزَلَتْ شمسُ الضُّحى بُرْجَ الأسَد (١)
واختفتْ شمسُكَ فيها وكذا * تختفِي فى الغَرْبِ أقمارُ الأَبَد
يا غريبَ الدارِ والقبرِ ويا * سُلْوةَ (النِّيلِ) اذا ما الخطْبُ جَدّ
وحُساماً فَلَّ حَدَّيْهِ الرَّدَى * وشِهاباً ضاءَ وَهْناً وَخَمَد (٢)
قُلْ لصَبِّ (النِّيلِ) إنْ لاقَيْتَه * فى جِوارِ الدّائِمِ الفَرْدِ الصَّمَد (٣)
إنّ (مِصْرًا) لا تَنِى عنْ قَصْدِها * رَغْمَ ما تَلْقَى وإنْ طالَ الأَمَد
جِئْتُ عنها أحْمِلُ البُشْرَى إلى * أوّلِ البانِينَ فى هذا البَلَد
فاسترِحْ واهنأْ ونَمْ فى غِبْطَةٍ * قد بَذَرْتَ الحَبَّ والشَّعْبُ حَصَد
آثَرَ (النِّيلَ) على أموالِهِ * وقُواهُ وهَواهُ والوَلَد (٤)
يَطْلُبُ الخيرَ (لمِصرٍ) وهْوَ فى * شِقْوَةٍ أَحْلَى مِنَ العيشِ الرَّغَد (٥)

---

(١) يحتمل هذا البيت معنيين : أحدهما أنه يريد وصف الفقيد بالقوّة وجلال الشأن ، فشبهه حين نزل برلين مدينة القوّة بالشمس حين تنزل برج الأسد ؛ والثانى ما يقوله قدماء المنجمين من أن نزول الشمس فى برج الأسد دليل على وقوع الموت ؛ و يكون هذا البيت بالمعنى الثانى ترشيحا للبيت الذى بعده .

(٢) فل حدّيه : ثلمهما . والوهن : نحو من نصف الليل . (٣) صبّ النيل : عاشقه . و يريد به (المرحوم مصطفى كامل باشا) . (٤) آثر النيل : فضله . يشير بهذا البيت الى هجرة الفقيد الى أوربا فى سبيل بلاده وتركه ماله وأهله وولده . (٥) العيش الرغد : الطيب الواسع . ويشير بهذا البيت الى ما تجرعه الفقيد فى غربته من بؤس وشقاء ، و إيثاره هذا البؤس على العودة الى وطنه المحتل .

ضَارِبٌ فى الأَرْضِ يَبْغِى مَأْرَبًا (١) * كُلَّمَا قَارَبَه ، عنه ابْتَعَدْ

لم يَعِبْه أَنْ تَجَنَّى دَهْرُه * رُبَّ جِدٍّ حادَ عن مَجْراه جَدّ (٢)

يَسْتَجِمُّ العَزْمَ حتّى إنْ بَدَتْ * فُرصةٌ شَدَّ إليها وصَمَد (٣)

فهو لا يَثْنِى عِنَانا عن مُنًى * وهو هِجِّيراهُ (مَنْ جَدَّ وَجَد) (٤)

فَأَيادِيه إذا ما أُنْكِرَتْ * إنّما تُنْكِرُهَا عَيْنُ الحَسَد (٥)

فقَدَتْ (مِصْرُ فَرِيدا) وهىَ فى * مَوْطِنٍ يُعْوِزُها فيه المَدَد

فقَدَتْ (مصرُ فَرِيدا) وهىَ فى * لَهْوَةِ المَيْدانِ والموتُ رَصَد (٦)

فقَدَتْ منه خَبِيرا حُوَّلًا * وهىَ والأيّامُ فى أخْذٍ ورَدّ (٧)

لم يَكَدْ يُمتِعُها الدَّهْرُ به * فى رُبُوعِ (النّيل) حَيًّا لم يَكَد

لَيْتَه عاشَ قليلا فتَرَى * شَعْبَ (مِصْرٍ) عَيْنُه كيفَ اتَّحَد (٨)

وَيْحَ (مِصرٍ) بَلْ فَوَيْحًا للثَّرَى * إنّه أَبْلَغُ حُزْنًا وأَشَدّ

كَمْ تَمَنَّى وتَمَنَّى أهْلُه * لو يُوارَى فيه ذَيّاكَ الجَسَد (٩)

---

(١) ضرب فى الأرض : ذهب فيها ساعيا .

(٢) الجد (بالكسر) : الاجتهاد . (وبالفتح) : الحظ . ومجراه ، أى طريقه . يقول : رب اجتهاد أخطأه الحظ فلم يفد صاحبه ولم يثمر . (٣) يستجم العزم ، أى يريحه ؛ يقال : إنى لأستجم قلبى بشىء من اللهو حتى أقوى على الحق ، أى إنى لأجعل قلبى يتفكه بشىء من اللهو ليستجمع قوته . وصمد : قصد . (٤) هجيراه ، أى دأبه وشأنه وعادته . (٥) الأيادى : النعم .

(٦) شبه مصر فى ميدان الجهاد بلهوة الرحى ، وهى بفتح اللام وضمها ، ما يلقى فى فمها للطحن .

(٧) الحوّل : الحاذق البصير بتحويل الأمور . (٨) يشير بهذا البيت الى اتحاد مسلمى مصر وقبطها فى سنة ١٩١٩ م ، تحت رآسة المرحوم سعد زغلول باشا . (٩) يوارى : يدفن .

لهْفَ نفسي هل (ببرلين) امرؤٌ * فوق ذاك القبرِ صلّى وسجَدْ؟
هل بكتْ عينٌ فروّتْ تُربَه * هل على أحجاره خطَّ أحَدْ؟ (١)
هاهُنا قبرُ شهيدٍ في هوى * أمّةٍ أيقظَها، ثُمّ رقَدْ

رثاء عبد الله أباظه بك (٢)

[أنشد هذين البيتين على قبره في سنة ١٩١٩ م]

يا عابدَ اللهِ نَمْ في القبرِ مُغتبِطاً * ما كنتَ عنْ ذِكرِ ربِّ العرشِ باللاهي
يا رحمةَ اللهِ هٰذا قبرُه فقِفي * وآنِسِي رُوحَه يا رحمةَ اللهِ

رثاء عبد الحميد رمزى

قالها على لسان ابراهيم رمزى بك في حفل تأبين ابنه عبد الحميد، وكان طالبا بالمدارس الثانوية، ولم يقو أبوه على الكلام في هذا الحفل، فناب عنه حافظ وقال هذه القصيدة:

[نشرت في ٦ مارس سنة ١٩٢٠ م]

ولَدي، قد طالَ سُهْدي ونَحيبي * جئتُ أدعوكَ فهلْ أنتَ مُجيبي؟
جئتُ أرْوي بدُموعي مَضجَعاً * فيه أودَعْتُ من الدُّنيا نَصيبي

---

(١) خط أحد، أى كتب على أحجار هذا القبر البيت الآتى بعده.

(٢) عبد الله أباظه بك، هو ابن السيد أباظه باشا، كان عضوا بالجمعية التشريعية، وتقلد عدة مناصب، وتوفى فى سنة ١٩١٩ م.

لا تَخَفْ مِنْ وَحْشَةِ القَبْرِ ولا * تَبْتَئِسْ إِنِّى مُوافٍ عَنْ قَرِيبِ

أَنَا لا أَتْرُكُ شِبْلِي وَحْدَه (١) * فى جَدِيبٍ مُوحِشٍ غَيْرِ رَحِيب

أَوَ حِينَ ٱبْتَزَّ دَهْرِى قُوَّتِى (٢) * وذَوَى عُودِى ووافَانِى مَشِيبِى

وٱكْتَسَى غُصْنُكَ مِنْ أَوْراقِه * تَحْتَ شَمْسِ العِزِّ والجاهِ الخَصِيب

ورَجَوْنا فيكَ ما لَمْ يُرْجَهُ * مُنْجِبُ الأَشْبالِ فى الشِّبْلِ النجيب

يَنْتَوِيكَ المَوْتُ فى شَرْخِ الصِّبا (٣) * والشَّباب الغَضّ فى البُرْدِ القَشِيب

لم يَدَعْ آسِيكَ جُهْدًا إِنَّما (٤) * غابَ عِلْمُ اللهِ عَنْ عِلْمِ الطَّبِيب

إِيهِ يا (عَبْدَ الحَمِيد) انْظُرْ إلى (٥) * والِدٍ جَمِّ الأَسَى بادِى الشُّحُوب

ذاهِلٍ مِنْ فَرْطِ ما حَلَّ به * بَيْنَ أَتْرابِكَ يَمْشِى كالغَرِيب

كُلَّما أَبْصَرَ منهم واحِدًا * هَزَّهُ الشَّوْقُ إلى وَجْهِ الحَبِيب

يَسْأَلُ الأَغْصانَ فى إزْهارِها * عن أَخِيها ذٰلِكَ الغُصْنِ الرَّطِيب

يَسْأَلُ الأَقْمارَ فى إشْراقِها (٦) * عن مُحَيًّا غابَ مِنْ قَبْلِ المَغِيب

غَمَرَ الحُزْنُ نَواحِى نَفْسِه (٧) * وأَذابَتْ لُبَّه سُودُ الخُطُوب

فهو لا يَنْفَعُه العَيْشُ وهَلْ * تَصْلُحُ الأَبْدانُ مِنْ غَيْرِ قُلُوب؟

---

(١) الشبل : ولد الأسد . و يعنى «بالجديب الموحش» : القبر . (٢) ابتز : سلب . وذوى عوده : ذبل وجف . (٣) ينتو يك : يقصدك . وشرخ الصبا : ريعانه . والقشيب : الجديد (٤) الآسى : الطبيب . (٥) الأسى : الحزن . والشحوب : تغير اللون من حزن أو نحوه . (٦) محيا الإنسان : وجهه (٧) غمر الحزن نواحى نفسه ، أى شملها .

طالِعِى ياشمسُ قبرًا ضمَّهُ * بالتحايا فى شُروقٍ وغُروبِ
واسكُنِى يا رحمةَ اللهِ بهِ * واجعلِى فيضكِ منهلَّ السكوبِ

رثاء عبد الحليم المصرى الشاعر المعروف

[نشرت فى ٨ يوليه سنة ١٩٢٢ م]

لكَ اللهُ قد أسرعتَ فى السيرِ قبلَنا * وآثرتَ يا "مِصْرِىُّ" سُكْنَى المقابرِ
وقد كنتَ فينا يافتَى الشعرِ زهرةً * تفتّحُ للأذهانِ قبلَ النواظرِ
فلهفِى على تلكَ الأناملِ فى البِلَى * فكمْ نسجتْ قبلَ البِلَى من مفاخرِ
ويأويحَ للأشعارِ بعدَ نجيِّها (١) * وويحَ القوافى ساقَها غيرُ شاعرِ
تزوّدتَ من دُنياكَ ذِكْرًا مخلّدًا * وذاكَ لعَمْرِى نِعْمَ زادُ المُسافرِ
وأورثتَنا حزنًا عليكَ وحسرةً * على فقدِ سبّاقٍ كريمِ المحاضرِ (٢)
فلمْ تثوِ (٣) يا (عبدَ الحليم) بحفرةٍ * ولكنْ بروضٍ من قريضكَ ناضرِ
فديوانُكَ الريّانُ يغنيكَ طيبُه * عنِ الزهرِ مطلولًا (٤) بجَوْدِ المواطرِ
فسامِرْ (أبا بكرٍ) (٥) هُناكَ فإنّه * سيظفرُ فى عدْنٍ بخيرِ مُسامرِ

---

(١) نجيها، أى من يناجيها. (٢) المحاضر: المجالس. (٣) ثوى بالمنزل: أقام به. (٤) الزهر المطلول: المبلل بالطل. والجود: المطر الكثير. والمواطر: السحب.
(٥) يشير بهذا البيت إلى قصيدة لعبد الحليم المصرى فى سيرة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وأولها:
أفضنى أبا بكر عليهم قوافيا * وأمطر لسانى حكمة ومعانيا

هَنِيئًا لَكَ الدَّارُ الَّتِى قَد حَلَلْتَهَا * وَأَعْظِمْ بِمَنْ جَاوَرْتَه مِنْ مُجَاوِرِ

عليكَ سَلامٌ ما تَرَنَّمَ مُنْشِدٌ * وقامَ خَطِيبٌ فَوْقَ هامِ المَنابِرِ (١)

ذكرى الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده (٢)

أنشدها فى الحفل الذى أقيم بالجامعة المصرية فى يوم الثلاثاء ١١ يوليه سنة ١٩٢٢ م

وقد ضمنها رثاء المرحوم حفنى ناصف بك

آذَنَتْ شَمْسُ حَياتِى بِمَغِيبِ (٣) * ودَنَا المَنْهَلُ يا نَفْسُ فَطِيبِى

إنّ مَنْ سارَ إليهِ سَيْرَنا * وَرَدَ الراحةَ مِنْ بَعْدِ اللُّغُوبِ (٤)

قد مَضَى (حفْنِى) وهٰذا يَوْمُنا * يَتَدانَى فَاستَثِيبِى وأَنِيبِى (٥)

وارْقُبِيهِ كُلَّ يَوْمٍ إنّما * نَحنُ فى قَبْضَةِ عَلّامِ الغُيُوبِ

أُذْكُرِى المَوتَ لَدَى النَّوْمِ ولا * تَغْفُلِى ذِكْرَتَه عِندَ الهُبُوبِ

وَاذكُرِى الوَحْشَةَ فى القَبْرِ فلا * مُؤْنِسٌ فيه سِوَى تَقْوَى القُلُوبِ

قَدِّمِى الخَيْرَ احتِساباً فَكَفَى * بعضُ ما قَدَّمْتِ مِنْ تِلْكَ الذُّنُوبِ

راعَنِى فَقْدُ شَبابِى وأنَا * لا أُراعُ اليَوْمَ مِنْ فَقْدِ مَشِيبِى

حَنَّ جَنْباىَ الى بَرْدِ الثَّرَى * حَيْثُ أُنْسِى مِنْ عَدُوٍّ وحَبِيبِ

---

(١) هام المنابر: رءوسها ؛ الواحدة هامة . (٢) انظر الحاشية رقم ٣ ص ٤ من الجزء الأوّل .

(٣) آذنه بالأمر : أعلمه بقربه . والمنهل : المورد ؛ يريد به الموت . (٤) اللغوب : التعب .

(٥) استثيبى : اطلبى الثواب من الله . وأنيبى : ارجعى اليه بالطاعة .

مَضجَعٌ لا يَشتَكِي صاحِبُه * شِدّةَ الدّهرِ ولا شَدَّ الخُطُوبِ (١)

لا ولا يُسْئِمُه ذاكَ الّذى * يُسْئِمُ الأَحياءَ مِنْ عَيْشٍ رَتِيبِ (٢)

قد وَقَفْنا سِتّةً نَبْكِي على * عالِمِ المَشْرِقِ فى يَومٍ عَصِيبِ (٣)

وَقَفَ الخَمْسةُ قَبْلِي فَمَضَوْا * هكذا قَبْلِي وإنّى عن قَرِيبِ

وَرَدُوا الحَوْضَ تِباعاً فقَضَوْا * بٱتّفاقٍ فى مَناياهُمْ عَجِيبِ

أَنا مُذْ بانُوا ووَلَّى عَهْدُهُمْ * حاضِرُ اللَّوْعَةِ مَوْصُولُ النَّحِيبِ (٤)

هَدَأَتْ نِيرانُ حُزْنِي هَدْأَةً * وٱنطَوَى (حفني) فعادَتْ للشُّبُوبِ

فتَذَكَّرْتُ به يومَ ٱنطَوَى * صادِقُ العَزْمَةِ كَشّافُ الكُرُوبِ (٥)

(١) شدّ الخطوب، أى حملتها عليه. (٢) يريد «بالرتيب»: العيش الثابت المتكرر بحال واحدة لا تتغير؛ والذى وجدناه فى كتب اللغة بهذا المعنى: الراتب لا الرتيب. (٣) يشير بهذا البيت وما بعده الى قصة عجيبة، وهى أنه لما توفى المرحوم الشيخ محمد عبده رثاه على القبر ستة من الخطباء والشعراء، أوّلهم الشيخ أحمد أبو خطوة، ثم حسن عاصم باشا، ثم حسن عبد الرازق باشا الكبير، ثم قاسم أمين بك، ثم حفنى ناصف بك، ثم حافظ ابراهيم بك. وٱتفق أن مات الأربعة الأوّلون على ترتيب وقوفهم فى الرثاء، فلاحظ ذلك المرحوم حفنى بك ناصف، فبعث إلى حافظ بهذه الأبيات:

أتذكر اذ كنا على القبر ستة * نعدّد آثار الإمام ونندب

وقفنا بترتيب وقد دب بيننا * ممات على وفق الرثاء مرتب

أبو خطوة ولى وقفاه عاصم * وجاء لعبد الرازق الموت يطلب

فلبى وغابت بعده شمس قاسم * وعما قليل نجم محياى يغرب

فلا تخش هلكا ما حييت وأن أمت * فما أنت الا خائف تترقب

فخاطر وقع تحت القطار ولا تخف * ونم تحت بيت الوقف وهو مخرب

وخض لجج الهيجاء أعزل آمنا * فإن المنايا عنك تنأى وتهرب

فلما توفى حفنى بعد ذلك نظم حافظ مرثيته تلك. (٤) بانوا: بعدوا.

(٥) يريد «بصادق العزمة»: المرحوم الشيخ محمد عبده.

يـــومَ كَفَّنّـاه فى آمالِنـا * وذَكَرْنا عِنْـدَه قَـوْلَ (حَبيب) (١) :

عَرَفُوا مَنْ غَيَّبُوه وكذا * تُعْرَفُ الأَقْمارُ مِنْ بَعْدِ المَغيب (٢)

وفُجِعْنـا بإمامٍ مُصْـلِحٍ * عامِـرِ القَلْبِ وأَوّابٍ مُنِيـب (٣)

كَمْ له من باقِياتٍ فى الهُدَى * والنَّدَى بين شُرُوقٍ وغُرُوب

يَبْـذُلُ المَعْروف فى السِّـرِّ كما * يَرْقُبُ العاشِـقُ إغْفَـاءَ الرَّقيب (٤)

يُحْسِنُ الظَّنَّ به أعـداؤُه * حينَ لا يَحْسُنُ ظَنٌّ بقَـريب

تَنْزِلُ الأَضْيافُ منـه والمُـنَى * والخِلالُ الغُرُّ فى مَرْعًى خَصِيب

قد مَضَتْ عَشْرٌ وسَـبْعٌ والنُّهَى * فى ذُبُـولٍ والأَمانِى فى نُضُـوب (٥)

نَرْقُبُ الأُفْـقَ فلا يَبْـدُو به * لامِـعٌ مِنْ نُـورِ هادٍ مُسْتَثِيب (٦)

ونُنـادِى كُلَّ مَأْمُـولٍ وما * غيرُ أَصْـداءِ المُنـادِى مِنْ مُجِيب

دَوِىَ الجُـرْحُ ولَمْ يَقْـدَرْ له * بَعْدَ ثاوِى (عَيْنِ شَمْسٍ) مِنْ طَبِيب (٧)

أَجْدَبَ العِـلْمُ وأَمْسَى بَعْـدَه * رائِـدُ العِرْفانِ فى وادٍ جَدِيب (٨)

---

(١) حبيب ، هو ابن أوس الطائى ، المكنّى أبا تمام ، الشاعر المعروف .

(٢) يلاحظ أن هذا البيت قد ورد فى شعر حبيب بن أوس بمعناه قال يرثى إسحاق بن أبى ربعى :

قـــد علمت ما رزئت إنما * يعرف فقد الشمس عند المغيب

ولم يرد بلفظه كما توهمه عبارة حافظ فى البيت الذى قبله . (٣) الأوّاب : كثير الرجوع إلى الله . والمنيب : من أناب ، بمعنى رجع . (٤) الإغفاء : النوم . (٥) النضوب : الجفاف .

(٦) مستثيب ، أى يطلب ممن ضل طريق الهدى أن يثوب إليه ، أى يرجع . (٧) دوى : صار ذا داء . والثاوى : المقيم . وعين شمس : البلد الذى كان يسكنه الفقيد ، وهى ضاحية من ضواحى القاهرة معروفة . (٨) الرائد : الطالب .

(١)
رَحْمَةُ الدِّينِ عليه كلما * خَرَجَ التفسيرُ عن طَوْقِ الأَرِيبِ

رَحْمَةُ الرأيِ عليه كلما * طاشَ سَهْمُ الرأيِ فى كَفِّ المُصِيب

رَحْمَةُ الفَهْمِ عليه كلما * دَقَّت الأَشْياءُ عن ذِهْنِ اللَّبِيب

رَحْمَةُ الحِلْمِ عليه كلما * ضاقَ بالحِدْثانِ ذُو الصَّدْرِ الرَّحِيب

ليسَ فى مَيْدانِ (مِصْرٍ) فارِسٌ * يَرْكَبُ الأَخْطارَ فى يَوْمِ الرُّكُوب

(٢)
كلما شارَفَه مِنَّا فَتًى * غالَه المِقْدارُ مِنْ قَبْلِ الوُثُوب

(٣)
ما تَرَى كيف تَوَلَّى (قاسِمٌ) * وهو فى المَيْعَةِ والبُرْدِ القَشِيب

(٤)
أَنْسَى الأَحْياءَ ذِكْرَى (عَبْدِه) * وهىَ للمُسْتافِ مِنْ مِسْكٍ وطِيب

(٥)
إِنَّهم لو أَنْصَفُوها لبَنَوْا * مَعْهَدًا تَعْتادُه كَفُّ الوَهُوب

(٦)
مَعْهَدًا للدِّينِ يُسْقَى غَرْسُه * مِنْ نَمِيرٍ فاضَ مِنْ ذاكَ القَلِيب

وَنَسِينا ذِكْرَ (حِفْنِى) بَعْدَه * ودَفَنَّا فَضْلَه دَفْنَ الغَرِيب

(٧)
لَم تَسِلْ مِنَّا عليه دَمْعَةٌ * وهو أَوْلَى الناسِ بالدَّمْعِ الصَّبِيب

---

(١) الطوق : الجهد والطاقة . والأريب : العاقل البصير . ويريد « بالتفسير » : تفسير القرآن الكريم ، وكان الفقيد يتولى تدريسه بالأزهر .

(٢) شارفه : أشرف عليه ودنا منه . (٣) ميعة الشباب : أوله . والقشيب : الجديد . وقاسم ، هو المرحوم قاسم بك أمين .

(٤) استاف الطيب : شمه . (٥) تعتاده ، أى تتعوّد الإنفاق عليه وتتعهده بالبذل .

(٦) الماء النمير : الناجع فى الرى . والقليب : البئر . ويريد به الفقيد .

(٧) الصبيب : المنصبّ .

سَكَنَتْ أَنفاسُ (حفْنِى) بعْـدَ ما * طَيَّبَتْ فى الشَّرْقِ أَنفاسَ الأَدِيبِ (١)

عاشَ خِصْبَ العُمْرِ موْفُورَ الحِجَا * صادِقَ العِشْرَةِ مأْمُونَ المَغِيب

تأبين حسن عبد الرازق باشا وإسماعيل زهدى بك (٢)

قالها فى الحفل الذى أقامه الأحرار الدستوريون لتأبين الفقيدين

[يوم الأربعين ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٢٢ م]

عَلَمـانِ مِنْ أَعْلامِ مِصْـ * ـرَ عَدَا الرَّدَى فَطواهُمَـا

(حَسَنٌ) و(زُهْدِى) لَمْ يُمَـ * ـتَّـعْ بالشَّـبابِ كِلاهُمَـا

سَلَكَا سَبِيلَ الحَـقِّ ما * عاشَـا وما أَوْلاهُمَـا!

دَاسَ الأَثِيـمُ حِماهُما * تَحْتَ الدُّجَى ودَهاهُمَـا

فَرمَى النُّهَى والفَضْلَ مُجْـ * ـتَمِعَيْنِ حِـينَ رَماهُمَـا

إنْ تَذْكُرُوا هِمَمَ الرِّجا * لِ فقَدِّمُوا ذِكْراهُمَـا

أَوْ تَسْـأَلُونِى عَنْ شَهِيـ * ـدَىْ مَبْـدَإٍ فهُمَا هُمَـا

---

(١) سكون الأنفاس : كناية عن الموت . ويريد بقوله « طيبت فى الشرق أنفاس الأديب » : أن أدباء الشرق قد تخرّجوا عليه ، وأخذوا من أدبه وفضله ما طابت به منشآتهم وارتفع به أدبهم .

(٢) فى مساء الخميس ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٢ م ، اعتدى معتد على عضوين من أعضاء حزب الأحرار الدستوريين ، هما المرحومان حسن عبد الرازق باشا وإسماعيل زهدى بك ، فرماهما بالرصاص ولم يمهلهما الأجل إلا أياما ، فتوفى إسماعيل بك أوّلا ، وتوفى حسن باشا بعده ، وكان مبعث هذا الاعتداء الخلاف السياسى بين الأحزاب .

رثاء إسماعيل صبرى باشا (١)

أنشدها فى حفل التأبين الذى أقيم فى فناء مدرسة المعلمين بالمنيرة فى مايو سنة ١٩٢٣ م، وحين وقف لإنشاد هذه القصيدة أكثر المجتمعون التصفيق ترحيبا به، فقال مرتجلا :

أَكْثَرْتُمُ التَّصْفِيقَ فى مَوْطِنٍ * كانَ البُكَا فيه بِنَا أَلْيَقَا

فَأكْرِمُوا (صَبْرِى) بِإِنْصَاتِكُمْ * ولْيَعْذِرِ الدَّمْعُ إذا صَفَّقَا

ثم ابتدأ فى إنشاد قصيدته :

نَعَاكَ النُّعَاةُ وحُمَّ القَدَرْ (٢) * ولَمْ يُغْنِ عَنَّا وعَنْكَ الحَذَرْ

طَوتْ ذَبْحَةُ الصَّدْرِ صَدْرَ النَّدِىّ (٣) * فلَمْ تَطْوِ إلّا سِجِلَّ العِبَرْ

فأَمْسَيْتَ تُذْكَرُ فى الغَابِرِين (٤) * وإنْ قَلَّ مِثْلُكَ فِيمَنْ غَبَرْ

إذا ذُكِرَتْ سِيَرُ النَّابِهِين (٥) * فسِيرَةُ (صَبْرِى) تَجُبُّ السِّيَرْ

لقد كنتَ بَرًّا بِظِلِّ الشباب (٦) * فلَمَّا تَقَلَّصَ كُنتَ الأَبَرّ

(١) ولد المرحوم إسماعيل صبرى باشا فى سنة ١٨٥٤ م، وبعد أن أخذ حظه من التعلم فى مصر ونال شهادة الحقوق، سافر الى أوربا فأتم علومه القانونية هنالك، ونال الشهادة من كلية اكس، وبعد عودته إلى مصر تولى عدّة مناصب قضائية وإدارية، وآخر منصب تولاه وكالة الحقانية، واعتزله فى سنة ١٩٠٧، وكانت وفاته فى ربيع سنة ١٩٢٣ م. وشعره معروف بالرقة ولطف الصياغة وجودة النسيب، كما اشتهر بالإجادة فى المقطعات الصغيرة، وإلى هذا يشير حافظ فى مرثيته.

(٢) حم القدر : قضى (بالبناء للمجهول فيهما). ويريد «بالقدر» : الموت.

(٣) يشير الى أن الفقيد توفى بالذبحة الصدرية، وقد عاش مصابا بها رحمه الله أعواما طويلة. والندى : مجلس القوم ومتحدثهم.

(٤) الغابرون : الماضون.

(٥) تجب السير : تقطعها وتذهب بها. يقول : إنه إذا ذكر الفقيد لم يذكر سواه فى النابهين من الرجال.

(٦) تقلص الظل : تقبض. يريد أنه قد بعد عن الإثم فى شبابه، فلما ذهب شبابه كان بعده عن الإثم أشدّ.

فلم تستبق نزوة فى الصبا * ولم تستبح هفوة فى الكبر

أهنى الثرى أم أعزى الورى * لقد فاز هذا وهذا خسر

أأول يوم لعهد الربيع * تجف الرياض وتذوى الزهر ؟ (١)

ويذبل زهر القريض الثرى * ويقفر روض القوافى الغرر (٢)

ليهدأ (عمان) فغواصه * أصيب وأمسى رهين الحفر (٣)

فقد كان يعتاده دائبا * بكورا رووحا لنهب الدرر (٤)

يقول فيرخص در النحور * ويغلى جمان بنات الفكر (٥)

يسوق القصار فيأبى العثار * وكم من مطيل ممل عثر (٦)

قصار وحسب النهى أنها * لها معجزات قصار السور

رحمت، فقد كنت حلو اللسان * جلى البيان صدوق الخبر

قليل التعجب جم الأناة * حكيم الورود حكيم الصدر (٧)

شمائلك الغر هن الرياض * روى عن شذاها نسيم السحر (٨)

---

(١) ذوى الزهر : ذبل . ويشير بهذا الى أن وفاة الفقيد كانت فى فصل الربيع .

(٢) القريض الثرى : الغنى بمعانيه وألفاظه . (٣) عمان : كورة من بلاد العرب معروفة باللؤلؤ المستخرج من بحرها . ويريد الشاعر بهذا البيت تشبيه شعر الفقيد باللؤلؤ الذى يؤتى به من بحر عمان .

(٤) يعتاده دائبا، أى يواظب على استخراج اللآلئ منه ليرصع بها شعره . (٥) الجمان : اللؤلؤ، الواحدة جمانة . ويريد « بنات الفكر » : معانى الشعر . (٦) يشير الى أن الفقيد كان أجود ما يكون شعره فى المقطوعات القصيرة . (٧) الأناة : التأنى . ويريد « بحكيم الورود ... » الخ : أنه بصير بمواقع الأمور يحسن الدخول اليها والخروج منها . (٨) الشذا : الرائحة الطيبة .

لها مِثْلُ رَوْحِ الدُّعاءِ ٱستُجِيب * فعافَى وآوَى وأَغْنَى وسَرّ[١]

إذا ما وَرَدْتَ لها مَنْهَلًا * وَرَدْتَ نَمِيرًا لَذِيذَ الخَصَر[٢]

وفِكْرُكَ فى خِصْبِهِ ثَرْوَةٌ * لِفِكْرِ الأَدِيبِ إذا ما ٱفْتَقَر[٣]

وشِعْرُكَ كالماءِ فى صَفْوِه * على صَفْحَتَيْه تَرَاءَى الصُّوَر[٤]

عُيُونُ القصائِدِ مِثْلُ العُيُون * وشِعْرُك فيهنّ مِثْلُ الحَوَر[٥]

وكم لَكَ شَكْوَى هَوًى أو أَسًى * لها نَفَثَاتٌ تُذِيبُ الحَجَر

هَتَفْتَ بها مَرَّةً فى الهَجِير * فكادَ يَدِبّ إليكَ الشَّجَر[٦]

وكم كنتَ تُشْعِلُ فَحْمَ الدُّجَى * بأَنْفَاسِ صَبٍّ طَوِيلِ السَّهَر[٧]

فيا وَيْحَ قَلْبِكَ ماذا أَلَحّ * عليه مِنَ الدّاءِ حتّى ٱنفَطَر

أَيَخْفِقُ تحتَ الدُّجَى وَحْدَه * لِذِكْرَى أَلِيفٍ سَلَا أو هَجَر[٨]

---

(١) الروح : الراحة .

(٢) النمير : الماء الناجع فى الرى . وخصر الماء (بالتحريك) : برودته .

(٣) يريد بهذا البيت أن الأدباء يستمدّون من معانيه إذا أعوزتهم المعانى .

(٤) تراءى ، تتراءى ، أى تبين وتظهر . (٥) عيون القصائد : نفائسها وكرائمها . والحور فى العين : اشتداد البياض والسواد فى بياضها وسوادها ، واستدارة حدقتها ، ورقة جفونها .

(٦) الهجير : شدّة الحر . ويشير بهذا البيت الى مقطوعة المرحوم اسماعيل صبرى باشا ، أوّلها :

ياسرحة بجوار الماء ناضرة * سقاك دمعى اذا لم يوف ساقيك

عار عليك وهذا الظل منتشر * فتك الهجير بمثلى فى نواحيك

(٧) يشير بهذا البيت الى مقطوعات الفقيد فى النسيب والشوق ، وهى من أنفس شعره .

(٨) يشير بهذا البيت الى قول الفقيد يخاطب فؤاده :

سلا الفؤاد الذى شاطرته زمنا * حمل الصبابة فأخفق وحدك الآنا

إذا قِيلَ (صَبْرِى) ذَكَرْتُ (الوَلِيد) * وَمَرَّتْ بِنَفْسِىَ ذِكْرَى (عُمَرْ) (١)

يَزِينُ تَوَاضُعُه نَفْسَــه * كما زانَ حُسْنَ المِلاحِ الخَفَــر (٢)

زَكِىُّ المَشَاعِرِ عَفُّ الهَوَى * شَهِىُّ الأَحَادِيثِ حُلْوُ السَّمَر (٣)

لقد كُنتُ أَغْشَاهُ فى دارِه * ونادِيهِ فيها زَهَا وٱزْدَهَــر

وأَعْرِضُ شِعْرِى على مَسْمَعٍ * لَطِيفٍ يُحِسُّ نُبُوَّ الــوَتَر (٤)

على سَمْعِ باقِعَــةٍ حاضِرٍ * يَمِيزُ القــدِيمَ مِنَ المُبْتَكَر (٥)

فَيَصْقُلُ لَفْظِى صَقْلَ الجُمَانِ * ويَكْسُوه رِقَّــةَ أَهْــلِ الحَضَر (٦)

يُرَقْرِقُ فيــه عَبِيرَ الجِنَانِ * فَتَسْتَافُ منــه النُّهَى والفِكَر (٧)

كذلك كان ــ عليه السَّلامُ ــ * إمامًا لِكُلِّ أَدِيبٍ شَــعَر

فكُنَّا الجَداوِلَ نُرْوِى الظِّمَاءَ * ظِمَاءَ العُقُــولِ وكانَ النَّهَــر (٨)

زَهِــدْتَ عــلى شُهْرَةٍ طَبَّقَتْ * وجاهٍ أَظَــلَّ وفَضْــلٍ بَهَــر (٩)

---

(١) يريد «بالوليد وعمر» : أبا عبادة البحترى وعمر بن عبد الله بن أبى ربيعة القرشى المخزومى ، الشاعرين المعروفين . شبه بهما الفقيد فى رقة الأسلوب ، وعذوبة الألفاظ ، وطرافة المعانى ، وحسن النسيب . وكان اسماعيل صبرى رحمه الله ، يعجب كثيرا بشعر البحترى و يفضله على غيره من الشعر .

(٢) الخفر : شدة الحياء . (٣) زكى المشاعر : طاهرها . وعف الهوى : عفيفه فلا يدعوه حبه الى ارتكاب مأثم . (٤) يريد بقوله «يحس نبوالوتر» : أنه كان يدرك بلطف حسه ودقة ذوقه ما نبا من الألفاظ والعبارات ، وندّ عما جاوره ولم ينسجم معه فى البيت أو القصيدة .

(٥) الباقعة : الذكى العارف الذى لا يفوته شىء . (٦) يصقل لفظى ، أى يجلوه و يحسنه .

(٧) العبير : الرائحة الطيبة . وتستاف : تشم . والنهى : العقول .

(٨) الجداول : الأنهار الصغيرة من النهر الكبير . (٩) أظل : أى امتدّ ظله واتسع .

خَلَعْتَ الشَّبابَ فَلَمْ تَبْكِه * وساءَكَ أنّكَ لَمْ تُحْتَضَرْ (١)

وقد ذُقْتَ طَعْمَ الرَّدَى عِنْدَ ما * أُصيبَ قِطارُكَ يومَ السَّفَرْ (٢)

فأقْسَمْتَ أنّكَ أَلْفَيْتَه * لَذيذَ المَذاقَةِ إذْ تُحْتَضَرْ (٣)

تَمَنَّيْتَ أنْ لَمْ تَعُدْ للحياة * ولكنْ أباها عليكَ القَدَرْ

وكم ساعةٍ بين ساعِ الحَياة * سَقَتْكَ المُرارَ بكأسِ الضَّجَرْ (٤)

فرُحْتَ الى أخْتِها شاكِيًا * أذاقَتْكَ منها فكانَتْ أَمَرْ (٥)

فَفَتَّشْتَ أثْناءَها جاهِدًا * بِعَيْنَيْ بَصيرٍ بَعيدِ النَّظَرْ

فَلَمْ تَرَ فيها على طُولِها * هُنَيْهَةَ صَفْوٍ خَلَتْ مِنْ كَدَرْ (٦)

---

(١) احتضر فلان بالبناء للمجهول : مات غضا شابا . (٢) يشير بهذا البيت والذين بعده الى ما حدث للفقيد أيام كان محافظا لمدينة الاسكندرية ، وذلك أنه بينا كان راكبا قطار الرمل عائدا إلى منزله من زيارة صاحب السمو الخديوى عباس الثانى اذ اصطدم القطار الذى كان يقله مع قطار آخر ، وقد أصيب فى هذه الحادثة كثيرون من الركاب باصابات مختلفة ، وتوفى بعضهم ، وقد أغمى على الفقيد إغماء طويلا ، وأصيب بارتجاج فى مخه ، حتى إنه كان بعد ذلك كثير النسيان من أثر ذلك ، كما أصيب برضوض فى كتفه الأيسر ، وكان يحدث الى جلسائه بأنه قد ذاق طعم الموت فى هذا الحادث فوجده لذيذ المذاق ، وكان يتمنى أن لم تعد اليه الحياة ثانية . (٣) احتضر فلان (بالبناء للمجهول) : حضره الموت .

(٤) الساع : جمع ساعة . والمرار بالضم : شجر شديد المرارة . شبه الأحزان والهموم بعصارة هذا النبات . ويشير بهذا البيت الى مقطوعة للفقيد فى الساعة ، أولها :

كم ساعة آلمنى مسها * وأزعجتنى يدها القاسيه

(٥) يشير بهذا : الى قول الفقيد فى مقطوعة الساعة التى سبقت الإشارة إليها :

وكم سقتنى المر أخت لها * فرحت أشكوها إلى التاليه

فأسلمتنى هذه عنوة * لساعة أخرى وبى ما بيه

(٦) يشير بهذا البيت والذى قبله الى قول الفقيد فى مقطوعة الساعة أيضا :

فتشت فيها جاهدا لم أجد * هنيهة واحدة صافيه

وما زِلْتَ تَشْــكُو الى أَنْ أَتَتْ ✻ كما تَشْتَهِى ساعَةٌ لَمْ تَذَرْ (١)

فلا صَدَّ تَخشــاه بَعْدَ الوِصال ✻ ولا ضَعْفَ تَشْكُوه بَعْدَ الأَشَرْ (٢)

أُرِيحَ فُــؤادُكَ ممّــا ضَـــناه ✻ وصَــدْرُكَ ممّــا عليــه انْكَدَرْ (٣)

تَمَنَّيْتَهــا خُطْـــوَةً لِلْـــمات ✻ تُفَــرِّجُ عنــكَ كُرُوبَ الْغِــيَرْ (٤)

وها قَــدْ خَطاها ونِلْتَ المُنَى ✻ فهَــلْ فى المَمــاتِ بُلُوغُ الوَطَرْ (٥)

صَدَقْتَ ففى المَوْتِ نَصْرُ الأَبِيّ ✻ على الدَّهْرِ إنْ هُوَ يَوْماً غَدَرْ

مَلِلْتَ الثَّـــواءَ بدارِ الزَّوال ✻ فمــاذا رَأَيْتَ بدارِ المَقَـــرّ (٦)

أَتَحْتَ الــتُّرابِ يُضامُ الكَرِيم ✻ ويَشْقَى الحَلِيمُ ويَخْــفَى القَمَرْ؟

ويُهْضَمُ حَقُّ الأَدِيبِ الأَرِيب ✻ ويُطْمَسُ فَضْلُ النَّبِيهِ الأَغَرّ؟ (٧)

أتحتَ التّرابِ تُساقُ الشُّعوب ✻ بسَوْطِ العُبودَةِ سَــوْقَ البَقَــرْ؟

ويُعقَــدُ مُؤْتَمَـــرٌ للسَّــلام ✻ فتَخْرُجُ منـــه إلى مُؤْتَمَـــرْ؟

---

(١) ساعة لم تذر : يريد ساعة الموت ؛ ويشير بهذا البيت الى قول الفقيد فى آخر مقطوعة الساعة :

يا شاكى الساعات أسمع عنى ✻ تبيك منها الساعة القاضيه

(٢) الأشر : البطر؛ وقابله بالضعف لأن الأشر انما يكون مع القوة والقدرة .

(٣) مما عليه انكدر، أى مما انصبّ عليه من الهموم .

(٤) الغير : تغيرات الزمان ونوائبه . ويشير بهذا البيت والذى بعده إلى قول الفقيد :

ياموت ها أنــذا فخذ ✻ ما أبقت الأيام منى

بينى وبينك خطوة ✻ إن تخطها فرجت عنى

(٥) الوطر : الحاجة . (٦) الثواء : الإقامة .

(٧) الأريب : العاقل الفطن .

فإنْ كان ما عِنْدَنا عِنْدَكُمْ * فليسَ لنا مِنْ شَقاء مفَرّْ

خِضَمُّ الحَياةِ بَعيدُ النَّجاة [1] * فطُوبَى لراكبِه إنْ عَبَرْ

فعُدْ سالمًا غانمًا للتّراب * كَرَأْيِكَ فى الموتِ وآهنأْ وَقَرْ

رثاء سعيد زغلول [2]

أنشدها على قبر الفقيد بعد دفنه

[نشرت فى ٢١ يوليه سنة ١٩٢٣ م]

ما أنتَ أَوّل كَوْكَب * فى الغَرْبِ أَدْرَكَه المَغيبْ

فهُناكَ أَقْمارُ المَشا * رِقِ قد أُتيحَ لها الغُروب

داسَ الحِمامُ عَرِينَ خا [3] * لِكَ، وهو مَرْهوبٌ مَهِيب

لم يَثْنِه عَنْكَ الرَّئِيـ [4] * سُ ولا رَمَى عَنْكَ الخُطوب

يا (سَعْدُ) كَيْفَ قَضَى (سَعِيـ * ـدٌ) وهْوَ مِنْ (سَعْدٍ) قَرِيب؟

---

(١) الخضم : البحر .

(٢) نشأ سعيد زغلول فى ظل خاله المغفور له سعد زغلول باشا ، و بعد أن تخرج فى مدرسة الحقوق عين مساعدا للنيابة ، ثم انتقل الى الديوان السلطانى فى أيام المغفور له السلطان حسين كامل ، ثم عاد إلى النيابة ثانية ، ثم عين قاضيا فى محكمة الزقازيق . ولما سُم خاله الوحدة ، وكان إذ ذاك منفيا بجبل طارق ، استدعاه إليه فكان معه فى جبل طارق ، وصحبه فى سفره بعد ذلك إلى أوربا ، وقد أصيب بمرض لم يمهله إلا أياما ؛ وكانت وفاته فى ١٠ يوليه سنة ١٩٢٣ م ، ثم نقل جثمانه من أوربا الى مصر .

(٣) العرين : مأوى الأسد .

(٤) لم يثنه : لم يصرفه . و يريد « بالرئيس » رئيس الوفد المصرى المرحوم سعد زغلول باشا .

عَجَـــبًا ! أَتَحْـمِى أُمَّـــةً * وتَخَـافُ جانِبَكَ الخُطُوبْ (١)

ويُغَالُ ضَـيْفُكَ وابنُ أُخْـ * ـتِكَ وهْوَ عَنْ (مِصْرٍ) غَرِيب ؟

نُبِّئْتُ أَنَّكَ قَـــد بَكَيْـ * ـتَ وهالَكَ اليَوْمُ العَصِيب

واذا بَكَى (سَـعْدٌ) بَكَتْ * لُبكائِهِ مِنّـا القُـــلُوب

يا (آلَ زُغْـــلُولٍ) ذَوَى * مِنْ رَوْضِكُمْ غُصْنٌ رَطِيب (٢)

فَقَـدَتْ به (مِصْرٌ) فَتًى * أَخْلاقُـه مِسْـكٌ وطِيب

يا (آلَ زُغْـــلُولٍ) وَعَو * دُكُمُ عـلى الجُـلَّى صَلِيب (٣)

إِنِّى لأَخْجَـلُ أَنْ أُعَـــزِّيَـكُمْ وكُلُّـكُمُ أَرِيـــب (٤)

شاكِى سِـــلاحِ الصَّبرِ مُمْـ * ـتَحِنٌ لِدُنْيَـاهُ أَبِيب (٥)

خَطْبُ الكِنانَةِ فى فَقِيـ * ـدِكُمُ لِخَطْبِكُمُ يُشِيب (٦)

لَمْ يَبْـــقَ مِنّـا واحِـــدٌ * إلّا لـه مِنْـــه نَصِـيب

---

(١) يلاحظ أن فى هذا الشعر إيطاء، لتكرر لفظ «الخطوب» فى بيتين ليس بينهما غير بيت واحد .

(٢) ذوى : ذبل .

(٣) الجـلى : المصيبة العظمى . وصليب ، أى صلب .

(٤) الأريب : ذو العقل والرأى .

(٥) شاكى سلاح الصبر ، أى متسلح بالصبر ، قوى به على مواجهة الخطوب .

(٦) «لخطبكم» ... الخ ، أى خطب مصر لأجل الخطب الذى أصبتم به يشيب الرأس لعظم هوله .

رثاء محمد سليمان أباظه بك (١)

[في سنة ١٩٢٣ م]

مَنْ لم يَذُقْ فقدَ أليفِ الصِّبَا * لم يَدْرِ ما أبْدى وما أضْمَرُ

أفقدَني المَوْتُ به وافيًا * لا يَعْرِفُ الخَتْلَ ولا يَغْدِرُ (٢)

تقرأُ في عينيه كلَّ الذي * في نفسِه عن نفسِه يَسْتُرُ

ثلاثةٌ لم تَعْرُ عن عِفَّةٍ : * لسانُه والذَّيلُ والمِئْزَرُ (٣)

قد كان مِتْلافًا لأمواله * وكان نَهَّاضًا بمَنْ يَعْثُرُ

أوْشَكَ أنْ يُفْقِرَه جُودُه * ومِنْ صُنُوفِ الجُودِ ما يُفْقِرُ

أُصِيبَ فيه المجدُ يومَ انطوى * والعُرْفُ والسائلُ والمُعْسِرُ (٤)

* * *

كُنّا على عَهْدِ الصِّبا سَبْعَةً * بمُسْتَطابِ اللَّهْوِ نَسْتَأْثِرُ

(البابِلِي) صَفْوَةُ فِتْيانِنا * و(ابن المُوَيْلحِي) الكاتبُ الأشْهَرُ (٥)

و(صادقٌ) خيرُ بَني (سَيِّدٍ) * و(بَيْرَمٌ) إذْ عُودُه أخْضَرُ

وكانَ (عَبْدُ اللهِ) أُنْسًا لنا * وأُنْسُ (عَبْدِ اللهِ) لا يُنْكَرُ

هُوَ كَرِيمٌ لَمْ يَشُبْ صَفْوَه * رِجْسٌ ولَمْ يَشْهَدْه مُسْتَهْتَرُ (٦)

---

(١) محمد سليمان أباظه بك ، هو ابن سليمان أباظه باشا ولد سنة ١٨٧٢ وتعلم في مدرسة البوليس ثم كان ضابطا الى سنة ١٨٩٧ م ثم تولى عدة أعمال أخرى آخرها وكالته لمصلحة الأملاك وتوفي سنه ١٩٢٣ م .
(٢) الختل : الخداع . (٣) المئزر : الازار . وعفة المئزر : كناية عن عفة ماتحته . (٤) العرف : المعروف . (٥) انظر التعريف بالبابلي والمويلحي (في الحاشية رقم ٥ صفحة ١٦٦ والحاشية رقم ٣ من صفحة ٥٠ ، من الجزء الأول على الترتيب) . (٦) لم يشب : لم يخالط . والرجس : النجس .

فكم لنا من مجلس طيب * يشتاقه (هارون) أو (جعفر)[1]

نلعب باللفظ كما نشتهى * ونضمر المعنى فما يظهر

ونرسل النكتة محبوكة * عن غيرنا فى الحسن لا تصدر

ثم انطوى هذا وهذا وما * يطوى من الأيام لا ينشر

كم دوحة[2] أودى بها عاصف * والنجم من مأمنه ينظر

ذكرى المرحوم محمد أبى شادى بك[3]

عجبت أن جعلوا يوماً لذكراكا * كأننا قد نسينا يوم منعاكا

إذا سلت (يا أبا شادى) مطوقة[4] * ذكر الهديل فثق أنا سلوناكا

فى مهجة (النيل) والوادى وساكنه * رجع[5] لصوتك موصول بذكراكا

قد عشت فينا نميراً[6] طاب مورده * أسمى سجايا الفتى أدنى سجاياكا

(١) يريد هارون الرشيد، وجعفر بن يحيى البرمكى وزيره، وقد توفى جعفر مقتولا بأمر الرشيد سنة ٨٧ هـ . (٢) الدوحة : الشجرة العظيمة . (٣) كان المرحوم محمد أبو شادى بك علما من أعلام المحاماة وإليه انتهت رآسة نقابة المحامين حينا من الزمن كما كان صحفيا مبرزا وأنشأ صحيفة يومية سماها « الظاهر » وانتخب عضوا فى مجلس النواب وتوفى فى ٣٠ يونية سنة ١٩٢٥ م .

(٤) المطوقة : الحمامة، لما يحيط بعنقها من لون يخالف سائر لونها . والهديل : زعم بعض الأعراب أنه فرخ من الحمام قديم مات ضيعة وعطشا، فيقولون : ما من حمامة إلا وهى تبكى عليه .

(٥) رجع الصوت : صداه . (٦) النمير : الماء الناجع فى الرى . ويريد بقوله «أسمى سجايا» : أن أعلى ما يتحلى به الناس من صفات فاضلة هو أقل ما تحلى به من شيم ومكارم .

فما كأُولاكَ فى بِرٍّ وفى كرمٍ * أولَى كريمٍ ، ولا عُقْبَى كعُقْبَاكا

قَضيةُ الوَطَنِ المَغْبُونِ ،قد مَلَأَتْ * أَنْحاءَ نَفْسِكَ شُغْلًا عن قَضاياكا

أَبْلَيْتَ فيها بَلاءَ المُخْلِصِين لها * وكان سَهْمُكَ أَنَّى رِشْتَ فَتّاكا (١)

أَجْمَلْتَ ما فَصَّلُوه فى قصائِدِهِمْ * حتّى لقد نَضَّرُوا بالحَمْدِ مَثْواكا (٢)

لَم يُبْقِ لى قَيْدَ شِبْرٍ صاحِباىَ ولَمْ * يَفْسَحْ لىَ القَوْلَ لا هٰذا ولا ذاكا

يا مُدمِنَ الذِّكْرِ والتَّسْبِيحِ مُحْتَسِبًا * هأَنْتَ فى الخُلْدِ قد جاوَرْتَ مَوْلاكا

لو لم يَكُنْ لكَ فى دُنْياكَ مَفْخَرَةٌ * سِوَى (زَكِىٍّ) لقد جَمَّلْتَ دُنْياكا (٣)

رثاء المغفور له سعد زغلول باشا

أنشدها فى الحفل الذى أقيم لتأبين الفقيد فى ٧ أكتوبر سنة ١٩٢٧ م

إِيهِ يا لَيْلُ هَلْ شَهِدْتَ المُصابَا * كيف يَنْصَبُّ فى النُّفُوسِ انْصِبابا؟

بَلِّغِ المَشْرِقَيْنِ قَبْلَ انْبِلاجِ الصُّبْحِ (٤) أَنَّ الرئيسَ وَلَّى وَغابا

وَانْعَ للنَّيِّراتِ (سَعْدًا) فَـ (سَعْدٌ) * كان أَمْضَى فى الأرضِ منها شِهابا

قُدَّ يا لَيْلُ مِنْ سَوادِكَ ثَوْبًا * للدَّرارِى وللضُّحَى جِلْبابا (٥)

---

(١) راش السهم يريشه ، اذا ألصق به الريش ليكون أسرع فى مضيه .

(٢) نضروا ، من النضرة ، وهى الحسن والبهجة . ومثواك : قبرك .

(٣) المراد « بزكى » : الدكتور أحمد زكى أبو شادى ، ابن الفقيد .

(٤) انبلاج الصبح : إشراقه . (٥) قدّ : اقطع . والدرارى (بتشديد الياء ، وخففت للشعر) : الكواكب المضيئة الصافية الشعاع .

أَنسُجِ الحالِكاتِ منكَ نِقاباً (١) * وَاحجُبُ شمسَ النَّهارِ ذاكَ النِّقابا

قُل لَها : غابَ كوكبُ الأَرْضِ فى الأر * ضِ فغيبى عن السَّماءِ احتجابا

والبَسِينِى عليه ثوبَ حِدادٍ * واجلِسِى للعَزاءِ فالحُزْنُ طابا

أين (سَعْدٌ) ؟ فذاكَ أوّلُ حَفْلٍ * غابَ عَنْ صَدْرِه وعافَ الخِطابا (٢)

لَم يُعَوِّدْ جُنودَه يومَ خَطْبٍ * أنْ يُنادَى فلا يَرُدُّ الجَوابا

عَلَّ أمْرًا قد عاقَه ، عَلَّ سُقْمًا * قد عَراهُ (٣) ، لقد أطالَ الغِيابا

أَىْ جُنُودَ الرئيسِ نادُوا جِهارًا * فإذا لَمْ يُجِبْ فشُقُّوا الثِّيابا

إنّها النَّكْبَةُ الّتى كنتُ أَخْشَى * إنّها الساعةُ الّتى كنتُ آبَى (٤)

إنّها اللَّفظةُ (٥) الّتى تَنْسِفُ الأَنْ * فُسَ نَسْفًا وتَفْقُرُ الأَصْلابا

ماتَ (سَعْدٌ) ، لا كنتِ يا (ماتَ سَعْدٌ) * أَسِهامًا مَسْمُومَةً أَمْ حِرابا

كيفَ أقْصَدْتِ (٦) كُلَّ حَىٍّ على الأرْ * ضِ وأَحْدَثْتِ فى الوُجُودِ انقِلابا؟

حَسْرَةٌ عند أَنَّةٍ عندَ آهٍ * تَحتَها زَفْرَةٌ تُذيبُ الصِّلابا (٧)

قُل لِمَنْ باتَ فى (فِلَسْطِينَ) (٨) يَبْكِى * إنّ زِلزالَنا أَجَلُّ مُصابا

---

(١) يقال : حباه كذا و بكذا يحبوه ، إذا أعطاه إياه . (٢) عاف الشيء : كرهه وزهد فيه .
(٣) عراه : أصابه . (٤) آبى ، أى أكره . (٥) يريد باللفظة : (مات سعد) الواردة فى البيت التالى . والأصلاب : عظام فى الظهر ذات فقار من لدن الكاهل الى العجب . وتفقرها ، أى تصيب هذه الفقار فتكسرها . (٦) أقصده : أصاب مقتله . (٧) الصلاب ، أى الحجارة الصلبة . (٨) يشير الى زلزال فلسطين الذى حدث فى ١١ يوليه سنة ١٩٢٧ م ، والذى عم خطبه كثيرا من البلاد الفلسطينية ، فدمر كثيرا من الدور ، وأهلك عددا ليس بقليل من الأنفس ، وقد تبرع الفقيد لمنكوبى هذا الزلزال بمئة جنيه .

قد دُهيتُم فى دُورِكُم ودُهينا * فى نُفُوسٍ أَبَيْنَ إلّا آحتِسابا (١)

فَفَقَدْتُمْ على الحَوادِثِ جَفْنًا * وفَقَدْنَا المُهَنَّدَ القِرْضابا (٢)

سَلَّهُ رَبُّه زَمانًا فأَبلى * ثُمَّ ناداهُ رَبُّه فأَجابا (٣)

قَدَرٌ شاءَ أَنْ يُزَلْزِلَ (مِصْرًا) * فتَغالَى فزَلْزَلَ الأَلْبابا

طاحَ بالرَّأسِ مِنْ رِجالاتِ (مِصْرٍ) * وتَخَطَّى التُّحُوتَ والأَوْشابا (٤)

والمَقادِيرُ إِنْ رَمَتْ لا تُبالِى * أَرُءوسًا تُصِيبُ أَمْ أَذْنابا

خَرَجَتْ أُمَّةٌ تُشَيِّعُ نَعْشًا * قد حَوَى أُمَّةً وبَحْرًا عُبابا

حَمَلُوه على المَدافِعِ لَمّا * أَعْجَزَ الهامَ حَمْلُه والرِّقابا

حالَ لَوْنُ الأَصِيلِ والدَّمْعُ يَجْرِى * شَفَقًا سائِلًا وصُبْحًا مُذابا (٥)

وسَهَا النِّيلُ عَنْ سُراهُ ذُهُولًا * حِينَ أَلْفَى الجُمُوعَ تَبْكِى آنتِحابا

ظَنَّ يا (سَعْدُ) أَنْ يَرَى مِهْرَجانًا * فرَأَى مَأْتَمًا وحَشْدًا عُجابا

لَمْ تَسُقْ مِثْلَه فَراعِينُ (مِصْرٍ) * يومَ كانوا لأَهْلِها أَرْبابا (٦)

---

(١) احتسابا، أى إن هذه النفوس جعلت هذا المصاب رأحتها لها له فيما يذخرها عند الله .

(٢) الجفن : الغمد . والمهند : السيف . والقرضاب : القطاع . يقول : إن ما ضاع من الفلسطينيين بالزلزال بالقياس الى ما ضاع منا كالغمد اذا قيس بالسيف . (٣) سله : شهره .

(٤) طاح به : ذهب به . والتحوت : السفلة . والأوشاب : الأخلاط من الناس ؛ الواحد وشب (بالكسر) . (٥) يقول : إن لون الأصيل قد غيرته الدموع التى كانت تجرى دما ، فكانت كأنها شفق سائل ، أو صبح مذاب ؛ وفى لون الشفق والصبح حمرة وصفرة تشبهان حمرة الدم وصفرته .

(٦) مثله ، أى مثل هذا الحشد .

خَضَبَ الشَّيبُ شَيْبَهُم بِسَوادٍ * ومحا البِيضُ يومَ مِتَّ الخِضابا (١)

واستهلَّت سُحْبُ البُكاءِ على الوا * دِى فعَطَّتْ خَضْراءَه واليَبابا (٢)

ساقت (التَّيمسُ) العَزاءَ إلينا * وتَوخَّتْ فى مَدْحِك الإسْهابا (٣)

لم يَنُحْ جازِعٌ عليكَ كما نا * حَتْ ولا أطْنَبَ المُحِبُّ وحابَى

واعترافُ (التَّاميزِ) يا (سَعْدُ) مِقْيا * سٌ لما نالَ نيلَنا وأصابا (٤)

يا كبيرَ الفُؤادِ والنفسِ والآ * مالِ أينَ اعتزمْتَ عنّا الذَّهابا؟

كيفَ نَنْسَى مَواقِفًا لكَ فِينا * كنتَ فيها المَهِيبَ لا الهَيّابا؟

كنتَ فى مَيْعَةِ الشَّبابِ حُسامًا * زادَ صَقْلًا فِرِنْدُه حِينَ شابا (٥)

لم يُنازِلْكَ قارِحُ القَوْمِ إلّا * كنتَ أقْوَى يدًا وأعْلَى جَنابا (٦)

عِظَمٌ لو حَواهُ (كِسْرَى أنُوشر * وانَ) يومًا لَضاقَ عنه إهابا (٧)

ومَضاءٌ يُرِيكَ حَدَّ قَضاءِ اللهِ يَفْرِى مَتْنًا ويَحْطِمُ نابا (٨)

---

(١) يريد أن الشيوخ قد خضبوا شعورهم البيضاء بسواد الحداد، وترك النساء الخضاب حدادا على الفقيد . (٢) يقال : استهل المطر، اذا انهل واشتد انصبابه . واليباب : القفر .

(٣) التيمس : جريدة انجليزية معروفة . (٤) التاميز : نهر فى جنوب انجلترا، ويريد بالتاميز والنيل : أهليهما . (٥) ميعة الشباب : أوله . وفرند السيف : وشيه وجوهره .

(٦) يريد « بالقارح » (هنا) : المكتمل القوة، المستحكم العقل والتجربة من الرجال . والقارح فى الأصل من الأفراس : ما تمت أسنانه، وإنما تتم فى خمس سنين .

(٧) كسرى أنو شروان : ملك من ملوك الفرس معروف . والإهاب : الجلد . أى إن بدن كسرى لا يتسع لمثل هذا السمو والعظم .

(٨) يفرى المتن، أى يقصم الظهر . ويحطم الناب : يكسره .

قد تحدّيت قوّة تملأ المعـ * ـمور من هول بطشها إرهابا (١)

تملك البرّ والبحار وتمشى * فوق هام الورى وتجبي السحابا (٢)

لم ينهنه من عزمك السجن والنفـ * ـى وساجلتها (بمصر) الضرابا (٣)

سائلوا (سيشلًا) أأوجس خوفًا * وسلوا (طارقًا) أرام انسحابا؟ (٤)

عزمة لا يصدّها عن مداها * ما يصدّ السيول تغشى الهضابا

ليت (سعدًا) أقام حتى يرانا * كيف نعلي على الأساس القبابا

قد كشفنا بهديه كلّ خاف * وحسبنا لكلّ شيء حسابا

حجج المبطلين تمضي سراعًا * مثلما تطلع الكؤوس الحبابا

حين قال: (انتهيت) قلنا بدأنا * نحمل العبء وحدنا والصعابا (٥)

فاحجبوا الشمس واحبسوا الروح عنّا * وامنعونا طعامنا والشرابا (٦)

واستشفّوا يقيننا رغم ما نلـ * ـقى فهل تلمحون فيه ارتيابا؟ (٧)

---

(١) يريد «بالقوة»: قوة الإنجليز. (٢) هام الورى: رءوسهم، الواحدة هامة. ويريد بقوله «وتجبي السحابا» أن هذه الدولة لها ملك واسع، فحيث أمطر السحاب وأخرج زرعا كان ما يجبى من هذا الزرع لدولة الانجليز؛ وهو اشارة الى ما يروى من أن بعض الخلفاء رأى سحابة فى الأفق فقال: امطرى حيث تمطرين فان ما تخرجينه من الزرع تجبى ثمراته الينا. (٣) لم ينهنه، أى لم يثنه عن مطلبه ولم يصرفه. وساجلتها الضرابا، أى حاربت هذه القوة كما حاربتك. (٤) سيشل: جزيرة انجليزية فى المحيط الهندى تقع الى الشمال من جزيرة مدغشقر، وقد نفى اليها سعد زغلول باشا هو وبعض أصحابه سنة ١٩٢١م ثم نقل من سيشل الى جبل طارق، لأن جو سيشل أضر به. (٥) حين حضرت سعد الوفاة، سئل: كيف أنت؟ فقال: «أنا انتهيت»، وإلى هذا يشير الشاعر. (٦) الروح: نسيم الريح.

(٧) استشف الشيء: تبينه من وراء حجاب. يقول فى هذا البيت والذى قبله مخاطبا الانجليز: إننا على الرغم مما تصبونه علينا من ألوان العذاب ثابتون على مبدئنا لا نرتاب فيه ولا يزحزحنا عنه مزحزح.

قد مَلَكْتُم فَمَ السَّبيلِ عَلَيْنا * وفَتَحْتُمْ لكلِّ شَعْواءَ بابَا (١)

وأتَيْتُمْ بالحائماتِ تَرامَى * تَحمِلُ المَوْتَ جاثِمًا والخَرابا (٢)

ومَلأتُم جَوانبَ النِّيلِ وَعْدًا * ووَعِيدًا ورَحْمَةً وعَذابا

هل ظَفِرْتُم مِنّا بقَلْبٍ أبِيٍّ * أو رأيْتُمْ مِنّا إليكُمْ مَثابا (٣)

لا تقولوا خَلا العَرينُ فَفيهِ * ألْفُ لَيْثٍ إذا العَرِينُ أهابا (٤)

فاجْمَعوا كَيْدَكُم ورُوعُوا حِماها * إنّ عِندَ العَرِينِ أُسْدًا غِضابا (٥)

جَزِعَ الشَّرْقُ كُلُّه لعَظِيمٍ * مَلأَ الشَّرْقَ كُلَّهُ إعْجابا

عَلَّمَ (الشامَ) و(العِراقَ) و(نَجْدًا) * كيف يُحْمَى الحِمَى إذا الخَطْبُ نابا

جَمَعَ الحقَّ كُلَّه فى كِتابٍ * واسْتَثارَ الأُسُودَ غاباً فَغابا (٦)

ومَشَى يَحْمِلُ اللِّواءَ إلى الحَقِّ * ويَتْلُو فى النّاسِ ذاكَ الكِتابا

كُلَّما أسْدَلُوا عليه حِجابًا * مِنْ ظَلامٍ أزالَ ذاكَ الحِجابا

واقِفٌ فى سَبيلِهِمْ أينَ سارُوا * عالِمٌ باحْتِيالِهِمْ أينَ جابا (٧)

---

(١) الشعواء : الغارة المنتشرة . (٢) يريد «بالحائمات» : الطائرات .

(٣) المثاب : الرجوع . يقول : إنكم بالغتم فى تعذيبنا ، فهل استطعتم أن تميلوا إليكم قلبا أبيا من قلوبنا ، أو أن تجدوا منا استسلاما لكم .

(٤) العرين : بيت الأسد ومأواه . وأهاب : دعا .

(٥) راعه يروعه : أزعجه وخوّفه . والضمير فى «حماها» لمصر .

(٦) يشير بهذا البيت والذى قبله الى اقتفاء الممالك الشرقية أثر مصر واقتدائها بها فى نهضتها والذود عن الأوطان .

(٧) أين جاب ، أى أين تنقل .

أىُّ مَكْرٍ يَدِقُّ عَنْ ذِهْنِ (سَعْدٍ) (١) * أىُّ خَتْلٍ يُرِيغُ مِنه ٱضْطِرابا؟

شاعَ فى نَفْسِه اليَقينُ فَوقّا (٢) * هُ بِه اللّهُ عَثْرةً أَوْ تَبابا

عَجزَتْ حِيلةُ الشِّباكِ وكانَ الـ * شَّرْقُ للصَّيْدِ مَغْنَمًا مُسْتَطابا

كلَّما أَحْكَمُوا بأَرْضِكَ فَخًّا * مِنْ فِخاخِ الدَّهاءِ خابُوا وخَابا

أو أَطارُوا الحَمامَ يومًا لِزَجْلٍ (٣) * قابَلُوا منكَ فى السَّماءِ عُقابا

تَقْتُلُ الدَّسَّ بالصّراحَةِ قَتْلًا * وتُسَوِّى مُنَافِقَ القَوْمِ صابا (٤)

وتَرَى الصِّدْقَ والصَّراحَةَ دِينًا * لا يَراهُ المُخَالِفُون صَوابا

تَعْشَقُ الجَوَّ صافِىَ اللَّوْنِ صَحْوًا (٥) * والمُضِلُّون يَعْشَقُونَ الضَّبابا

أنتَ أَوْرَدْتَنا مِن الماءِ عَذْبا * وأَراهُمْ قَد أَوْرَدُونا السَّرابا

قد جَمعْتَ الأَحْزابَ حَوْلَكَ صَفًّا * ونَظَمْتَ الشُّيوخَ والنُّوَّابا

ومَلَكْتَ الزِّمامَ وٱحتَطْتَ للغَيْـ * ـبِ وأَدْرَكْتَ بالأَناةِ (٦) الطِّلابا

ثمَّ خَلَّفْتَ بالكِنانَةِ أَبْطا * لًا كُهُولًا أَعِزَّةً وشَبابا

---

(١) يدق : يغمض ويخفى . والختل : الخداع . ويريغ منه : يريده على الاضطراب والخوف . (٢) وقاه : حفظه . والتباب : الخسران .

(٣) الحمام الزاجل : حمام كان يستعمل لنقل الرسائل . ويريد « بإرساله للزجل » هنا : السعى لبث أخبار السوء وإضرام الفتنة . والعقاب : طائر من الجوارح تسميه العرب بالكاسر .

(٤) تسوّى (بالتشديد) : تسوى (بالتخفيف)، وشدّد للمبالغة . والصاب : عصارة شجر مر .

(٥) شبه فى هذا البيت الصراحة فى القول بصحو الجو وصفائه، والنفاق بظلمة الغيم والضباب .

(٦) الأناة : التأنى .

قد مَشَى جَمعُهمْ إلى المَقصِدِ الأَسْـ * ـمَى يُغِذُّونَ لِلوُصُولِ الرِّكابا (١)

يَبْتَنُونَ العُلا يَشيدُونَ مَجْدًا * يُسْعِدُون البَنِينَ والأَعْقابا

قد بلَوْناكَ قاضِيًا ووَزيرًا * ورَئِيسًا ومِدْرَهًا خَلاَّبا (٢)

فوَجَدْناكَ مِنْ جَمِيعِ نَوَاحِيـ * ـكَ عَظِيمًا مُوَفَّقًا غَلاَّبا

لَمْ يَنَلْ حاسِدُوكَ منكَ مُناهُمْ * لا ولَمْ يُلْصِقُوا بعَلْيَاكَ عابَا (٣)

نَمْ هَنِيئًا فقد سَهِدْتَ طَويلاً * وسَئِمْتَ السَّقامَ والأَوْصابا (٤)

كم شَكَوْتَ السُّهادَ لى يومَ كُنَّا * بِالبَساتِينِ نَسْتَعِيدُ الشَّبابا (٥)

نَنْهَبُ اللَّهْوَ غافِلَيْنِ وكُنَّا * نَحْسَبُ الدَّهْرَ قد أَنابَ وتَابا

فإذا الرُّزْءُ كانَ منّا بمَرْمًى * وإذا حائِمُ الرَّدَى كانَ قابا (٦)

حَرَمَتْنا المَنُونُ ذَيّالِكَ الوَجْـ * ـهَ وذاكَ الحِمَى وتِلْكَ الرِّحابا

وسَجايَا لَهُنَّ فى النَّفْسِ رَوْحٌ * يَعْدِلُ الفَوْزَ والدُّعاءَ المُجابا

كم وَرَدْنا مَوارِدَ الأُنْسِ منها * ورَشَفْنا سُلافَها والرُّضابا (٧)

ومَرِحْنا فى ساحِها فنَسِينا الْـ * ـأَهْلَ والأَصْدِقاءَ والأَحْبابا

(١) يقال : أغذ فلان السير وفى السير ، إذا أسرع . (٢) بلوناك ، أى اختبرناك . والمدره : خطيب القوم ولسانهم ؛ و يطلق فى هذا العصر على المحامى . (٣) العاب : العيب .

(٤) الأوصاب : الأمراض والأوجاع الدائمة . (٥) يريد «بالبساتين» : بساتين فتح الله بركات باشا التى تقع قريبة من مدينة بلبيس من أعمال الشرقية ، وقد كان الشاعر بها مع الفقيد .

(٦) قابا ، أى قريبا . (٧) السلاف : ما تحلب وسال قبل العصر ، وهو أجود الخمر . والرضاب : لعاب العسل .

ثم وَلَّت بَشاشَةُ العَيْشِ عنّا * حينَ ساروا فوسَّدُوكَ التُّرابا

خِفْتَ فينا مَقامَ رَبِّكَ حَيّا * فَتَنَظَّرْ بجَنَّتَيْهِ الثَّوابا (١)

رثاء أمين (٢) الرافعى بك

أنشدها فى الحفل الذى أقامه الحزب الوطنى لذكرى الشهداء فى ١٦ فبراير سنة ١٩٢٨ م

أمّا (أمينُ) فقد ذُقْنا لمَصْرَعِه * وخَطْبِه مِنْ صُنُوفِ الحُزْنِ ألْوانا

لم تُنْسِنا ذِكْرَه الدُّنيا وإنْ نَسَجَتْ * للرّاحِلِين مِنَ النِّسْيانِ أكْفانا

مَضَى نَقِيًّا عَفِيفَ النَّفْسِ مُحْتَسِبا (٣) * فهَدَّ مِنْ دَوْلَةِ الأخْلاقِ أرْكانا

جَرَتْ على سَنَنِ (٤) التَّوحِيدِ نَشْأَتُه * فى اللهِ والرأيِ إخْلاصًا وإيمانا

لم يَلْوِه (٥) المالُ عَنْ رأيٍ يَدِينُ به * (ولو حَمَلْتَ إليه الدَّهْرَ مَلْآنا)

ولم يَلِنْ عُودُه (٦) للخَطْبِ يُرْهِقُه * قَسَا عليه شَدِيدُ العَيْشِ أمْ لانا

ظُلْمٌ مِن القَبْرِ أن تَبْلَى أنامِلُه * فكم رَمَتْ فى سبيلِ اللهِ مَنْ خانا

---

(١) تنظر : انتظر . ويشير بهذا البيت الى قوله تعالى : «ولمن خاف مقام ربه جنتان» .

(٢) ولد المرحوم أمين الرافعى بك فى ديسمبر سنة ١٨٨٦ م ، وتوفى فى ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٢٧ م ، وهو الكاتب السياسى المعروف ، صاحب جريدة الأخبار ، وكانت له فى النهضة القومية مواقف مشهودة .

(٣) محتسبا ، أى مدخرا عند الله ما قدّمه من عمل صالح . (٤) السنن : الطريقة .

(٥) لم يلوه ، أى لم يصرفه . والشطر الثانى عجز بيت للمتنبى من قصيدة يمدح بها أبا سهل سعيد بن عبد الله ، وصدره : «ولا أسر بما غيرى الحميد به» ومطلعها :

قد علم البين منا البين أجفانا * تدمى وألف فى ذا القلب أحزانا

(٦) لان عوده : ضعف . ويرهقه : يحمله ما لا يطيق .

كانت مَطيَّةَ سَبَّاقٍ جوانبُه * يُريك فيّاضُها صِدْقًا وعِرْفانا (١)

عِشرونَ عامًا على الطِّرْسِ الطَّهُورِ جَرَى * ما خطَّ فاحِشةً أو خطَّ بُهْتانا

يَجولُ بين رِياضِ الفكرِ مُقْتطِفًا * مِنْ طِيبِ مَغْرِسها وَرْدًا وريحانا

فينْشَقُ الذِّهْنُ مِنْ أسْطارِه أَرَجًا * وتُبْصِرُ العينُ فوقَ الطِّرْسِ بُستانا (٢)

(أمينُ) فارَقْتَنا في حِينِ حاجَتِنا * إلى فَتًى لا يَرى لِلمالِ سُلْطانا

إلى أَمينٍ على أَوْطانِه يَقِظٍ * ذِى مِرَّةٍ يَتَلَقَّ الخَطْبَ جَذْلانا (٣)

أَيَلْبَسُ الخَزَّ مَنْ لانَتْ مَهَزَّتُه * وأنتَ تَخْرُجُ مِنْ دُنياكَ عُرْيانا؟ (٤)

إنَّ القَناعةَ كَنْزٌ كُنْتَ حارِسَه * تَرَى به القُوتَ ياقُوتًا ومَرْجانا (٥)

فما سَعَيْتَ لِغيرِ الحَمْدِ تَكْسِبُه * ولا رَضِيتَ لِغيرِ الحَقِّ إذْعانا

أَوْدَى بِكَ (السُّكَّرُ) المُضْنِي ولا عَجَبٌ * أنْ يُورِثَ الحُلْوُ مُرَّ العَيْشِ أحيانا (٦)

ما هانَ خَطْبُكَ والأخلاقُ والِهَةٌ * تَبْكِي عليكَ إذا خَطْبُ امرِئٍ هانا (٧)

(أمينُ) حَسْبُكَ ما قَدَّمْتَ مِنْ عَمَلٍ * فأنتَ أَرْجَحُنا في الحَشْرِ مِيزانا

---

(١) يريد «بالسباق» : القلم . ويريد «بجوانبه» شقيه . وفياضها ، أى التى تفيض بالمعانى والأفكار .

(٢) أرج الزهر : نفحته وطيب ريحه . والطرس : الصحيفة يكتب فيها .

(٣) المرة : القوة والشدة . والجذلان : الفرح (بكسر الراء) . (٤) الخز : الحرير . ومن لانت مهزته ، أى من كان ضعيفا فى طلب الحق والدفاع عنه ، وكان لينا لغاصب وطنه .

(٥) يريد بقوله : «ترى به القوت...» الخ : أنه يكتفى من حطام الدنيا بالقوت ، ويرى أنه يعدل الياقوت والمرجان فى نفاستهما ، فلا يمد طامعه إلى عرض الدنيا قناعة منه . (٦) أودى به : ذهب به وأهلكه . والسكر ، هو ذلك المرض المعروف ، وبه مات الفقيد . (٧) والهة : حزينة .

أَبْشِرْ فإنّكَ فى أُخْــراكَ أَسْعَدُنا * حَظًّا وإنْ كُنْتَ فى دُنْياكَ أَشْقانا

بَلِّــغْ ثَلاثَتَكُمْ عنّـا تَحِيّتَنـا (١) * وآذْكُرْ لهم ما يُعـانِى قَوْمُنـا الآنا

وآضْرَعْ الى اللهِ فى الفِرْدَوْسِ مُبْتَهِلًا * أنْ يَحْرُسَ النِّيلَ مِمّنْ رامَ طُغْيانا

رثاء الدكتور يعقوب صروف (٢)

أنشدها فى الحفل الذى أقيم لتأبينه بدار الأوبرا الملكية فى ٣٠ مارس سنة ١٩٢٨ م

أَبْكِى وعَيْنُ الشَّـرْقِ تَبْـكِى مَعِى * عـلى الأَرِيبِ الكاتِبِ الأَلْمَـعِى (٣)

جَرَى عَصِىُّ الدَّمْعِ مِنْ أَجْلِهِ * فــزادَ فى الجُــودِ على الطَّيِّـعِ (٤)

نَقَّصَ مِن الشَّـرْقِ ومِنْ زَهْـوِهِ * فَقْـدُ الـيَراعِ المُعْجِـزِ المُبْـدِعِ (٥)

ليس لِمِصْـــرٍ فى رِجـالاتِهـا * حَــظٌّ ولا للشـامِ فى أَرْوَعِ (٦)

مُصابُ (صَرُّوفٍ) مُصابُ النُّهَى * فلْيَبْكِهِ كُل فــؤادٍ يَـــعِى (٧)

كُرِّمَ بالأَمْسِ وأَكْفانُــهُ * تَنْسُــجُها الأَقْـدارُ للمَصْــرَعِ (٨)

يا صـائِــغَ الدُّرِّ لتَكْرِيمِــهِ * صُـغْهُ لمَنْعـاهُ مِنَ الأَدْمُـعِ

---

(١) يريد «بالثلاثة» : المرحومين : مصطفى كامل ، ومحمد فريد ، وعلى فهمى كامل .

(٢) أنظر التعريف بالدكتور يعقوب صروف (فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ١٥٤ من الجزء الأول) .

(٣) الأريب : العاقل . والألمعى : الذكى المتوقد . (٤) يريد «بعصى الدمع» : الدمع الذى يمتنع عند نزول المصائب عزة وأنفة من البكاء . (٥) الزهو : الكبر والفخر . (٦) الأروع : الشهم الذكى الفؤاد . (٧) يعى : يحفظ . (٨) يشير بقوله «كرم بالأمس» : الى الاحتفال باليوبيل الذهبى لمجلة المقتطف الذى أقيم فى سنة ١٩٢٧ م ، وأنشد فيه حافظ قصيدة نشرت فى هذا الديوان .

قـد زَيَّنَ العِـلْمَ بأخْـلاقِه * فعـاش مِـلْءَ العيْنِ والمِسْمعِ

تَواضُـعٌ والكِبْرُ دأبُ الفَـتَى * خَلا منَ الفضْـلِ فلَمْ ينْفَعِ

تَواضُـعُ العِـلْمِ له روْعَـةٌ * يَنْهار منها صَلَفُ المُـدَّعى (١)

وحُـلَّةُ الفَضْـلِ لهـا شارَةٌ * أزْهَى مِن السَّيْفَيْن والمِـدفَعِ

يُشْبِعُ مَنْ حَصَّلَ مِنْ عِلْمِـهِ * وهـو مِنَ التَّحْصيلِ لَمْ يَشْبَعِ

مُبَكِّرٌ تَحْسَـبُهُ طالِبًا * يُسابِقُ الفَجْـرَ إلى المَطْلَعِ

قـد غالَت الأسْـقامُ أضْـلاعَه * والرَّأْسُ فى شُـغْلٍ عن الأضْلُعِ

ماتَ وفى أنْمُـلِه صـارِمٌ * لم يَنْبُ فى الضَّرْبِ عن المَقْطَعِ (٢)

صاحَبَـه خَمْسينَ عامًا فلَمْ * يَخُنْ له عَهْـدًا ولَمْ يَخْـدَعِ

مُوَفَّقًا أنَّى جَـرَى مُلْهَمًا * ما ضَلَّ فى الوِرْدِ عن المَشْرَعِ (٣)

لَم يَـبْرِه بارٍ سِـوَى ربِّـه * ولَمْ يَحُـزْهُ جاهـلٌ أو دَعِى (٤)

فى النَّقْـلِ والتَّصْنيفِ أرْبَى على * مَدَى (ٱبنِ بَحْرٍ) ومَدَى (الأصْمَعِى) (٥)

---

(١) الصلف : الكبر . (٢) شبه القلم بالصارم ، وهو السيف . ونبا السيف عن الضريبة ينبو : كل وارتدّ عنها . (٣) المشرع : المورد الذى يستقى منه . (٤) خفف الياء فى « دعى » لضرورة القافية .

(٥) يريد « بالنقل » : ترجمة الكتب والمباحث من اللغات الأجنبية ، وكان الدكتور صروف من أمهر العلماء فى هذا الباب . وابن بحر ، هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى بالفالج النصفى سنة ٢٥٥ هـ . ولد بالبصرة ونشأ بها ، وأخذ العلم عن جهابذة اللغويين والرواة ، وتخرج فى علم الكلام على أبى إسحاق النظام ، ونصر مذهب الاعتزال . ومؤلفاته كثيرة لا يتسع لها المقام . والأصمعى ، هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب ، ولد سنة ١٢٣ هـ ونشأ بالبصرة ، وأخذ العربية والحديث والقراءة عن أئمتها ، وأكثر الخروج الى البادية ، وشافه الأعراب وساكنهم ، وكان من ندماء الخليفة الرشيد ؛ وتوفى فى سنة ٢١٦ هـ ، وأكثر مؤلفاته فى اللغة .

أَىّ سَبِيلٍ للهُدَى لَمْ يَرِدْ * وأَىّ بابٍ منه لَمْ يَقْرَعِ

يَقْتَطِفُ الزَّهْرَ ويَخْتارُه * كالنَّحلِ لا يَعْفُو عَنِ الأَيْنَعِ (١)

فتحسَبُ القُرّاءَ فى جَنَّةٍ * عُقولُهُمْ فى رَوْضِها تَرْتَعى

(صَرُوفُ) لا تَبْعَدْ فلسْتَ الّذى * يَطْويه طاوِى ذَلِكَ المَضْجَعِ

أَسْكَتَكَ المَوْتُ ولكنّه * لَمْ يُسْكِتِ الآثارَ فى المَجْمَعِ

ذِكْراكَ لا تَنْفَكُّ مَوْصُولةً * فى مَعْهَدِ العِلْمِ وفى المَصْنَعِ

رثاء عبد الخالق ثروت باشا (٢)

أنشدها فى الحفل الذى أقيم بالأوبرا الملكية لتأبينه فى يوم السبت ١٠ نوفمبر سنة ١٩٢٨ م

لَعِبَ البِلَى بمُلاعِبِ الأَلْبابِ (٣) * ومَحا بَشاشَةَ فَمِّكَ الخَلّابِ

وطَوَى الرَّدَى (عَمْرو) الكِنانَةِ غافِلًا (٤) * ورَمَى شِهابَ دَهائِه بشِهابِ

---

(١) لا يعفو عن الأينع ، أى لا يترك الناضر من الزهر إلا أصاب منه طعامه .

(٢) عبد الخالق ثروت باشا ، هو ابن اسماعيل عبد الخالق باشا ، من كبار رجال مصر فى عصره . ولد ثروت باشا فى سنة ١٨٧٣ م ، و بعد أن تعلم فى مصر ونال شهادة الحقوق تقلد عدة مناصب قضائية و إدارية ، وهو أوّل مصرى تولى منصب النيابة العمومية ، وتولى رآسة الوزارة فى سنة ١٩٢٢ م ، وتم فى عهد وزارته حصول البلاد على تصريح ٢٨ فبراير المعترف فيه من بريطانيا باستقلال مصر وسيادتها . ثم رأس الوزارة مرة أخرى أيام تآلف الأحزاب المصرية ، ثم اعتزل السياسة أخيرا ، وسافر الى باريس للاستشفاء بها ، فتوفى فى ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٢٨ م . وكان من سوّاس مصر المعترف بحذقهم و بصرهم بشؤون السياسة والحكم . (٣) يريد «بملاعب الألباب» : وصف الفقيد بسحر المنطق . وفى كتب اللغة أن ميم الفم تشدّد فى الشعر كما هنا . (٤) يريد بقوله «عمرو الكنانة» : تشبيه الفقيد بعمرو بن العاص المخزومى أحد الصحابة رضى الله تعالى عنهم ، وكان معروفا بالدهاء والكياسة والخروج من مآزق الأمور ، والقوة على مكايدة الخصوم ، وهو فاتح مصر فى خلافة عمر بن الخطاب ، وكان أميرا عليها حتى عزله عنها عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ، وتوفى فى خلافة معاوية سنة ٤٣ هـ .

مَنْ كانَ يَدْرِى يَوْمَ سافَرَ أنّه * سَفَرٌ مِنَ الدُّنْيا بغَيرِ إيابِ

حَزِنَتْ عليه عُقُولُنا وقُلُوبُنا * وبَكَتْ، وحُزْنُ العَقْلِ شَرُّ مُصابِ

القَلْبُ يُنْسِيهِ الغِيابُ أَلِيفَه * والعَقْلُ لا يُنْسِيه طُولُ غِيابِ

بالأَمْسِ ماتَ أَجَلُّنا وأَعَزُّنا * جاهًا وأَبْقانا على الأَحْقابِ (١)

واليومَ قد غالَ الحِمامُ أَسَدَّنا * رَأْيًا فطاحَ بحِكمةٍ وصَوابِ (٢)

رَأْسٌ يُدَبِّرُ فى الخَفاءِ كأنّه * قَدَرٌ يُدَبِّرُ مِنْ وَراءِ حِجابِ

حتّى اذا أَرْضَى النُّهَى وتَناسَقَتْ * آياتُه راعَ الوَرَى بعُجابِ (٣)

يَمْشِى على سَنَنِ الحِجا مُتَمَهِّلًا * بينَ العُداةِ الكُثْرِ والأَحْبابِ (٤)

تَتَناثَرُ الأَقْوالُ عَنْ جَنَباتِه * مِنْ شانِئٍ ومُناصِرٍ ومُحابى (٥)

لا المَدْحُ يُغْرِيهِ ولا يُلْوِى به * عَنْ نَجْدِه المَرْسُومِ وَقْعُ سِبابِ (٦)

حُلْوُ التَّواضُعِ لم يُخالِطْ نَفْسَه * زَهْوُ المُدِلِّ يُحاطُ بالإعْجابِ (٧)

حُلْوُ الأَناةِ اذا يَسُوسُ وعِنْدَه * أنّ التَّعَجُّلَ آفةُ الأَقْطابِ (٨)

حُلْوُ السُّكُوتِ كَكَوْكَبٍ مُتَأَلِّقٍ * والليلُ ساجٍ أَسْوَدُ الجِلْبابِ (٩)

---

(١) يريد بقوله : «أجلنا» الخ المرحوم سعد زغلول باشا زعيم الأمة . والأحقاب : الدهور .

(٢) غال : أهلك . والحمام (بكسر الحاء) : الموت . (٣) تناسقت ، أى توافقت وتتابعت على نسق ونظام واحد . (٤) السنن (بالتحريك) : الطريق . والحجا : العقل . والكثر : الكثيرة . (٥) الشانئ : المبغض . (٦) ألوى به عن الطريق . حاد به عنه . والنجد : الطريق البين الواضح ؛ قال تعالى : (وهديناه النجدين) . (٧) الزهو : الكبر . (٨) الأناة : التأنى فى الأمر . (٩) المتألق : المشرق . وسجا الليل يسجو : ركد ظلامه ودام .

يَهْدِى السَّبِيلَ لسالِكِيه ولَمْ يُرِدْ * شُكْرًا ولَمْ يَعمَلْ لنَيْلِ ثَواب
(١)
مُتَمَكِّنٌ مِنْ نَفْسِه لَمْ يَعْرُه * قَلَقُ الضَّعِيفِ وحَيْرَةُ المُرْتاب

يَزِنُ الأمورَ كأنَّما هُوَ صَيْرَفٌ * يَزِنُ النُّضارَ بدِقَّةٍ وحِساب

ويَحُلُّ غامِضَها بثاقِبِ ذِهْنِه * حَلَّ الطَّبِيبِ عَناصِرَ الأَعْشاب
(٢)
ويَقِيسُ شُقَّتَها بمِقْياسِ النُّهَى * فتَرَى صَحِيحَ قِياسِ (الأَصْطُرْلاب)
(٣)
مُتَبَسِّمٌ وعلى مَعارِفِ وَجْهِه * آياتُ ما يَلْقَى مِنَ الأَوْصاب
(٤)
شِيَمٌ تَرُدُّ الناقِمِين لوُدِّه * وشَمائِلٌ تَسْتَلُّ حِقْدَ النّابِى
(٥)
يُرْضِى المُرَتِّلَ فى الكَنِيسَةِ صُنْعُه * كَيْسًا ويُرْضِى ساكِنَ المِحْراب
(٦)
يَرْتاحُ لِلْمَعْرُوفِ لا مُتَرَبِّحًا * فِيه ولا هُوَ فى الجَمِيلِ مُرابِى

يَرْوِى الصَّدِيقَ مِنَ الوَفاءِ ولَمْ يَكُنْ * بالحاسِدِ النُّعْمَى ولا المُغْتاب
(٧)
لَمْ يَبْدُ فِينا جازِعًا أو غاضِبًا * لاهُمَّ إلّا غَضْبَةَ النُّوّاب
(٨)
وبُكاؤُه فى يَوْمِ (سَعْدٍ) زادَنِى * عِلْمًا بأنَّ اليومَ يَوْمُ تَباب

(١) لم يعره، أى لم يصبه .

(٢) الشقة : المسافة . والاصطرلاب : آلة تعرف بها المسافات بين النجوم، وهى كلمة يونانية الأصل . (٣) معارف الوجه : ملامحه وما يعرف به . والأوصاب : الأمراض، الواحد وصب (بالتحريك) . (٤) يريد أن هذه الشمائل تستخرج حقد العدوّ المعرض عنه وتردّه الى مودّته . والنابى : المنصرف عنه . (٥) الكيس : العقل . يقول فى هذا البيت : إنه بسياسته وعقله ينال رضا المسلمين والنصارى . (٦) لا متربحا، أى لا طالبا ربحا . (٧) لاهم، أى اللهم . ويريد بهذا البيت أنه لا يغضب لشخصه ولا يحزن لمنفعة فاتته، وإنما يغضب غضبة النائب عن الأمة فى سبيل المصلحة العامة . (٨) التباب، الخسران .

قامَتْ صِعابٌ فى مَسالِكِ سَعْيِه * مِنْ بَعْدِ (سَعْدٍ) دُعِّمَتْ بِصِعاب (١)

فظَهِيرُه عند النِّضالِ ورُكْنُه * أمسى حَدِيثَ جَنادِلٍ وتُراب (٢)

لله سِرٌّ فى بِنايَةِ (ثَرْوَتٍ) * سُبْحانَ بانِى هٰذه الأَعْصاب (٣)

إِنِّى سَأَلْتُ العارِفِين فلَمْ أَفُزْ * مِنْهُمْ على عِرْفانِهِمْ بِجَواب

هو مُسْتَقِيمٌ مُلْتَوٍ، هو لَيِّنٌ * صُلْبٌ، هو الوَاعِى، هو المُتَغابى (٤)

هو حُوَّلٌ، هو قُلَّبٌ، هو واضِحٌ * هو غامِضٌ، هو قاطِعٌ، هو نابى (٥)

هو ذٰلِكَ الطِّلَّسْمُ مَنْ أَعْيا الحِجا * حَلًّا وماتَ ولَمْ يَفُزْ بِطِلاب (٦)

هو ما تَراهُ مُفاوِضًا كيفَ انْبَرَى * لِكَبِيرِهِمْ بذَكائِه الوَثّاب (٧)

لَمْ يَأْتِ مِنْ بابٍ لِصَيْدِ دَهائِه * إِلَّا نَجا بدَهائِه مِنْ باب (٨)

ويَظَلُّ يَرْقُبُه ويَغْزُو كِبْرَه * بِلُيُونَةٍ ولَباقَةٍ وخِلاب (٩)

---

(١) دعمت بصعاب، أى صعاب فوق صعاب . والتدعيم: التقوية . يشير بهذا البيت والذى بعده الى أن الفقيد كان يفاوض الإنجليز فى القضية المصرية سنة ١٩٢٧ م قبل موت سعد فى وزارة الائتلاف، فلما مات سعد فى أثناء تلك المفاوضة، أمن البريطانيون ذلك الجانب المخوف، وتشددوا فيما كانوا يريدون منحه لمصر قبل ذلك، وعاد ثروت بمشروع للمعاهدة لم يقبل .

(٢) الظهير: المعين . ويريد به سعدا . والجنادل: الحجارة .

(٣) بناية ثروت، أى تكوينه وخلقه (بفتح فسكون) . (٤) الواعى: الحافظ . والمتغابى: مدّعى الغباوة . (٥) الحوّل القلب: الحاذق البصير بتقليب الأمور وتحويلها، لا تؤخذ عليه طريق إلا نفذ فى غيرها . (٦) الضمير فى «مات»، للفقيد، وفى «يفز»: للحجا .

(٧) كبيرهم، أى كبير الإنجليز، ويريد به المستر أوستن تشمبرلين وزير خارجية انجلترا، وهو الذى كان يفاوض الفقيد إذ ذاك . (٨) الضمير فى «يأتى»: لكبير الإنجليز . وفى «نجا»: لثروت .

(٩) الخلاب: المخاتلة والدهاء .

ويروضُه حتّى يرى أسطولَه (١) * خشَبًا تناثر فوقَ ظهرِ عُبابِ

ويرى صُنوفًا من ذكاء صُفِّفَتْ (٢) * دونَ الحمَى تُعيي أُسودَ الغابِ

وأتى بأقصى ما ينال مفاوضٌ (٣) * يسعَى بغيرِ كتائبٍ وحِرابِ

واستلَّ من أشداقِ آسادِ الشَّرى (٤) * علمًا عضِضْنَ عليه بالأنيابِ

خَلقًا خبا ضوءُ الهلالِ لِطيِّه (٥) * جمَّ التوجُّعِ دامِيَ الأهدابِ

فاخضرَّ فوقَ رُبوعِ مصرَ عودُه * فى منبِتٍ خِصْبٍ ورحْبِ جَنابِ

إنْ فاته بعضُ الأمانِي فاذكُروا (٦) * أنَّا أمامَ مُحنَّكِينَ صِلابِ

قد جازَ تيهاءَ الأمورِ ولمْ يكُنْ (٧) * فى وعْرِها وكؤُودِها بالكابِى

رجُلٌ يفاوِضُ وحْدَه عنْ أمّةٍ (٨) * إنْ لمْ يفُزْ فوزًا فليسَ بعابِ

رفعَ الحمايةَ بعدَما بُسِطتْ علَى (٩) * أبناءِ (مصْرَ) وأيَّدتْ بكِتابِ

---

(١) يروضه، أى يسوسه، وأصله من رياضة الدواب، أى تذليلها وتيسير ما صعب منها . والعباب : لجة البحر . (٢) الحمى، أى مصر، يريد بهذا البيت : أن ذكاء الفقيد كان حصنا للبلاد وقوة لها .

(٣) الكتائب : فرق الجيش . (٤) يشير بهذا البيت إلى تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢م الذى رفع الحماية عن مصر، واعترف الإنجليز فيه باستقلالها . والفضل فى ذلك لثروت باشا الذى كان رئيسا للوزارة إذ ذاك . ويريد « بآساد الشرى» الإنجليز . (٥) يصف هذا العلم المصرى بأنه رث بال من طول ما عانى من أذى المستعمرين، وأن ضوء الهلال قد خبا حزنا لطيه بأيدى الغاصبين . وخص الهلال بالذكر، لأنه شعار هذا العلم . (٦) يريد «بالمحنكين الصلاب» : الإنجليز . والمحنك : الذى أحكمته التجارب .

(٧) التيهاء : الصحراء التى يضل فيها السائر . والكؤود من العقبات : الصعبة الشاقة على من صعدها . والكابى : العاثر . (٨) فوزا، أى فوزا كاملا . والعاب : العيب . (٩) يريد الكتاب الذى أرسلته حكومة الإنجليز الى المغفور له السلطان حسين كامل على يد الجنرال مكسويل قائد الجيوش البريطانية فى مصر إذ ذاك بوضع مصر تحت الحماية البريطانية، وذلك فى ديسمبر سنة ١٩١٤ م .

وأتى (لمصر) وأهلها بسيادة * مرفوعة الأعلام والأطناب
غفرًا فلست ببالغ فيك المدى * إنى غذذت إلى مداك ركابى (١)
كم موقف لك فى الجهاد محجل * بشهادة الأعداء والأصحاب
فى خطب مصر (لبطرس) أخمدتها * مشبوبة كانت على الأبواب (٢)
ألفت بين العنصرين فأصبحا * رتقًا، وكنت موفق الأسباب (٣)
خالفت فيك الجازعين فلم أنح * حزنًا عليك وأنت من أترابى
النوح فى الجلى اجتهاد مقصر * ألفى دعاء الصبر غير مجاب (٤)
فأنا الذى يبكى بشعر خالد * يبقى على الأجيال للأعقاب
قد كنت تحسن بى وترقب جولتى * فى حلبة الشعراء والكتاب
وتهش إن لاقيتنى وتخصنى * بالبشر فى ناديك والترحاب
فاذهب كما ذهب الربيع بنوره * تأسى الرياض عليه غب ذهاب (٥)

---

(١) غذذت : أسرعت . يقول : إنه قد حث مطايا الشعر واجتهد فى أن يبلغ مدى وصف الفقيد فلم يستطع . والذى فى كتب اللغة : «أغذذت» بالهمز فى أوله .

(٢) يشير بهذا البيت والذى بعده إلى الفتنة التى كادت تشتعل نارها بين الأقباط والمسلمين حين قتل بطرس غالى باشا ، وكان الفضل فى إخماد هذه الفتنة ، ورجوع الطائفتين الى ما تقضى به الحكمة ومصلحة الوطن ، لمرافعة الفقيد فى هذه القضية ضد الوردانى ، قاتل بطرس باشا ، وكان اذ ذاك نائبا عموميا .

(٣) رتقا : ملتئمين .

(٤) الجلى : ما جل وعظم من النوائب .

(٥) النور (بفتح النون) : زهر النبات . و«تأسى الرياض» ... الخ ، أى تحزن لذهابه ، ويذوى نباتها لغيابه .

رثاء محمود سليمان باشا (١)

[نشرت فى ١٩ فبراير سنة ١٩٢٩ م]

مُسْدِى الجَمِيلِ بِلاَ مَنٍّ يُكَدِّرُه * ومُكْرِمُ الضَّيفِ أَمْسَى ضَيْفَ (رِضْوانِ) (٢)

تَجْتازُنا عَبْقَةٌ مِنْ رَوْضَةٍ أُنُفٍ * اذا أَلَمَّتْ بنا ذِكْرَى (سُلَيْمانِ) (٣)

فقُلْ (لآلِ سُليمانٍ) إذا جَزِعُوا * رُدوا النُّفُوسَ إلى صَبْرٍ وسُلْوانِ

ما إنْ رَأَيْتُ دَفِينًا قبلَ شَيْخِكُمُ * تَحْتَ التُّرابِ وفَوْقَ النَّجْمِ فى آنِ

قَضَيْتَها مِئَةً فى كلِّ واحدَةٍ * تُعَدُّ زادَكَ مِنْ بِرٍّ وإحْسانِ (٤)

فكَمْ صَفَحْتَ عَنِ الجانِى ولَمْ تَرَه * وكَمْ غَرَسْتَ وكانَ المُعْوِزُ الجانِى (٥)

وكم أَقَلْتَ كرِيمًا عند عَثْرَتِه * وكَمْ مَشَيْتَ بصُلحٍ بَيْنَ إخْوانِ (٦)

إنِّى رَأَيْتُكَ قَبْلَ المَوْتِ فى فَلَكٍ * مِنَ الجَلالِ على جَنْبَيْهِ نُورانِ

نُورُ اليَقِينِ ونُورُ الشَّيْبِ بَيْنَهُما * سَكِينَةٌ حَرَّكَتْ نَفْسِى ووِجْدانِى

على جَبِينِكَ آياتُ الرِّضَا ارتَسَمَتْ * وبَيْنَ جَنْبَيْكَ قَلْبٌ غيرُ وَسْنانِ (٧)

---

(١) محمود سليمان باشا ، كان عميد الأسرة السليمانية المعروفة بالصعيد ، ومن كبار رجال النهضة الوطنية ، ورئيسا للجنة الوفد المركزية ، وهو والد صاحب الدولة محمد محمود باشا رئيس الوزارة سابقا ، وكانت وفاته فى ٢٢ يناير سنة ١٩٢٩ م ، وقد نيف على التسعين ... . (٢) مسدى الجميل : معطيه . والمن : عدّ النعم والصنائع تعييرا بها . (٣) «تجتازنا عبقة» الخ ... ، أى تمرّ بنا نفحة من طيب روضة مصونة لم تبتذل ، شبه ذكراه بطيب الرياض المصونة . (٤) هذا العدد الذى ذكره الشاعر لعمر الفقيد انما هو على وجه التقريب . (٥) المعوز : الفقير السيئ الحال . ويريد «بالجانى» الأوّل فى هذا البيت : مقترف الجناية ؛ و(بالثانى) : مجتنى الثمار . (٦) يقال : أقلت فلانا عثرته ، اذا صفحت عنه ودفعت ما نزل به من مكروه . (٧) الوسنان : النائم .

قَسَمْتَ ما جَمَعَتْ كَفَّاكَ مِنْ نَشَبٍ (١) * على بَنِيكَ فكنتَ الوالدَ الحانِى

مالٌ حَلالٌ مُزَكًّى ما خَلَطْتَ بهِ * مِلِّيمَ سُحْتٍ (٢) ولا حَقًّا لإنسانِ

زَهِدْتَ فيها وهَامَ العابِدُونَ لها * بجَمْعِ فانٍ يُعانِى جَمْعَه فانِى

بِكِسْرَةٍ وكِساءٍ عِشْتَ مُغْتَبِطًا * تُسَبِّحُ اللهَ فى سِرٍّ وإِعلانِ

أَقَرَّ عَيْنَيْكَ فى دُنْياكَ أَنْ رَأَتا * (مُحَمَّدًا) يتراءى فَوْقَ (كِيوانِ) (٣)

قَضَيْتَ (٤) فى الأَوْجِ مِنْ عِزَّيْكُما وكذا * يَقْضِى (سُلَيْمانُ) فى عِزٍّ وسُلْطانِ

أَنْجَبْتَ أَرْبَعَةً سادُوا بأَرْبَعَةٍ (٥) : * فَضْلٍ ونُبْلٍ وإِحْسانٍ وعِرْفانِ

أَوْرَثْتَهُمْ شَمَمًا (٦) هَشَّ الإِباءُ لَه * وأَوْرَقَتْ فى ذُراهُ عِزَّةُ الشَّانِ

يَذْكُرْنَ (٧) بَرًّا رَحِيمًا قد أَقامَ لَهُمْ * صَرْحًا مِنَ المَجْدِ أَعْلَى رُكْنَه البانى

كم نِعْمَةٍ لَكَ يا (مَحْمُودُ) عِنْدَ أَبِى * بِشُكْرِها لَكَ عِنْدَ المَوْتِ أَوْصانى (٨)

---

(١) النشب : المال . (٢) السحت : ما خبث من المكاسب ولزم عنه العار .

(٣) يريد محمد محمود باشا ، وكان رئيسا للوزارة حين موت والده . وكيوان : اسم كوكب زحل ، ويضرب مثلا فى علو المنزلة . (٤) قضيت : مت . والأوج : العلو . ويريد «بسليمان» : نبى الله سليمان بن داود عليهما السلام . (٥) يريد أولاده الأربعة ، وهم محمد محمود ، وحفنى محمود ، وعبد الرحمن محمود ، وعلى محمود . (٦) الشمم : كناية عن الرفعة وشرف النفس ، وهى فى الأصل ، ارتفاع قصبة الأنف وحسنها واستواء أعلاها وانتصاب الأرنبة . وهش : ارتاح . وذراه : أعاليه .

(٧) الضمير فى قوله «يذكرن» : للصفات السابق ذكرها فى البيت السابق ، وهى الشمم والإباء وعزة الشأن . إذ ليس فيما سبق ما يصلح جعله مرجعا لهذا الضمير غيرها . (٨) يشير الشاعر بهذا البيت الى أن أباه ابراهيم أفندى فهمى مهندس قناطر ديروط كان له اتصال بالفقيد ، وكان للفقيد عليه كثير من الأيادى والمنن .

تأبين محمد المويلحي بك (١)

أبيات قالها وهو يسير خلف نعشه

[نشرت فى ١٨ أبريل سنة ١٩٣٠ م]

غابَ الأَديبُ أَديبُ (مِصْرِ) وٱخْتَفَى * فَلْتَبْكِهِ الأَقْلامُ أَوْ تَتَقَصَّفَا

لَهْفِي على تِلْكَ الأَنامِلِ فى البِلَى * كم سَطَّرَتْ حِكَمًا وهَزَّتْ مُرْهَفا

ماتَ (المُوَيْلِحِيُّ) الحُسانُ ولَمْ يَمُتْ * حَتَّى غَزَا «عِيسَى» العُقولَ وثَقَّفا (٢)

وقال يرثيه أيضا :

أنشد هذه القصيدة فى حفل التأبين الذى أقيم فى مسرح حديقة الأزبكية فى ١٣ يونيه ١٩٣٠ م

دَمْعَةٌ مِنْ دُمُوعِ عَهْدِ الشَّبابِ * كُنْتُ خَبَّأْتُها لِيَوْمِ ٱلْمُصابِ (٣)

لَيْتَ اليَوْمَ يا (مُحَمَّدُ) لَمَّا * راعَنِي نَعْيُ أَكْتَبِ الكُتَّابِ (٤)

هَدَّأَتْ لَوْعَتِي وسَرَّتْ قَلِيلًا * عن فُؤادِي ولَطَّفَتْ بعضَ ما بِي (٥)

مَوْكِبُ الدَّفْنِ خَلْفَ نَعْشِكَ يَمْشِي * فى ٱحْتِسابٍ وحَسْرَةٍ وٱنْتِحابِ (٦)

لَمْ يُجاوِزْ مَنازِلَ البَدْرِ عَدًّا * مِنْ بَقايَا الصَّدِيقِ والأَحْبابِ (٧)

---

(١) انظر التعريف بمحمد المويلحى بك (فى الحاشيه رقم ٣ صفحة ١٥٠ من الجزء الأول) .

(٢) الحسان : الحسن من الرجال . ويريد «بعيسى» : كتاب الفقيد ، وهو حديث عيسى بن هشام المعروف . (٣) خص عهد الشباب لأنه عهد الفتوة ، وفيه يجد الإنسان معينا من الدمع وقوة على البكاء . (٤) راعنى : أفزعنى . (٥) سرت عن فؤادى : أى كشفت عنه الهم والحزن . (٦) فى احتساب ، أى فى طلب الثواب . (٧) منازل البدر : مواضعه التى ينزل فيها فى دورانه ، وهى اثنا عشر منزلا . يقول : إن عدد الذين شيعوه قد بلغ مبلغ هذه المنازل فى القلة وعلو المنزلة .

لَمْ يَسِرْ فيــه مَنْ يُحَاوِلُ أَجْرًا * عِنْــدَ حَىٍّ مُؤَمِّلٍ أو يُحَابِى

مَوْكِبٌ ماجَ جانِبَاهُ بحَفْـــلٍ (١) * مِنْ وُفُودِ الأَخْلاقِ والأَحْســاب

شــاعَ فيــه الوَفاءُ والحُـزْنُ حَتَّى * ضاقَ عَنْ حَشْـدِه فَسِيحُ الرِّحاب

فكأنَّ السَّماءَ والأَرْضَ تَمْشِى * فيــه مِنْ هَيْبَــةٍ وعِزِّ جَنــاب

تَتَمَنَّى قَياصِـــرُ الأَرْضِ لَــوْفا * زَتْ لَدَى مَوْتِهـا بِهٰــذا الرِّكاب

رُبَّ نَعْشٍ قــد شَـيَّعَتْهُ أُلُـوفٌ * مِنْ سَـوادٍ (٢) تَعْلُوه سُــودُ الثِّياب

ليس فِيهِــمْ مِنْ جازِعٍ أو حَزِينٍ * صادِقِ السَّــعْىِ أو أَلِيفٍ مُصاب

كنتَ لا تَرْتَضِى النُّجومَ مَحَلًّا * فلماذا رَضِيتَ سُكْنَى التُّراب!

كنتَ راحَ (٣) النُّفُوسِ فى مَجْلِسِ الأُنْ * سِ وراحَ العُقُولِ عنــدَ الخِطاب

كنتَ لا تُرْهِــقُ (٤) الصَّــدِيقَ بلَوْمٍ * لا ولا تَسْــتَبِيحُ غَيْبَ الصِّحاب

ولئن بِتَّ عاتِبًــا أو غَضُــوبًا * لَقَرِيبُ الرِّضا كَرِيمُ العِتَــاب

جُزْتَ سَبْعِينَ حِجَّــةً لا تُبَـالِى * بِشِــهادٍ (٥) تَعَــاقَبَتْ أم بِصـاب

وسَـــواءٌ لَدَيْكَ والرأىُ حُـــرٌّ * رَوْحُ (٦) (نَيْسانَ) أو لَوافِحُ (آب)

---

(١) ماج : اضطرب . (٢) سواد الناس : عامّتهم . (٣) الراح : الخمر .

(٤) ترهق الصديق ، أى تؤذيه وتحمله ما يسىء و يؤلم . (٥) الشهاد : عسل النحل .

والصاب : عصارة شجر شديد المرارة . يريد حلو الزمان ومره . (٦) الروح : الريح . ونيسان ، شهر من شهور السنة المسيحية ، و يقابله ابريل حيث يكون الربيع . واللوافح من الرياح : الحارّة . وآب ، شهر من شهور السنة المسيحية ، و يقابله أغسطس ، حيث يشتدّ القيظ . يقول : إنه سواء لديه فى سبيل رأيه الحر ما يلاقيه من نعيم الزمان وشقائه .

يا شجاعاً وما الشجاعة إلا الصـ * ـبرُ لا الخوضُ فى صدور الصعاب

(١)
كنتَ نعم الصبورُ إن حزَبَ الأمـ * ـرُ وسُدَّتْ مسارحُ الأسباب

(٢)
كم تجمّلتَ والأمانىُّ صرعى * وتماسكتَ والحظوظُ كوابى

(٣)
عشتَ ما عشتَ كالجبالِ الرواسى * فوقَ نارٍ تُذيبُ صُمَّ الصلاب

مؤثر البؤس والشقاء على الشكـ * ـوى وإنْ عضَّكَ الزمانُ بناب

(٤)
كنتَ تخلو بالنفس والنفسُ تشوى * مِنْ كؤوس الهموم والأوصاب

(٥)
فتُسَرّى بالذكر عنها وتنفى * ما عراها مِنْ غُصّةٍ واكتئاب

وترى وحشةَ انفرادك أنساً * بحديث النفوس والألباب

(٦)
بنتَ عنها وما جنيتَ وقد كا * بدتَ بأساءها على الأحقاب

(٧)
ونبذتَ الثراءَ تبذلُ فيه * مِنْ إباءٍ فى بذله شرُّ عاب

(٨)
لو شهدتم (محمداً) وهو يملى * آىَ "عيسى" ومعجزات الكتاب

وقفتْ حوله صفوفُ المعانى * وصفوفُ الألفاظ مِنْ كل باب

(١) يقال : حزبه الأمر، إذا اشتدّ عليه وضغطه . وسدّت مسارح الأسباب، أى سدّت مذاهب العيش والرزق . (٢) تجملت، أى لم تظهر الجزع . وكوابى، أى عواثر .

(٣) صم الصلاب، أى الحجارة الشديدة الغليظة الصلبة . (٤) الأوصاب : الآلام؛ الواحد وصب (بالتحريك) . (٥) الذكر : القرآن، وكان الفقيد يكثر تلاوته فى آخر أيامه .

(٦) بنت : بعدت . وعنها، أى عن الدنيا . والأحقاب : السنون .

(٧) الثراء : الغنى . والعاب : العيب . والضمير فى «بذله» : يعود على الإباء . يقول : إنك عفت الغنى الذى لا ينال إلا بالذل وفقد الإباء، وفقد الإباء شر ما يعاب به الأبى .

(٨) آى عيسى، أى آيات كتابه «حديث عيسى بن هشام» .

لَعلِمْتُمْ بأَنَّ عَهْدَ (ٱبنِ بَحْرٍ) (١) * عاوَدَ الشَّرقَ بَعْدَ طُولِ ٱحتِجاب

أَدَبٌ مُسْتَوٍ وقَلْبٌ جَمِيعٌ (٢) * وذَكاءٌ يُرِيكَ ضَوْءَ الشِّهاب

عِنْدَ رَأْيٍ مُوَفَّقٍ، عِنْدَ حَزْمٍ * عِنْدَ عِلْمٍ، يَفِيضُ فَيْضَ السَّحاب

جَلَّ أُسلُوبُه النَّقِيُّ المُصَفَّى * عَنْ غُمُوضٍ ونَفْرَةٍ (٣) وٱضطِراب

وسَمَا نَقْدُه النَّزِيهُ عَنِ الهُجْـ * ـرِ (٤) فما شِيبَ مَرَّةً بالسِّباب

ذُقْتَ فى غُرْبَةِ الحَياةِ عَناءً * فَذُقِ اليومَ راحَةً فى الإياب

بَلِّغ (البابِلِيَّ) (٥) عَنِّى سَلامًا * كعَبِيرِ الرِّياضِ أوْ كالمَلاب

كان تِرْبِى (٦) وكان مِنْ نِعَمِ المُبْـ * ـدِعِ — سُبْحانَه — على الأَتْراب

فارِسٌ فى النَّدَى إذا قَصَّرَ الفُرْ * سانُ عنه وفارِسٌ فى الجَواب

يُرسِلُ النُّكْتَةَ الطَّرِيفَةَ تَمْشِى * فى رَقِيقِ الشُّعُورِ مَشْىَ الشَّراب

قد أَثارَ (المُحَمَّدانِ) (٧) دَفِينًا * فى فُؤادِى وقد أَطَارا صَوابِى

خَلَّفانِى بَيْنَ الرِّفاقِ وَحِيدًا * مُسْتَكِينًا وأَمْعَنا فى الغِياب

---

(١) ابن بحر، هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الكاتب المتكلم المعروف.

(٢) وقلب جميع، أى مجتمع لا تفرقه الحوادث والشدائد.

(٣) يريد «بالنفرة» تنافر الألفاظ وعدم اتساق بعضها مع بعض.

(٤) الهجر (بالضم): القبيح الفاحش من الكلام. وشيب: خلط. (٥) يريد «بالبابلى»: محمد البابلى بك. (انظر التعريف به فى الحاشية رقم ٥ من صفحة ١٦٦ من الجزء الأول) وعبير الرياض: طيبها. والملاب: كل عطر مائع؛ وهو لفظ فارسى معرّب. (٦) ترب الإنسان: نظيره فى السن.

(٧) المحمدان، محمد المويلحى، ومحمد البابلى.

رثاء عبد الحليم العلايلى بك (١)

[نشرت فى ٦ مايو سنة ١٩٣٢ م]

يا بنَ (عَبْدِ السَّلامِ) لا كانَ يومٌ * غِبْتَ فيـه عن هَالَةِ الأَحْرارِ (٢)

كنتَ فِيهِمْ كالرُّمْحِ بَأْسًا ولِينـًا * كنتَ فِيهِمْ كالكَوْكَبِ السَّيَّار

يا عَرِيقَ الأُصُولِ والحَسَبِ الوَ * ضّاحِ والنُّبْلِ يا كَرِيمَ الجِوار (٣)

كنتَ فَرْعًا بدَوْحَةِ العِزِّ تأوِى * تحْتَ أَفْنانه عُفاةُ الدِّيار (٤)

قَصَفَتْهُ المَنُونُ وهْوَ نَضِيرٌ * مُورِقٌ عُودُه جَنِيُّ الثِّمار

كنتَ تأْسُو جِراحَهُمْ وتَقِيهِمْ * وتُقِيلُ العِثارَ عند العِثار (٥)

خانَ نُطْقِي ولَمْ تَخُنِّى دُمُوعِى * لَهْفَ نَفْسِى فقَصَّرَتْ أشْعارى

غيرُ بِدْعٍ إذا نَظَمْتُ رِثائى * فى صَدِيقٍ مِن الدُّموعِ الجَوارى (٦)

فمِنَ الحُزْنِ ما يَدُكُّ الرَّواسِى * ومِن الحُزْنِ ما يَهُدُّ الضَّوارى (٧)

---

(١) عبدالحليم العلايلى بك ، هو ابن عبدالسلام العلايلى بك من سراة دمياط المعروفين ، وقد اشترك فى النهضة الوطنية زمنا طويلا ، وكان عضوا بارزا فى حزب الأحرار الدستوريين ، وانتخب (سكرتيرا) عاما لهذا الحزب ، وكان عضوا فى مجلس النواب فى بعض السنين ، وتوفى فى ٣ مايو سنة ١٩٣٢ م .

(٢) الهالة : دارة القمر ، شبه بها جماعة الأحرار الدستوريين . (٣) الحسب الوضاح : المشهور . (٤) الدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة الظل . والأفنان : الأغصان . والعفاة : طلاب المعروف . (٥) تاسو جراحهم : تداويها وتبرئها . وتقيهم : تحفظهم . وأقات فلانا عثرته ، إذا وقع فى خطأ فدفعت عنه ما يتوقع من عاقبته وصفحت عن زلته .

(٦) البدع : الغريب . (٧) يدك : يهدم . والرواسى : الجبال . والضوارى : السباع المولعة بالافتراس ، الواحد ضار .

وقال يرثيه أيضا :

[نشرت فى ١٦ يونيه ١٩٣٢ م]

مَضَيْتَ ونَحْنُ أَحْوَجُ ما نَكُونُ * إِلَيْكَ ومِثْلُ خَطْبِكَ لا يَهُونُ

بِرَغْمِ (النِّيلِ) أَنْ عَدَت العَوادِى * عَلَيْكَ وأَنْتَ خادِمُهُ الأَمِينُ

بِرَغْمِ (الثَّغْرِ) أَنْ غُيِّبْتَ عَنْهُ (١) * وأَنْ نَزَلَتْ بِساحَتِكَ المَنُونُ

أَجَلُّ مُناهُ لو يَحْوِيكَ مَيْتًا (٢) * لِيَجْبُرَ كَسْرَهُ ذاكَ الدَّفِينُ

أَسالَ مِنَ الدُّمُوعِ عَلَيْكَ بَحْرًا * تَكادُ بِلُجِّهِ تَجْرِى السُّفِينُ

وقامَ النّادِباتُ بِكُلِّ دارٍ (٣) * وكَبَّرَ فى مآذِنِهِ الأَذِينُ

أُصِيبَ بِذِى مَضاءٍ أَرْيَحِىٍّ (٤) * بِهِ عِنْدَ الشَّدائِدِ يَسْتَعِينُ

فَتَى الفِتْيانِ غالَتْكَ المَنايا * وغُصْنُكَ لا تُطاوِلُهُ غُصُونُ

صَحِبْتَكَ حِقْبَةً فَصَحِبْتُ حُرًّا (٥) * أَبِيًّا لا يُهانُ ولا يَهِينُ

نَبِيلَ الطَّبْعِ لا يَغْتابُ خِلًّا (٦) * ولا يُؤْذِى العَشِيرَ ولا يَمِينُ

تَطَوَّعَ فى الجِهادِ لِوَجْهِ (مِصْرٍ) * فَما حامَتْ حَوالَيْهِ الظُّنُونُ

ولَمْ يَثْنِ الوَعِيدُ له عِنانًا * ولَمْ تَحْنَثْ له أَبَدًا يَمِينُ

---

(١) يريد « بالثغر » : مدينة دمياط . والمنون : الموت . (٢) يشير بهذا البيت إلى أن الفقيد دفن بقرافة الإمام الشافعى بمصر ولم يدفن بدمياط . (٣) الأذين : المؤذن . ويشير بقوله « وكبر ... الخ » : إلى ما كان مألوفا من أنه إذا مات عظيم قام المؤذنون ينعونه بالتكبير على المآذن فى غير أوقات الأذان . (٤) الضمير فى قوله « أصيب » . للثغر السابق ذكره . والأريحى : الذى يرتاح للمعروف . (٥) الحقبة : الدهر . (٦) مان يمين : كذب .

وَلَمْ تَنزِلْ بِعِزَّته الدَّنايَا * ولَمْ يَعْلَقْ به ذُلٌّ وهُونُ

مَضَى لِسَبِيلِه لَمْ يَحْنِ رَأْسًا * ولَمْ يَبْرَحْ سَرِيرَتَه اليَقِينُ

تَرَكْتَ أَلِيفَةً[1] تَرْجُو مُعِينًا * ولَيْسَ سِوَى الدُّمُوعِ لها مُعِين

تَنُوحُ على القَرِينِ وأَيْنَ منها * وقدغَالَ الرَّدَى ذاكَ القَرِين

سَمِعْتُ أَنِينَها واللَّيلُ ساجٍ[2] * فَمَزَّقَ مُهْجَتِي ذاكَ الأَنِينُ

فقد عانَيْتُ قِدْمًا ما يُعانِي * على عِلَّاته القَلْبُ الحَزِينُ

مِنَ الخَفِراتِ[3] قد نَعِمَتْ بزَوْجٍ * سَمَا بجَلالِه أَدَبٌ ودِينُ

أَقامَتْ في النَّعِيمِ ولَمْ تُرَوَّعْ * فكلُّ حَياتِها رَغَدٌ ولِينُ

لقد نَسَجَ العَفافُ لَها رِداءً * وزَانَ رِداءَها الخِدْرُ المَصُون

دَهاها المَوْتُ في الإِلْفِ المُفَدَّى * وكَدَّرَ صَفْوَها الدَّهْرُ الخَؤُون

فكادَ مُصابُها يأْتِي عَلَيْها[4] * لِساعَتِها وتَقْتُلُها الشُّجُونُ

رَبِيبَةُ نِعْمَةٍ لَمْ تَبْلُ حُزْنًا[5] * ولَمْ تَشْرَقْ بأَدْمُعِها الجُفُونُ

وَفَتْ لأَلِيفِها حَيًّا ومَيْتًا * كذاكَ كَرِيمَةُ (اللَّوْزِى)[6] تكُونُ

سَتَكْفِيها العِنَايةُ كُلَّ شَرٍّ * ويَحْرُسُ خِدْرَها (الرُّوحُ الأَمِين)

---

(١) يريد « بالأليفة » : زوجه . (٢) سجا الليل : سكن وهدأ . (٣) الخفرات : ذوات الحياء ؛ الواحدة خفرة (بفتح أوله وكسر ثانيه) . (٤) يأتي عليها : يذهب بها ويهلكها .

(٥) لم تبل حزنا ، أي لم تعرفه ولم تذق مرارته . وشرق الجفن : احمر من البكاء .

(٦) اللوزى : لقب لأسرة عريقة بثغر دمياط معروفة ، وكانت زوج الفقيد منها .

رثاء محمود الحمولى

وهو ابن المرحوم عبده الحمولى المغنى المعروف، وكان قد مات بعد قرانه بقليل

شَوَّقْتُمانِى أَيُّها ٱلفَرْقَدانِ (١) * لِبَدْرِ تِمٍّ غابَ قَبْلَ الأَوانِ

وكُلَّما اشْرَقْتُما مَرَّةً (٢) * عَلَّمْتُما عَيْنَىَّ نَظْمَ الجُمانِ

على عَزِيزٍ قد تَوَلَّى ولَنْ (٣) * يَؤُوبَ حتى يَرْجِعَ القارِظان

عَجِلْتَ يا (محمود) فى رِحْلَةٍ * قَرَّتْ بها أَعْيُنُ حُورِ الجِنان

كأنَّما آخِرُ عَهْدِ الهَنا (٤) * قد كان مِنّا ليلةَ المِهْرَجان

رثاء حبيب المطران باشا (٥)

أَعَزِّى فيكَ أَهْلَكَ، أَمْ أُعَزِّى * عُفاةَ النّاسِ، أَمْ هِمَمَ الكِرامِ؟ (٦)

وما أَدْرِى أَرُكْنُ ٱلجاهِ أَوْدَى (٧) * وقد أَوْدَيْتَ أَمْ رُكْنُ الشَّآمِ؟

---

(١) يريد: أنه كلما رأى الفرقدين تذكر ذلك البدر فاشتاق إليه.

(٢) الجمان: اللؤلؤ، الواحدة جمانة، شبه بها الدموع. (٣) القارظان: رجلان من عنزة خرجا يجنيان القرظ فلم يرجعا، ولا عرف لهما خبر، فضرب بهما المثل لكل غائب لا يرجى إيابه.

(٤) المهرجان: عيد للفرس، ويطلق الآن على كل حفل وعيد، ويريد به هنا حفل العرس.

(٥) كان حبيب المطران باشا سريا من سراة الشام، وكان قصره فى بعلبك مقصد الوزراء والوجهاء، وقد نزل به المرحوم الأستاذ الشيخ محمد عبده فى بعض أيام إقامته بالشام حين كان منفيا بها بعد الثورة العرابية. (٦) العفاة: جمع عاف، وهو طالب المعروف. (٧) أودى: هلك.

رثاء المرحوم أحمد البابلى

بَــدَأَ المَمَــاتُ يَــدِبُّ فى أَتْرابِى * وبَدَأْتُ أَعْرِفُ وَحْشَةَ الأَحْبابِ

يا بابِلِىُّ فِــداكَ إِلْفُــكَ فى الصِّبَا * وفِدا شَــبابِكَ فى التُّرابِ شَــبابى

قد كُنْتَ خُلْصانِى(١) ومَوْضِعَ حاجَتِى * ومَقَــرَّ آمالِى وخَــيْرَ صِحابِى

فاذْهَبْ كما ذَهَبَ الكِرامُ مُشَــيَّعًا * بالمَجْــدِ مُبَكًّى مِنَ الأَحْبابِ

تعزية المرحوم محمود سامى البارودى باشا فى ابنته

وَدِيعَــةٌ رُدَّتْ إلى رَبِّهــا * ومالِكُ الأَرْواحِ أَوْلَى بِهــا

أَلَمْ يكُن صَبْرُكَ فى بُعْــدِها * يَرْبُو(٢) على شُكْرِكَ فى قُرْبِهــا ؟

وقال يرثيها أيضــا :

بَيْنَ السَّرائِرِ(٣) ضِــنَّةً دَفَنُــوكِ * أَمْ فى المَحاجِرِ خُلْسَــةً خَبَئُــوكِ؟

ما أَنْتِ مِمَّنْ يَرْتَضِى هــذا الثَّرَى * نُزُلًا(٤) فهَــلْ أَرْضَــوْكِ أَمْ غَبَنُوكِ؟

---

(١) الخلصان (بالضم) : الخالص من الأخدان ، يستوى فيه الواحد كما هنا ، والجماعة أيضا . يقال : هو خلصانى ، وهم خلصانى .

(٢) يربو : يزيد ؛ والمستعمل فى هذا المعنى : أربى يربى .

(٣) السرائر : جمع سريرة ، وهى السر ؛ والمراد هنا : موضعه . وضنة ، أى بخلا بها . والمحاجر : جمع محجر (وزان مجلس) ، وهو ما دار بالعين . « يريد » أن حرصهم على الفقيدة وبخلهم بها جعله يظن أنهم دفنوها فى ضمائرهم أو فى عيونهم ، فهو يستفهم عن أيهما دفنت فيه .

(٤) النزل : المكان المهيأ للنزول به .

يا بِنْتَ (مَحْمُودٍ) يَعِزُّ على الوَرَى * لَمْسُ التُّرابِ لِجِسْمِكِ المَنْهُوكِ (١)

تَرَكُوا شَبابَكِ فيه نَهْبًا للبِلَى * واهًا لِغَضِّ شَبابِكِ المَتْرُوكِ (٢)

وحَثَوْه فوقَ سَنَاكِ يا شَمْسَ الضُّحَى * فبَكَى له بَدْرُ السَّماءِ أَخُوكِ (٣)

داسَ الحِمامُ عَرِينَ آسادِ الشَّرَى * يا لَيْتَ شِعْرِى أينَ كانَ أَبُوكِ؟ (٤)

عَهْدِى به يَلْقَى الرَّدَى بمُهَنَّدٍ * يَعْلُوه غِمْدٌ مِنْ دَمٍ مَسْفُوكِ (٥)

يا نَفْسَ (مَحْمُودٍ) وأنتِ عَلِيمَةٌ * بطَرِيقِ هٰذا العالَمِ المَسْلُوكِ

عَهِدُوكِ لا تَتَصَدَّعِينَ لحادِثٍ * أَوَ أَنْتِ باقِيَةٌ كما عَهِدُوكِ (٦)

هٰذا التُّرابُ — وأنتِ أَعلَمُ — مُلْتَقَى * هٰذا الوَرَى مِنْ سُوقَةٍ ومُلُوكِ (٧)

هل أنتِ إلّا بَيْنَ جَنْبَيْ ماجِدٍ * صَعْبِ الشَّكِيمَةِ للخُطُوبِ ضَحُوكِ (٨)

يُغْضِى بحَضْرَتِه الزَّمانُ فيَلْتَقِى * عِزُّ المَلِيكِ وذِلَّةُ المَمْلُوكِ (٩)

---

(١) المنهوك : المجهود المضنى .

(٢) الغض : الطرى الناعم .

(٣) حثا التراب على الميت يحثوه : هاله عليه . والسنا : الضوء .

(٤) الحمام (بالكسر) : الموت . وعرين الأسد : مأواه . والشرى : مأسدة بجانب الفرات يضرب بآسادها المثل . ويريد «بعرين الأسد» : بيت أبيها .

(٥) المهند : السيف .

(٦) التصدّع : التشقق . (٧) أنت : يخاطب نفس البارودى .

(٨) صعب الشكيمة ، أى أنوف أبى لا ينقاد .

(٩) يغضى الزمان ، أى يستحى منه ويهابه .

ملاحظة — أشير فى نهاية هــذه القصيدة فى طبعة هذا الديوان السابقة الى أنها قصيدة طويلة ، وأنه لم يعثر منها إلا على هذه الأبيات ، وقد بحثنا نحن أيضا عن بقيتها فلم نجدها .

"من مرثية وهمية"

بلغ حافظا أن چورج الخامس ملك انجلترا قد توفى، فلم يكد يسمع هـذا النبأ حتى بدأ ينظم قصيدة فى رثائه، ثم تبين له بعد عدم صحة هـذا الخبر وقد وقفنا على بيتين من هذه المرثية، وهما :

إنّ الّذى كانت الدّنيـا بقَبْضَـتِهِ * أَمْسَى مِن الأَرْضِ يَحْوِيهِ ذِراعانِ

وغابَ عن مُلْكِه من لَمْ تَغِبْ أبَدًا * عن مُلْكِهِ الشَّمْس من عِزٍّ وسُلْطانِ

⁂

تم ديوان حافظ ابراهيم

فهرس

قصائد الجزء الأوّل والثانى

(حرف الهمزة)

		جزء	صفحة
هـــل رأيتم موقفـا كعــلى	فى الأطباء يستحق الثناء	١	٥٨
لى كساء أنعم به من كساء	أنا فيه أتيه مثـــل الكسائى	١	٢٠٥
يبابك النحس والســـعود	ومـــوقف اليــأس والرجاء	١	٢١٣
هذا الظلام أثار كامن دائى	يا ساقـــى عـــلى بالصـــهباء	١	٢٣٩
ألبســوك الدماء فــوق الدماء	وأروك العـــداء بعد العـــداء	١	٢٥٢
خلقــت لى نفسا فأرصدتها	للحزن والبلوى وهـــذا الشقاء	٢	١١٤
لا زالأسى وتلهب الأحشاء	ما بات بعـــدك معجب بـــوفاء	٢	١٣٥
أعزى القوم لو سمعوا عزائى	وأعلن فى مليكهـــم رثائى	٢	١٣٦

(حرف الألف)

		جزء	صفحة
تنـاءيت عنـكم فخـلت عرا	وضاعت عهود على ما أرى	١	١٩٦
بنادى الجـــزيرة قف ساعة	وشاهـــد بربك ما قد حوى	١	٢٢٢

(حرف البـاء)

		جزء	صفحة
ماذا ادخرت لهذا العيد من أدب	فقد عهدتك رب السبق والغلب	١	١٣
لمحت جلال العيد والقوم هيب	فعلمنى آى العـــلا كيف تكتب	١	١٥
بكرا صاحبى يوم الإياب	وقفا بى بعين شمس قفا بى	١	٢٣
لو ينظمون اللآلى مثل ما نظمت	مذ غبت عنا عيون الفضل والأدب	١	٢٦
أعجمى كاد يعـــلو نجمـــه	فى سماء الشعر نجم العـــرب	١	٣٨
شيخان قد خبرا الوجود وأدركا	ما فيـــه من علل ومن أسباب	١	١٥٤
أنحرق الدف لو رأيت شكيبا	وأفض الأذكار حتى يغيبا	١	١٦٠

		جزء	صفحة
أديم وجهك يازنديق لوجعلت	منـه الوقاية والتجليـد للتكب	١	١٦١
أنحى والله قـد ملئ الوطاب	وداخلنى بصحبتـك ارتيـاب	١	١٦٦
ملكـتم على عنان الخطب	وجزتم بقـدرى سماء الرتب	١	١٧٦
قل للنقيب لقـد زرنا فضـيلته	فذادنا عنـه حراس وحجاب	١	١٨٨
عجب الناس منك يا بن سـليما	ن وقـد أبصروا لديك عجيبا	١	٢٣٣
حطمت اليـراع فـلا تعجبى	وعفت البيان فـلا تعتـبى	١	٢٥٦
إن كنتم تبذلون المال عن رهب	فنحن ندعوكم للبـذل عن رغب	١	٢٦٥
لمصر أم لربوع الشام تنتسب	هنا العلا وهناك المجد والحسب	١	٢٦٨
حياكم الله أحيوا العلم والأدبا	إن تنشروا العلم ينشر فيكم العربا	١	٢٧٢
قضـيت عهـد حداثتى	ما بين ذل واغـتراب	١	٣٠٢
(عبد العزيز) لقد ذكرتنا أمما	كانت بجوارك فى لهو وفى طرب	٢	٦
لا تلم كفى إذا السـيف نبا	صح منى العـزم والدهر أبى	٢	٧
أيحصى معانيك القريض المهذب	على أن صدر الشعر للمدح أرحب	٢	١٧
(قصر الدبارة) هل أتاك حديثنا	فالشرق ريع له وضج المغـرب	٢	٢٢
أجل هـذه أعلامه ومواكبه	هنيئا لهم فليسحب الذيل ساحبه	٢	٤٨
(قصر الدبارة) قـد نقضـ	ـت العهـد نقض الغاصب	٢	١٠٩
سكت فأصـغروا أدبى	وقلـت فأكبروا أربى	٢	١١٠
جراب حظى قد أفرغتـه طمعا	بباب أستاذنا (الشيمى) ولا عجبا	٢	١١٢
ماذا أصبت من الأسفار والنصب	وطيك العمر بين الوخد والخبب	٢	١١٦
رميت بها على هـذا التباب	وما أوردتها غـير السراب	٢	١٢١
هنا رجل الدنيا هنا مهبط التقى	هنا خير مظـلوم هنا خير كاتب	٢	١٣٨
صونوا يراع (على) فى متاحفكم	وشاوروه لدى الأرزاء والنوب	٢	١٧٢
سكن الفيلسوف بعد اضطراب	إن ذاك السكون فصل الخطاب	٢	١٨١
أيدرى المسـلمون بمن أصيبوا	وقد واروا سـليما فى الـتراب	٢	١٨٩

		جزء	صفحة
ولدى قــد طال سهدى ونحيبى	جئت أدعوك فهل أنت مجيبى	٢	٢٠٠
آذنت شمس حياتى بمغيب	دنا المنهــل يا نفس فطيبـى	٢	٢٠٣
ما أنت أول كوكب	فى الغـــرب أدركه المغيب	٢	٢١٤
إيه ياليل هل شهدت المصابا	كيف ينصب فى النفوس انصبابا	٢	٢١٨
لعب البلى بملاعب الألباب	ومحا بشاشـة فلك الخـلاب	٢	٢٣٠
دمعة من دموع عهد الشباب	كنت خبأتها ليـوم المصاب	٢	٢٣٨
بدأ الممات يدب فى أترابى	وبدأت أعرف وحشة الأحباب	٢	٢٤٦
حياكم الله أحيوا العلم والأدبا	إن تنشروا العلم ينشر فيكم العربا	١	٢٧٢

(حرف التــاء)

فيــك السعيدان اللذان تباريا	يا مصر فى الخـيرات والبركات	١	٥٥
إليكن يهدى النيــل ألف تحية	معطــرة فى أســطار عطرات	١	١٣١
يا كاتب الشرق ويا خير من	تـلو بنـو الشرق مقاماته	١	١٩٦
رجعت لنفسى فاتهمت حصاتى	وناديت قومى فاحتسبت حياتى	١	٢٥٣
أحيــاؤنا لا يرزقــون بدرهم	وبألف ألف ترزق الأموات	١	٣١٨
أحياؤنا لا يرزقون بدرهم	وبألف ألف ترزق الأموات	١	٣١٨
(ليـــلاى) ما أنا حـــى	يـــرجى ولا أنا ميـــت	٢	٦٩
ســلام على الإسلام بعـد محمد	ســلام على أيامه النضـــرات	٢	١٤٤

(حرف الحــاء)

(للونا) شهرة فى الطب تاهت	بهــا مصر وتاه بهــا مـسيحى	١	٧١
أهل الصحافة لا تضلوا بعـده	فسماؤكم قــد زانها (المصباح)	١	١٤٨
وفتيان أنس أقسموا أن يبددوا	جيوش الدجى ما بين أنس وأفراح	١	٢٤٢
مرت كعمر الورد بينا أجتــلى	إصــباحها إذ آذنت برواح	١	٢٤٢
ما لى أرى الأكمام لا تفتـــح	والروض لا يذكو ولا ينفح	٢	٩٤

		جزء	صفحة
أشرق فـدتك مشارق الإصباح	وأمط لثامك عن نهار ضاحى	٢	٩٧
سـليل الطين لم نلنا شـقاء	وكم خطت أناملنـا ضريحـا	٢	١١٢

(حرف الدال)

		جزء	صفحة
تعمدت قتـلى فى الهوى وتعمـدا	فـا أثمت عينى ولا لحظـه اعتـدى	١	٧
أهنيـك أم أشـكو فراقك قائلا	أيا ليتنى كنت السجين المصـفدا	١	٣٣
إن هنئوك بها فلست مهنئا	إنى عهـدتك قبلها محسـودا	١	٥٠
أرأيت رب التـاج فى	عيـد الجـلوس وقـد تبدّى	١	١٤٤
يا كوكب الشـرق أشـرق	فالحادثات تجـد	١	١٥٣
لقـد بت محسودا عليـك لأننى	فتـاك وهـل غير المنعم يحسـد	١	١٩٥
ارحمـونا بنى اليهـود كفاكم	ما جمعتم بحـذقكم من نقـود	١	٢٢١
خمـرة فى (بابل) قـد صهرجت	هـكذا أخـبر حاخام اليهـود	١	٢٤٣
ومن عجب قـد قـلدوك مهنـدا	وفى كل لحـظ منك سيف مهند	١	٢٤٧
سمعنـا حديثـا كقطـر النـدى	فجـدّد فى النفس ما جـدّدا	١	٢٦١
مـالى أرى بحـر السيا	سـة لا ينى جـزرا ومـدا	١	٢٦٤
أيهـا القـائمون بالأمـر فينا	هـل نسيتم ولاءنا والـودادا	٢	٢٠
بنات الشـعر بالنفحات جـودى	فهـذا يـوم شاعرك المجيـد	٢	٣١
فتى الشعرهذا موطن الصدق والهدى	فلا تكذب التاريخ إن كنت منشدا	٢	٢٦
لا رعى الله عهـدها من جدود	كيف أمسيت يابن (عبـد المجيد)	٢	٤٣
وقف الخـلق ينظرون جميعا	كيف أبنى قواعد المجـد وحدى	٢	٨٩
لقـد طـال الحيـاد ولم تكفوا	أما أرضـاكم ثمن الحيـاد	٢	١٠٨
ردا كؤوسكما عن شبه مفؤود	فليس ذلك يوم الراح والعـود	٢	١٣١
أيهـذا الـثرى إلام التمـادى	بعد هـذا أأنت غرثان صادى	٢	١٣٣
ردّوا على بيانى بعد (محـمـود)	إنى عييت وأعيا الشعر مجهودى	٢	١٣٩
من ليـوم نحن فيـه من لغـد	مات ذو العزمة والرأى الأسـد	٢	١٩٧

(حرف الــــراء)

		جزء	صفحة
مطالع سعد أم مطالع أقمار	تجلت بهذا العيد أم تلك أشعارى	١	١١
فى عيـد مـولانا الصـــغيـ	ـر وعيـــد مولانا الكـبير	١	١٥
لمحت من مصر ذاك التاج والقمرا	فقلت للشعر هذا يوم من شعرا	١	١٨
إن صوّروك فإنمـا قد صوّروا	تاج الفخار ومطلــع الأنــوار	١	٢٦
قصرت عليك العمر وهـــو قصير	وغالبت فيك الشوق وهو قدير	١	٣١
ربـاك والدك الكريم على التـقى	وعلى النزاهة والضمير الطـاهر	١	٥٧
يا كـاسى الأخـــلاق فى	بلد عن الأخـــلاق عارى	١	١١٤
قلم اذا ركب الأنامل أو جرى	سجدت له الأقلام وهى جوارى	١	١٥٠
شجتنـا مطالـــع أقمارها	فسالت نفوس لتـــذكارها	١	١٦٧
كحـافظ إبراهـــيم لكنـــه	أجمـل خلقـا منه فى الظاهر	١	١٨٥
قـــل للرئيس أدام الله دولته	بأن شاعره بالباب منتظر	١	١٨٩
شكرت جميـل صنعكم بدمعى	ودمع العين مقياس الشـعور	١	١٩١
وافى كـتابـــك يزدرى	بالـــدر أو بالجـــوهـــر	١	١٩١
طال الحديث عليكم أيهـا السمر	ولاح للنـوم فى أجفانكم أثر	١	١٩٤
لا غرو إن أشـرق فى منزلى	فى ليـلة القـــدر محيـا الوزير	١	٢٠٤
أحامد كـيف تنسانى وبينى	وبينك يا أخى صـــلة الجوار	١	٢٠٤
عاصـف يرتمى وبحر يغـــير	أنا بالله منهـــما مســـتجير	١	٢٢٧
كأنى أرى فى النيل نصلا مجرّدا	يطير بكلتا صفحتيه شــــرار	١	٢٣٤
ياساهد النجم هل للصبح من خبر	إنى أراك على شىء من الضجر	١	٢٣٦
أنا العاشق العانى وإن كنت لا تدرى	أعيذك من وجد تغلغل فى صدرى	١	٢٤٧
قالت الجوزاء حين رأت	جفنـــه قد واصـل السهرا	١	٢٤٧
سائلوا الليـــل عنهم والنهـارا	كيف باتت نساؤهم والعذارى	١	٢٥٠
هـــذا صـــبى هـائم	تحت الظـلام هيـام حائـــر	١	٢٩٢

		جزء	صفحة
أيها الوسمى زر نبت الربا	واسبق الفجر الى روض الزهر	١	٢٩٩
أيها الطفل لك البشرى فقد	قـــدّر الله لنـا أن ننشـــرا	١	٣٠٧
أساحة للحـــرب أم محشـــر	ومورد المـوت أم الكوثر	٢	١٠
أطل على الأكوان والخلق تنظر	هلال رآه المســلمون فكبروا	٢	٣٧
أهـــلا بأوّل مســـلم	فى المشرقين عـــلا وطار	٢	٧٦
كم حدّدوا يوم الجـلاء الذى	أصـــبح فى الابهام كالمحشر	٢	١٠٩
ما لهـــذا النجـم فى السـحر	قد سها من شـدّة السـهر	٢	١٢٢
لقد كانت الأمثال تضرب بيننا	بجور (سدوم) وهو من أظلم البشر	٢	١٢٣
نثروا عليـك نوادى الأزهار	وأتيت أنـثر بينهـم أشعارى	٢	١٥١
رثاك أمير الشعر فى الشرق وانبرى	لمدحك من كتاب مصر كبـير	٢	١٦٤
أخت الكواكب مارما	ك وأنت راميـــة النســـور	٢	١٧٩
مـــلك النهى لا تبعـــدى	فالخــلق فى الدنيـا ســـير	٢	١٩٣
لك الله قد أسرعت فى السير قبلنا	وآثرت يا مصرى سـكنى المقابر	٢	٢٠٢
نعـاك النعاة وحـم القـــدر	ولم يغن عنـا وعنـك الحـذر	٢	٢٠٨
من لم يذق فقـــد أليف الصبا	لم يـدر ما أبدى وما أضمـــر	٢	٢١٦
يابن (عبد السلام) لا كان يوم	غبت فيه عن هالة الأحرار	٢	٢٤٢

(حرف السين)

		جزء	صفحة
أتيت ســـوق عـــكاظ	أســـعى بأمر الرئيـــس	١	١٠٣
أنا فى الجـــيزة ثاو	ليس لى فيهـا أنيـــس	١	١٨٨
أوشك الديك أن يصيح ونفسى	بين هم وبين ظن وحدس	١	٢٤١
يأيهـا الحب امــتزج بالحشى	فإن فى الحب حيـاة النفوس	١	٢٤٦
أجاد (مطران) كعاداته	وهكذا يـــؤثر عن (قس)	١	٢٩٦
إن يوم احتفالكم زاد حسـنا	وجلالا بيــوم عيـد الجلوس	١	٣٠٦

صفحة

(حرف العين)

هجعت ياطير ولم أهجع	ما أنت إلا عاشق مدعي	١	٣٤
بلابل وادي النيل بالمشرق اسجعي	بشعر أمير الدولتين ورجعي	١	١١٩
قد راع دار العدل طف	يان وراع الجامعه	١	١٤٢
قد أجدبت دار الحجا والنهى	بعدك من آرائك النافعه	١	١٤٣
قد قرأنا ظلالكم فشفينا	بارك الله في (ظلال الدموع)	١	١٥٨
هنا يستغيث الطرس والنقس والذي	يخط ومن يتلو ومن يتسمع	١	١٦١
من لم ير المعرض في اتساع	وفاته ما فيه من إبداع	١	١٩٦
نمى يا بابلي إليك شوق	وعيني لازمت سكب الدموع	١	٢٠٣
أي رجال الدنيا الجديدة مدوا	لرجال الدنيا القديمة باعا	١	٢٥٩
أخشى مريبتي إذا	طلع النهار وأفزع	١	٣١٨
مرضنا فما عادنا عائد	ولا قيل أين الفتى الألمعي	٢	١٢٤
(رياض) أفق من غمرة الموت واستمع	حديث الورى عن طيب ما كنت تصنع	٢	١٦٧
أبكي وعين الشرق تبكي معي	على الأديب الكاتب الألمعي	٢	٢٢٨

(حرف الفاء)

صدفت عن الأهواء والحر يصدف	وأنصفت من نفسي وذو اللب ينصف	١	٢١
غاب الأديب أديب (مصر) واختفى	فلتبكه الأقلام أو تتقصفا	٢	٢٣٨

(حرف القاف)

سكن الظلام وبات قلبك يخفق	وسطا على جنبيك هم مقلق	١	٤٠
ما بال (دندرة) تميس تهاديا	ميس العروس مشت على استبرق	١	١١٨
أيا يدا قد خصها ربها	بآية الإعجاز في الخلق	١	١٤١
وجدوا السبيل الى التقاطع بيننا	والسمع يملكه الكذوب الحاذق	١	٢٠٧
يا (جاك) إنك في زمانك واحد	ولكل عصر واحد لا يلحق	١	٢١٢

		جزء	صفحة
كم ذا يـكابد عاشق و يلاق	فى حب (مصر) كثيرة العشاق	١	٢٧٩
لا أبالى أذى العـــدوّ لخطى	أنت يا رب من ولاء الصديق	١	٢٩٨
لى فيك حين بدا سناك وأشرقا	أمل سـألت الله أن يتحققـا	٢	٥٨
لا هم إن الغرب أصبح شـعلة	من هولهـا أم الصواعق تغرق	٢	٨٦
أكثرتم التصفيق فى موطن	كان البكا فيـــه بنـا أليقـا	٢	٢٠٨

(حرف الكاف)

لله عيــــــد كبـــير	يزهـــو بنـــور جبينــك	١	٣٦
أحمــد الله إذ سـلمت لمصر	قد رماها فى قلبها من رماكا	١	١٠٩
سما الخطيبان فى المعـالى	وجاز شأواهما السماكا	١	١٣٣
عطلت فن الكهرباء فلم نجـد	شيئا يعـوق مسـيرها إلا كا	١	١٦٠
يا شاعر الشـــرق اتئـــد	ما ذا تحـاول بعـــد ذاك	١	٢٠١
ظـبى الحمى بالله ما ضـــركا	اذا رأينـا فى الكرى طيفـكا	١	٢٤٨
كم وارث غض الشباب رميتـه	بغـرام راقصـة وحب هلوك	١	٣١٤
عجبت أن جعلوا يوما لذكرا كا	كأننـا قـد نسينا يوم منعا كا	٢	٢١٧
بين السرائر ضـــنة دفنوك	أم فى المحاجر خلسـة خبئوك	٢	٢٤٦

(حرف اللام)

بلغتــك لم أنسب ولم أتغـزل	ولمـا أقف بين الهوى والتذلل	١	٤
قالوا صدقت فكان الصدق ماقالوا	ما كل منتسب للقـــول قـــوال	١	٥
هنيئـا أيهـا المـلك الأجـل	لك العرش الجديد وما يظـل	١	٦٧
فى ساحة (البدوى) حلت ساحة	عز البـلاد بعـزها موصـول	١	٧٥
لقـــد عاشرتنـا فلبثت فينـا	مثـالا للنزاهـــة والـكمال	١	٩٨
الشعب يدعو الله يا (زغلول)	أن يستقل على يديك النيل	١	١١٠
قـــد قرأنا كم فهشت نهـانا	فاقتبســنا نورا يضىء السبيلا	١	١٣١

		جزء	صفحة
أضحى (نجيب) وكيلا	لنا ونعــم الوكيل	١	١٤٨
(عثمان) إنك قــد أتيت موفقا	شروى سميك جامع التنزيل	١	١٥٣
جرائد ما خـــط حرف بها	لغـــير تفـــريق وتضــليل	١	١٥٩
لا تعجبوا فليككم لعبت به	أيدى البطـانة وهو فى تضليل	١	١٥٩
يا صارما أنف الثواء بغمـــده	وأبى القـــرار ألا تزال صقيلا	١	١٧١
ســـيرا أيا بدرى سماء العــلا	واســتقبلا التم ولا تأفــلا	١	٢٠٠
أدلال ذاك أم كسل	أم تناس منـــك أم ملل	١	٢٠٣
* يادولة القـــواضب الصـــقال *		١	٢٠٩
ضعت بين النهى وبين الخيـال	يا حكيم النفوس يابن المعـالى	١	٢٣٧
أنضـــيه فى الأشواق إلا أقله	بطىء سرى أبدى الى الليث ميله	١	٢٣٧
شبحا أرى أم ذاك طيف خيال	لا بل فتـاة بالعـــراء حيـالى	١	٢٧٥
أيها الطفل لاتخف عنت الده	ـر ولا تخش عاديات الليـالى	١	٣١٠
أى رجال الدنيا الجديدة مهلا	قــد شأوتم بالمعجزات الرجالا	١	٣١٢
لله درك كنت من رجـــل	لو أمهلتــك غوائــل الأجل	٢	١٥٦
جـــل الأسى فتجمــلى	وإذا أبيـــت فأجمـــلى	٢	١٧٦

(حرف المـــيم)

		جزء	صفحة
منى نلتها يا لابس المجــد معلما	أدينـا ودنيـا زادك الله أنعما	١	٥٠
لم نجــد ما يفى بقدرك فى المجـ	ـد فيهــدى الى حمـاك الكريم	١	٥٥
إنى دعيت الى احتفالك فجأة	فأجبت رغم شواغلى وسـقامى	١	٥٦
جاز بى عرفها فهاج الغـراما	ودعانى فـــزرتهـا إلمـــاما	١	٥٨
وسع الفضل كله صدرك الرحـ	ـب فمن شاء فليهنئ وسامه	١	٦٣
يحييك من أرض الكنانة شاعر	شغوف بقول العبقرى بين مغرم	١	٧٢
أقصر الزعفـــران لأنت قصر	خليق أن يتيــه على النجــوم	١	١٠٦
أحييت ميت رجائنـا بصحيفة	أثنى عليهـا الشرق والاســلام	١	١٥٠

		جزء	صفحة
أثرت بنـا من الشــوق القـديم	وذكرى ذلك العيش الرخـــيم	١	١٦٢
ملكت عـــلى مـــذاهبي	وعصاني الطبـــع الســـليم	١	١٧٢
* من واجد منفســـر المنام *		١	١٩٧
إن عضـيك يا أخي بالمـــلام	لا يـؤدّى لمثـل هـذا الخصام	١	٢٠٢
تمثـــلى إن شئت فى منظـــر	يا (جوليـا) أنكر فيـه الغرام	١	٢٤٦
أذنتك ترتابين فى الشمس والضحى	وفى النور والظلماء والأرض والسما	١	٢٤٨
صـفحة البرق أو مضت فى الغمام	أم شهاب يشــق جوف الظلام	١	٢٨٣
كم تحت أذيال الظـلال متـيم	دامى الفـؤاد وليـله لا يعـلم	١	٢٨٨
أيهـا المصلحون ضاق بنـا العيـ	ـش ولم تحسنوا عليـه القيـاما	١	٣١٦
لقد كان فينا الظلم فوضى فهـذبت	حواشـيه حتى بات ظلمـا منظما	٢	٢٥
لقــد نصـــل الدجى فتى تنـام	أهــم ذاد نـــومك أم هيـام	٢	٥٣
بالذى أجراك ياريح الخــــزامى	بلغى (البسفور) عن (مصر) السلاما	٢	٦٢
طمــع ألقى عن الغــرب اللثـاما	فاسـتفق ياشرق واحذر أن تناما	٢	٦٦
(أياصوفيا) حان التفرق فاذكرى	عهود كرام فيـك صلوا وسـلموا	٢	٨٨
قـد مر عام يا (سـعاد) وعام	وابن الكنانـة فى حمـاه يضـام	٢	١٠٥
بنيتم على الأخلاق آساس ملككم	فكان لكم بين الشعوب ذمام	٢	١٠٦
حوّلوا النيـل واحجبوا الضوء عنا	واطمسوا النجم واحرمونا النســيما	٢	١٠٨
سعيت الى أن كدت أنتعل الدما	وعدت وما أعقبت إلا التنـدما	٢	١١٤
طوفوا بأركان هذا القبر واستلموا	واقضوا هنالك ما تقضى به الذمم	٢	١٦٠
لامرحبـا بك أيهـــذا العـام	لم يرع عنـــدك للاساة ذمام	٢	١٨٦
علمـان من أعـلام مصـــ	ـر عـــدا الردى فطـواهمـا	٢	٢٠٧
أعزى فيـك أهـلك أم أعزى	عفـاة النـاس أم هــم الكرام	٢	٢٤٥

(حرف النون)

		جزء	صفحة
حال بين الجفـن والوسن	حائـــل لو شـــئت لم يكن	١	٣
طف بالأريكة ذات العز والشان	واقض المناسك عن قاص وعن دانى	١	٢٨

		جزء	صفحة
أنى الجبيج طيبك والحرمان	وأجل عيد جلوسك الثقلان	١	٤٤
ياصاحب الروضة الغناء هجت بنا	ذكرى الأوائل من أهل وجيران	١	٦٣
ورد الكنانة عبقـــرى زمانه	فتنظرى يا (مصر) سحر بيانه	١	٩٨
يا كاسى الخلق الرضى وصاحب الـ	ـأدب السرى و يافتى الفتيان	١	١١٨
حيا بكور الحيا أرباع لبنان	وطالع اليمن من (بالشام) حيانى	١	١٣٣
قل للطبيب الذى تعنو الجراح له	ماذا اعتددت لجرح العاشق العانى	١	١٤٢
هــذا كتاب مـنذ بدا سره	للناس قالـوا معجـز ثانى	١	١٤٨
أراك ـ وأنت نبت اليوم ـ تمشى	بشعرك فـوق هام الأولينا	١	١٤٩
يا ساكن البيـت الزجا	ج هبلت لا تـرم الحصـونا	١	١٥٩
يا يوم تكريم (حفـنى)	أرهفت للقـــول ذهنى	١	١٧٩
يا سـيدى وإمامى	ويـا أديب الزمان	١	١٨٤
عجبت للنيـل يدرى أن بلبـله	صاد ويسـق ربا مصر ويسقينا	١	١٨٧
يرغى و يزبد بالقـافات تحسبها	قصـف المدافع فى أفق البساتين	١	١٨٩
لاح منها حاجب للناظـرين	فنسوا بالليـل وضاح الجبين	١	٢٠٧
نبئانى إن كنتما تعلمـان	ما دهى الكون أيها الفـرقدان	١	٢١٥
أنكر النيـل موقف الخـزان	فانثـنى قافلا الى السـودان	١	٢٣٨
يا من خلقت الدمـع لطـ	ـفا منـك بالباكى الحـزين	١	٢٣٨
فتيـة الصهباء خير الشاربين	جددوا بالله عهـد الغائبين	١	٢٤٤
غضى جفون السحر أو فارحمى	متـيما يخشى نزال الجفـون	١	٢٤٦
سألته ما هـذا الخـال منفردا	واختار غرتك الغـرا له سكنا	١	٢٤٨
سـور عنـدى له مكتوبة	ود لو يسرى بها الروح الأمين	١	٢٤٩
أعيدوا مجـدنا دنيا ودينا	وذودوا عن تراث المسـلمينا	١	٣١٥
رويدك حتى يخفـق العلمـان	وننظر ما يجـرى به الفتيان	٢	٥
أين يوم (القنـال) يا ربة التا	ج و يا شمس ذلك المهرجان؟	٢	١٤

		جزء	صفحة
لله آثار هناك كريمة	حسدت روائع حسنها (برلين)	٢	٨٣
خرج الغواني يحتجبـ	ـن ورحت أرقب جمعهنّه	٢	٨٧
ألم تر فى الطريق إلى (كياد)	تصيد البط بؤس العالمينا	٢	١٠٦
لا تذكروا الأخلاق بعد حيادكم	فمصابكم ومصابنا سيان	٢	١٠٧
لم يبق شيء من الدنيا بأيدينا	إلا بقية دمع فى مآقينا	٢	١١٩
نعمن بنفسي وأشقينني	فيا ليتهن ويا ليتني	٢	١٢٤
دعاني رفاقي والقوافي مريضة	وقد عقدت هوج الخطوب لساني	٢	١٨٣
أما (أمين) فقد ذقنا لمصرعه	وخطبه من صنوف الحزن ألوانا	٢	٢٢٦
مسدى الجميل بلا من يكدره	ومكرم الضيف أمسى ضيف رضوان	٢	٢٣٦
مضيت ونحن أحوج ما نكون	إليك ومثل خطبك لا يهون	٢	٢٤٣
شوقتماني أيها الفرقدان	لبدر تم غاب قبل الأوان	٢	٢٤٥
إن الذى كانت الدنيا بقبضته	أمسى من الأرض يحويه ذراعان	٢	٢٤٨

(حرف الهاء)

		جزء	صفحة
تراءى لك الإقبال حتى شهدناه	ودان لك المقدار حتى أمناه	١	٣٧
شرف الرياسة يا محمـ	ـمد زانه شرف النهى	١	١٤١
يا ليلة ألهمتني ما أتيه به	على حماة القوافي أينما تاهوا	١	٢١١
كم مر بى فيك عيش لست أذكره	ومر بى فيك عيش لست أنساه	٢	١٢٠
يا عابد الله نم فى القبر مغتبطا	ما كنت عن ذكر رب العرش باللاهي	٢	٢٠٠
وديعة ردّت الى ربها	ومالك الأرواح أولى بها	٢	٢٤٦

(حرف الياء)

		جزء	صفحة
حسب القوافي وحسبي حين ألقيها	أنى إلى ساحة (الفاروق) أهديها	١	٧٧
أى (مكهون) قدمت بالـ	ـقصد الحميد وبالرعاية	٢	٨٢
أيا قبر هذا الضيف آمال أمة	فكبر وهلل وألق ضيفك جاثيا	٢	١٤٩
ذلك ما بين ضحوة وعشي	شامخ من صروح آل علي	٢	١٩٠

كلمة شكر

وبعد، فأشكر لصديق الدكتور منصور فهمى بك مدير دار الكتب المصرية ، ما قدّم لى من معونة فى تسهيل حصولى على مصادر ترجمة (حافظ ابراهيم)، وما قام به من همة فى الإشراف على إخراج الكتاب .

ولأخى محمد نديم افندى ملاحظ المطبعة بدار الكتب المصرية على مساعدته لنا فى طبع هذا الكتاب على هذا النمط مع السرعة والدقة والاتقان، فلهما أقدّم جزيل شكرى وأطيب ثنائى ،

٩ مايو سنة ١٩٣٧

أحمد أمين

❖
❖ ❖

تمّ طبـع الجـزء الثـانى من "ديوان حافظ ابراهيم بك" بمطبعة دار الكتب المصرية فى يوم الثلاثاء غرة ربيع الأوّل سنة ١٣٥٦ (١١ مايو سـنة ١٩٣٧) م

محمد نديم
ملاحظ المطبعة بدار الكتب
المصـرية

(مطبعة دار الكتب المصرية ٣٠ / ١٩٣٦ / ١٠٠٠٠)